بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد العشرون

السنة الخامسة (١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم

آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير :

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

مدير التحرير :

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

هيئة التحرير :

الشيخ غزوان العتابي

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ رغدان المنصوري

المقابلة وتقويم النص :

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي :

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية :

بدر شاهين

الإشراف العام :

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام :

السيّد صالح التنكابني

السيّد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة :

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة :

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي : ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة فصلية علمية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.
* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.
* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.
* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
* إيران / قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.
* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التقرير

تجلّيات مفهوم الإمامة في أراجيز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه

الشيخ صباح عبّاس الساعدي..... ١٣

ملف العدد
الأُرجوزة وأبعادها الدلالية في واقعة الطّف

أراجيز الطّف.. دراسةٌ في الدلالات والتوظيف

الشيخ عبد الرزّاق النداوي..... ٤٧

أراجيز الطّف.. دراسةٌ نحوية دلالية في البناء الأُسلوبي

د. هاشم جبّار الزرفي..... ٨٥

ندوة: شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام في أراجيزه ومضامين زياراته.. دراسةٌ في ضوء نظرية السمات الشخصية

م. د. نور الساعدي..... ١١٥

أراجيز المعسكر الحسيني.. قراءةٌ في ضوء بلاغة الجمهور

أ. م. د. علي مجيد البديري..... ١٣٥

دراسةٌ دلالية تحليلية في أراجيز الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

تغريد حسّون السيلاوي..... ١٥١

أسباب ارتجاز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطّف وعدم ارتجاز الأعداء

الشيخ إسماعيل الشويلي..... ١٧٣

دراسات حسينية

الركب الحسيني في (ملحمة الغدير) لـ(بولس سلامة)

السيّد عبد الهادي الشريفي..... ١٩٥

الدور التبليغي لأهل بيت الحسين عليه السلام في نهضة عاشوراء

علي رضا أنصاري/ ترجمة: رعد الحجاج..... ٢٢٥

الملامح القيادية للحوراء زينب عليها السلام في واقعة كربلاء

د. الشيخ عصري الباني..... ٢٥٩

الرّباب رمز الوفاء

زهراء السالم ٢٧٣

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية..... ٢٩٣

مقال التحرير

تجلّيات مفهوم الإمامة

في أراجيز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه

تجلّيات مفهوم الإمامة
في أراجيز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه[1]

الشيخ صباح عبّاس الساعدي*

استهلال

تُعدّ أراجيز واقعة الطف إحدى أهمّ النوافذ المهمّة التي تفتح أمام الباحثين والمفكّرين آفاقاً فكرية وعلمية واسعة، وتُسهم في إثراء الساحة الفكرية والأخلاقية والمعرفية؛ لترتقي بواقعنا الاجتماعي المعاصر، إذ يمكن للباحث استنطاق تلك الأراجيز التي أُثرت عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الشهداء عليهم السلام في واقعة الطف؛ ليستجلي في ضوئها الأبعاد العقدية والفكرية والأخلاقية والتاريخية والأدبية وغيرها، فيما لو قرئت بطريقة موضوعية وفق المناهج العلمية المتّبعة.

ومن هنا؛ بادرت هيئة التحرير في مجلّة الإصلاح الحسيني إلى إجراء عملية مسح ميداني واسع النطاق؛ بحثاً عن الأراجيز الحسينية في مضانّها الكثيرة، ومتابعةً لما كُتِب عنها من دراسات وبحوث؛ ليتمّ بعد ذلك اختيار مجموعة من العناوين المهمّة التي لم يُسلَّط الضوء عليها بالمستوى المطلوب، ممّا يرتبط بهذا الموضوع، وذلك ضمن محور (الأُرجوزة وأبعادها الدلالية في واقعة الطف).

وكما هي الآلية المتّبعة في هذه المجلّة المباركة، عملنا على استقطاب البحوث

---

(١) محاضرة أُلقيت في الملتقى الفصلي الثاني الذي أقامته مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية بالاشتراك مع كلّية الآداب/ جامعة الكوفة، وذلك في تاريخ (٢١/ ٢/ ٢٠١٨)، والذي حمل عنوان: (الأُرجوزة وآفاقها في واقعة الطف).

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

الرصينة للباحثين والمفكّرين في كافّة التخصّصات؛ بغية إثراء الساحة الفكرية في إطار هذه العناوين المقترحة، وخدمة للعلم والفكر، وقد استجابة ثلّة طيبة من الأساتذة والباحثين؛ فتناولوا بأقلامهم الرائدة الجوانب المهمّة والرئيسة في تلك الأراجيز.

ونحن إذ نذكر هذا الإنجاز الكبير الذي قدّمته مجلّة الإصلاح الحسيني وهيئتها العلمية، نتقدّم بالشكر والثناء إلى جميع العلماء والباحثين والمفكّرين الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلّة المباركة، وأخصّ بالذكر الباحثين الأجلاء الذين كتبوا في هذا العدد القيّم.

تمهيد

وفقاً للإحصاءات التي قمنا بها حول أراجيز واقعة الطف في المصادر التاريخية، والموسوعات المختصّة بالمقتل الحسيني، توصّلنا إلى أنّ الأشخاص الذين ارتجزوا عند تقدّمهم إلى ساحة القتال يشكّلون نسبة كبيرة بالقياس إلى المقاتلين الذين تواجدوا في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، فقد ذكر المؤرّخون أنّ معظم مَن برز إلى ساحة القتال داعياً إلى المبارزة مع العدو بشكل فردي ـ كما هي الطريقة المألوفة في المعارك آنذاك ـ كان قد ارتجز ببعض الأبيات التي تناسب الحال التي هو فيها؛ إذ ورد أنّ المقاتلين الذين ارتجزوا في واقعة الطف يفوق عددهم خمسة وأربعين شخصاً كما في المناقب[1]، وتسعة وأربعين على ما جاء في بعض الكتب المتأخّرة كبحار الأنوار[2].

وبما أنّ أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه في معركة الطف قد بلغ عددهم المائة شهيد، كما في رواية الفضيل بن الزبير[3] وغيره من المؤرّخين، ومع حذف أسماء مَن قُتِل قبل معركة كربلاء، كمَن قُتِل في الكوفة وغيرها، ومع حذف أسماء الصغار

(١) أُنظر: ابن شهر اشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٣. وأيضاً: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص١٣٦.

(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٤.

(٣) أُنظر: الكوفي، الفضيل بن الزبير، تسمية مَن قُتِل مع الحسين بن علي عليهما السلام من وُلده وإخوته وأهله وشيعته، مجلّة تراثنا: العدد٢، ص١٤٩ـ١٥٦، تحقيق: محمد رضا الجلالي.

والعزَّل الذين قتلهم العدو، تكون حصيلة الشهداء المقاتلين في ساحة المعركة ما يقارب المائة بقليل.

وبالرجوع إلى الأرقام التي ذكرناها آنفاً للأشخاص الذين ارتجزوا في هذه المعركة الخالدة نخرج بنتيجة واضحة، وهي: أنّ مَن ارتجز في ساحة المعركة يزيد عددهم على نصف المقاتلين.

وقد يعود السبب في عدم ارتجاز البقية من هؤلاء الشهداء البررة إلى طبيعة الحملة الأُولى الجماعية التي تستدعي عدم إمكان الارتجاز من قِبَل أيٍّ أحد منهم، كما نستشفّ ذلك من قول بعض المؤرّخين وأرباب المقاتل الذين ذكروا أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام حين رماهم القوم بالسهام، وأذِنَ لهم الإمام بالقتال، حملوا حملة واحدة، حيث قال ابن أعثم: «**وتقدّم عمر بن سعد حتّى وقف قبالة الحسين على فرس له، فاستخرج سهماً، فوضعه في كبد القوس، ثم قال: أيّها الناس، اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أني أوّل مَن رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن علي. قال: فوقع السهم بين يدي الحسين، فتنحّى عنه راجعاً إلى ورائه، وأقبلت السهام كأنّها المطر، فقال الحسين لأصحابه: أيّها الناس، هذه رسل القوم إليكم، فقوموا إلى الموت الذي لا بد منه. قال: فوثب أصحاب الحسين، فخرجوا من باب خندقهم، وهم يومئذٍ اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، والقوم اثنان وعشرون ألفاً لا يزيدون ولا ينقصون، فحمل بعضهم على بعض، فاقتتلوا ساعة من النهار حملة واحدة، حتّى قُتل من أصحاب الحسين نيف وخمسون رجلاً**»[1].

وبطبيعة الحال، فإنّ الفرصة لا تكون مؤاتية في الهجوم الجماعي لإنشاد الأراجيز من قِبل المقاتلين؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى الضوضاء، وعدم حصول الفائدة المرجوّة من الرجز.

وعلى كلّ حال، فقد سجّلت لنا المصادر التاريخية كمّاً هائلاً من الأراجيز التي

(١) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٠٠ـ١٠١.

نُسبت إلى الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ومن مجموع تلك الأراجيز التي أُثرت عنهم نستفيد قيماً ومفاهيم ذات مضامين عالية، يمكن أن تكون درساً نافعاً في ترسيخ التعاليم الإسلامية، وفي الوقت ذاته تنمّ عن معرفة عميقة بتلك المبادئ التي أفصحوا عنها بأقوالهم هذه؛ ما يُنبئ عن عمقِ معرفةٍ ورسوخِ مبادئ قيمية في نفوسهم، لو فُسح لهم ليفصحوا عنها لكان ذلك من أهمّ الروافد العلمية التي تنهل منها الأجيال اللاحقة.

الموضوع: ولكي تكون هذه الفرضية التي نؤمن بها واضحة ومُدعَّمة بالأدلّة، نأخذ عيّنةً من المعارف الدينية المهمّة والرئيسة؛ لنستوضحها من أراجيزهم التي وصلت إلينا عن طريق الكتب والموسوعات التاريخية المعتبرة، وقد وقع اختيارنا على مفهوم الإمامة وأبعادها المهمّة في أراجيز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه؛ مسلّطين الضوء عليه في بحثنا من خلال اختيار أبرز النماذج الدالّة على اعتقادهم بمفهوم الإمامة، معتمدين في ذلك على منهج الاستقراء والتحليل، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأوّل: المراد من الأُرجوزة والإمامة

أولاً: معنى الأُرجوزة

لا نطيل الحديث في المعنى المراد من الأُرجوزة، ونكتفي بذكر بعض المعاني التي ذكرها أهل اللغة، وهي:

١ـ ارتعاد يصيب أقدام الإبل؛ بحيث ترتجف أفخاذها عند القيام.

٢ـ الرياح المستمرّة والهائجة بصوت عالٍ.

٣ـ القِدر الكبير الثقيل.

وهذا ما نستفيده ممّا ذكره ابن منظور بقوله: «**والرَّجَز: ارتعادٌ يُصيب البعير والناقة في أفخاذهما ومؤخّرهما عند القيام... كما أنّ الرَّجْزاء أرادت النهوض فلَم تَكَد تنهض**

إلّا بعد ارتعادٍ شديدٍ، ومنه سُمّي الرَّجَز من الشعر؛ لتقارب أجزائه وقِلَّة حروفِه، وقولُ الراعي يصفُ الأثافِيَّ:

ثَلاثٌ صَلَيْنَ النَّارَ شَهْراً وأَرْزَمَتْ عليهِنَّ رَجْـزاءُ القِيام هَدُوجُ

يعني ريحاً تَهْدِج لها رَزَمَةٌ، أي: صوت. ويقال: أراد برَجزاء القِيام قدْراً كبيرةً ثقيلةً. هَدُوجٌ: سريعة الغَلَيان، قال: وهذا هوَ الصواب، وقال أبو النجم: حتّى تقومَ تَكلُّف الرَّجْزاءِ، ويقالُ للريح إذا كانت دائمةً: إنّها لَرَجْزاءُ»[1].

وقد ذكر الزبيدي في وجه تسمية الرجز قائلاً: «سُمِّي الرجز رجزاً؛ لأنّه تتوالى فيه الحركات، في أوّله حركة وسكون، ثمّ حركة وسكون، إلى أن تنتهي أجزاؤه..»[2].

وقال ابن الأثير: «الرَّجز: بحر من بحور الشعر معروف، ونوع من أنواعه، يكون كلّ مصراع منه مفرداً، وتُسمّى قصائده أراجيز، واحدها أُرجوزة، فهو كهيئة السجع، إلّا أنّه في وزن الشعر. ويُسمّى قائله راجزاً، كما يُسمّى قائل بحور الشعر شاعراً...»[3].

إذن؛ فالرجز نمط من أنماط الشعر الذي اعتاد العرب استعماله في مواطن خاصة، أُخذ في معناه الهيجان أو التتابع أو سرعة الحركات.

ثانياً: الإمام لغةً واصطلاحاً

أ ـ الإمام لغة

وردت مفردة الإمام في اللغة وأُريد منها معانٍ عدّة، وهي:

١ ـ أنّها بمعنى الشخص المُـتّـبَع، والمُقتدى به.

٢ ـ أنّها بمعنى الطريق وبقعة الأرض.

٣ ـ أنّها بمعنى الخشبة التي تُعتمد في استقامة البناء، أو الخيط الذي يُتّخذ للغرض ذاته.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٣٥٠.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس: ج٨، ص٦٧.

(٣) ابن الأثير، محمد، النهاية في غريب الحديث: ج٣، ص١٩٩.

قال الجوهري في صحاحه: «... **والإمام: خشبة البناء التي يُسوَّى عليها البناء... والإمام: الصقع من الأرض، والطريق... والإمام: الذي يُقتدى به، وجمعه أيمّة، وأصله آمة على فاعلة...**»[1].

وقال ابن منظور أيضاً: «... **الإمام الذي يُقتدى به، وجمعه أيمّة، وأصله أأمة، على أفعلة... والإمام: الخيط الذي يُمدّ على البناء فيُبنى عليه، ويُسوَّى عليه ساف البناء... والإمام: بمعنى القدَّام، وفلان يؤمّ القوم: يقدمهم...**»[2].

فالملحوظ من هذه المعاني التي ذُكرت في الكتب اللُّغوية، أنّها يجمعها معنى واحد وشامل، وهو: الاعتماد عليه والحاجة إليه من قِبَل غيره، واستغناؤه عن غيره؛ فإنّ استواء البناء واستقامته لا يتمّ إلّا بواسطة الخشبة وخيط البناء اللذين يحتاج إليهما البنَّاء لذلك الغرض، وكذا الحال بالنسبة إلى الطريق؛ فإنّ الناس والمارَّة لا تستغني عنه، وأمّا بالنسبة إلى الذي يُقتدى به فواضح جدّاً.

ب ـ الإمام اصطلاحاً

أمّا التعريف الاصطلاحي لمفردة الإمام ومشتقّاتها ـ كالإمامة ـ فإنّها تختلف بحسب العلوم التي ذُكرت فيها، بل باختلاف الأبواب في نفس العلم الواحد، لكنّها تشترك فيما بينها بأنّها قد أُخذ فيها المعنى اللُّغوي للإمام، ومَن شاء فليراجع كتابنا (علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنّة)[3]، حيث بسطنا الكلام في المعاني التي ذُكرت للإمام في الأبواب المختلفة.

وأمّا في بحثنا هذا فنكتفي بنقل ما ذكره بعض علماء الكلام حول مفردة الإمامة في كتبهم، قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «... **والإمامة رياسة عامة لشخص من الأشخاص**

(١) الجوهري، إسماعيل، الصحاح: ج ٥، ص ١٨٦.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٥.
(٣) أُنظر: الساعدي، صباح عباس، علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة: ص٣٣.

في أُمور الدين والدنيا...»[1]. وقال المحقّق الحليّ رحمه الله: «**... الإمامة رئاسة عامّة لشخص من الأشخاص في الدين والدنيا بحقّ الأصالة**»[2].

كما استُعملت مفردة الإمام والإمامة في القرآن في أكثر من معنى، لوحظ فيها المعنى اللُّغوي الذي ذكرناه آنفاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾[3]، وكذا في قوله عز وجل: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ﴾[4]، بناءً على أنّ المراد بالأئمّة في هذه الآية هو الأعمّ من أئمّة الجور وأئمّة الهدى.

فيما خصّص بعضها الآخر لإرادة المصطلح الكلامي مع شموله لبعض الأنبياء الذين حضوا بهذا المقام السامي، كما خوطب إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5].

المبحث الثاني: الأراجيز الدالّة على مفهوم الإمامة

لقد تضمّنت الأراجيز الواردة عن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الذين استُشهدوا في واقعة الطف تعابير مختلفة، عبّروا من خلالها عن عقيدتهم بالإمام الحسين عليه السلام ومنصبه الإلهي ومقامه الحقيقي في هذه الأُمة، ولعلّ اختلاف التعابير الواردة في كلماتهم هو لغرض تناسب تلك المفردات المعبّرة عن الإمامة مع الرجز الذي اختاره قائله؛ ليكون مؤثّراً في أسماع المتلقّين.

(١) الطوسي، محمد، الرسائل العشر: ص ١٠٣.
(٢) المحقّق الحلّي، جعفر، المسلك في أُصول الدين: ص ٣٠٦.
(٣) التوبة: آية ١٢.
(٤) الإسراء: آية ٧١.
(٥) البقرة: آية ١٢٤.

وبعد قراءة مستديمة في تلك الأراجيز وقفنا على عمق في التعبير، ودقّة في اختيار المفردات التي تُذكِّر المتلقّي بمفهوم الإمامة، وضرورة التضحية من أجلها.

وبما أنّ الأراجيز التي تضمّنت مفهوم الإمامة كثيرة جدّاً، اعتمدنا آلية التقسيم على الأصناف التي تضمّ تحتها مجموعة من الأراجيز المشتركة في المفردة الدالّة على ذلك:

الصنف الأوّل: الأراجيز المتضمّنة لمفردة الإمام

تفرّد أبو الفضل العبّاس عليه السلام من بين أبطال معركة الطف الذين تضمّنت أراجيزهم تجلّياً صريحاً لمفهوم الإمامة، وباللفظ ذاته، وذلك في قوله عليه السلام:

أقسمت بالله الأعـزّ الأعظمِ ... وبالحجون صـادقـاً وزمـزمِ
وبالحطيم والفناء المحرمِ ... ليُخضبنّ اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم ... إمام أهل الفضل والتكرّمِ[1]

وكذلك في قوله عليه السلام:

والله إن قـطـعـتـمُ يميني ... إنّي أُحـامـي أبـداً عن ديني
وعـن إمـامٍ صـادق اليقينِ ... نجل النبيّ الطاهر الأمـين[2]

وليس خافياً على الجميع أنّ هذا النمط من الاستعمال يغنينا عن الاستدلال أو إطالة الكلام لإثبات المطلوب.

ويدلّ استعمال أبي الفضل العبّاس عليه السلام لهذه المفردة الصريحة ـ في الوقت ذاته ـ على أهميّتها ومحوريتها في الميدان الديني، وأنّ المعركة قائمة من أجل اختيار الإمام الأصلح للأُمة.

وتبرز أهمّية هذه المفردة الدينية لدى أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه من خلال ما

(١) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٢٩ـ٣٠.
(٢) ابن شهر آشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٦.

تلقّوه من بيانات ورسائل صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام لأهل الأمصار والبلدان الإسلامية، كما ورد عنه عليه السلام قوله: «**ولعمري، ما الإمام إلّا الحاكم القائم بالقسط، الدائن بدين الله، الحابس نفسه على ذات الله**». وكان قوله عليه السلام هذا جواباً عن كتب أهل الكوفة القائلة: «**إنّه ليس لنا إمام؛ فأقبِل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى**»[1]، وهذه المحاورة تكشف لنا عن محورية الإمامة وأهمّيتها لدى المسلمين آنذاك، وأنّ المجتمع كان بأمسّ الحاجة إلى إمام يقود المسلمين إلى الهدى.

هذا فضلاً عن النصوص التي تلقّاها المسلمون عن النبي صلى الله عليه وآله حول أحقّية أهل البيت عليهم السلام بمنصب الإمامة، كما سوف نذكر بعضها في الصفحات الآتية إن شاء الله تعالى.

الصنف الثاني: الأراجيز المتضمّنة لمفردة السبط

من بين المفردات التي ردّدها أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في أراجيزهم هي مفردة السبط، فقد تكرّرت بكثرة كاثرة في أبيات متعدّدة من أراجيزهم، إذ وردت عن:

١ـ زهير بن القين، في قوله:

أنا زهير وأنا ابن القينِ ... أذودكم بالسيف عن حسينِ
إنّ حسيناً أحد السبطينِ ... من عترة البرّ التقيّ الزينِ
ذاك رسول الله غير المينِ ... أضربكم ولا أرى من شينِ[2]

٢ـ أبو ثمامة الصائدي، إذ أورد أصحاب السير والمقاتل أنّه قال:

عزاء لآل المصطفى وبناته ... على حبس خير الناس سبط محمدِ
عزاء لزهراء النبيّ وزوجها ... خزانة علم الله من بعد أحمدِ[3]

(١) المصدر السابق: ص٢٤٢.
(٢) المصدر السابق: ص٢٥٢.
(٣) المصدر السابق: ص٢٥٣.

٣ـ القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، في قوله:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن ... سبط النبيّ المصطفى والمؤتمن

هذا حسينٌ كالأسير المرتهن ... بين أُناسٍ لا سقوا صوب المزن[1]

٤ـ أبو الفضل العبّاس عليه السلام، حين قال:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا ... حتى أُوارى في المصاليت لقا

نفسي لسبط المصطفى الطهر وِقا ... إنّي أنا العبّاس أغدو بالسِقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى[2]

كيفية الاستدلال

من خلال الرجوع إلى التراث الديني المرتبط بهذه المفردة من آيات قرآنية وروايات مبيِّنة للمعنى المراد منها، توصّلنا إلى أنّ هذه المفردة من أهمّ البيانات الدالّة على مفهوم الإمامة، كما سوف يتّضح لنا من خلال النقاط التالية:

النقطة الأُولى: هناك أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وآله في صدد بيان إمامة أهل البيت عليهم السلام، ومقامهم الذي نصبهم الله عزّ وجلّ فيه، جاءت مقترنة بمفردة السبط أو الأسباط، أو ذكرت هذه المفردات في سياقها، وهذه الروايات كثيرة جدّاً لا يمكن أن نوردها في هذا البحث المختصر، لكنّنا نذكر منها:

١ـ ما ورد عنه صلى الله عليه وآله: «**إنّ وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين**»[3].

٢ـ عن أبي أيوب الأنصاري، قال: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا سيّد الأنبياء** [وعلي سيد الأوصياء]، **وسبطاي خير الأسباط، ومنّا الأئمّة المعصومون من صلب**

(١) المصدر السابق: ص٢٥٥.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٧٩.

(٣) الخزاز القمّي، علي بن محمد، كفاية الأثر: ص١٣. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات: ص٢٨٤، مع اختلاف يسير.

الحسينعليه السلام**، ومنّا مهدي هذه الأُمّة. فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله، كم الأئمّة بعدك؟ قال: عدد الأسباط، وحواري عيسى، ونقباء بني إسرائيل»**[1].

٣ـ كما تضمّن احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على القوم لإثبات أحقّيته واستحقاقه لمنصب الإمامة، بكون ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام سبطي النبي صلى الله عليه وآله، فقال: « **فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطيّ الحسن والحسين ابني رسول الله** صلى الله عليه وآله **سيدي شباب أهل الجنة ؟ قالوا: اللّهمّ لا**»[2].

فهذه النصوص الواردة عنه صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام في مقام الاحتجاج والمفاخرة على القوم، تُعدّ من أهمّ البيانات التي يُستدل بها على مقام الخلافة للإمام الحسين عليه السلام؛ لتضمّنها لمفردة الوصاية والإمامة، واقترانها بمفردة السبط، أو مجيئها في سياق الحديث عن هذه المنزلة السامية.

النقطة الثانية: هناك نمط آخر من الأحاديث التي يمكننا الاستدلال بها على تجلّي مفهوم الإمامة من خلال هذه المفردة، بغض النظر عن اقترانها بكلمة الإمامة أو الخلافة، كما في الروايات التالية:

١ـ ما روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**خرج النبي** صلى الله عليه وآله **ذات يوم وهو مستبشر يضحك سروراً، فقال له الناس: أضحك الله سنّك يا رسول الله، وزادك سروراً. فقال: رسول الله** صلى الله عليه وآله**: إنّه ليس من يوم ولا ليلة إلّا ولي فيهما تحفة من الله، ألا وإنّ ربّي أتحفني في يومي هذا بتحفة لم يتحفني بمثلها فيما مضى، إنّ جبرئيل أتاني فأقرأني من ربّي السلام، وقال: يا محمد، إنّ الله** عزّ وجلّ **اختار من بني هاشم سبعة، لم يخلق مثلهم فيمن مضى، ولا يخلق مثلهم فيمن بقي: أنت يا رسول الله سيّد النبيين، وعلي بن أبي طالب وصيّك سيّد الوصيّين، والحسن والحسين سبطاك سيّدا الأسباط، وحمزة عمّك سيّد الشهداء، وجعفر ابن عمّك الطيار في الجنّة يطير مع الملائكة حيث يشاء، ومنكم**

(١) الخزاز القمي، علي بن محمد، كفاية الأثر: ص٧٦.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣٣٣.

القائم يصلّي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلى الأرض، من ذرية علي وفاطمة من وُلد الحسين»[1].

٢ـ ما ورد في المصادر المعتبرة لدى الفريقين وبطرق كثيرة عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط**»[2].

٣ـ وكذا ما ورد في كتاب قرب الإسناد، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**منا سبعة خلقهم الله عزّ وجلّ لم يخلق في الأرض مثلهم: منّا رسول الله صلى الله عليه وآله، سيّد الأوّلين والآخرين، وخاتم النبيين، ووصيه خير الوصيين، وسبطاه خير الأسباط حسناً وحسيناً، وسيّد الشهداء حمزة عمّه، ومَن قد طار مع الملائكة جعفر، والقائم**»[3].

٤ـ ما روي في شرح الأخبار، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إنّي سبط من الأسباط، أُقاتل على حقّ ليقوم، ولن يقوم...**»[4]. وغيرها من الروايات الكثيرة التي تضمّنت مفردة السبط.

ولكي تتضح للقارئ الكريم كيفية الاستدلال بهذه النصوص نقول:

أوّلاً: إنّ البحث في المعاجم اللُّغوية يوصلنا أنّ هناك معاني عدّة تُستخدم فيها مفردة السبط، ومن الملاحظ في أغلب المعاني التي ذُكرت في كتب اللغة أنّ نقطة الاشتراك المسوّغة للاستعمال فيها هو الامتداد، وما هو محتمل بدواً من المعاني المرادة في الأحاديث آنفة الذكر هو:

أـ الأُمّة من الأُمم، والقبيلة من القبائل، فقد ذكروا أنّ: «... **السبط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب، وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً، عدّة بني**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٥٠.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١١٦. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢. ابن ماجه، سنن ابن ماجه: ج١، ص٥١. وغير ذلك من المصادر المهمّة والكثيرة.
(٣) الحميري، محمد بن عبد الله، قرب الإسناد: ص٢٥.
(٤) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٢، ص٢٨٩.

إسرائيل، وهم بنو يعقوب بن إسحاق، لكلّ ابن منهم سبط من وُلده»[1]. كما أفاد بعض أئمّة اللغة في صدد تفسير معنى قول النبيﷺ: «**الحسين سبط من الأسباط، أي: أُمّة من الأُمم في الخير**»[2]، وقد نقل الشيخ محمد جواد مغنيةرحمه الله في هامش تفسيره القيِّم ما نصه: «**قال صاحب (روح البيان) عند تفسير هذه الآية: جاء في الحديث: الحسين سبط من الأسباط، أي: أُمّة من الأُمم؛ لأنّ السادات من نسل وَلَدِه زين العابدين. ثمّ قال صاحب (روح البيان): إنّ جماعة في زمانه قالوا: الحسين نبي... ونحن لم نسمع بهذا من قبل، ولا ريب أنّه كفر وإلحاد**»[3].

ب ـ ولد الولد، (الأعمّ من الابن أو البنت)، كما ذكره الجوهري وغيره[4].

ج ـ نوع من أنواع النبات الممتدّ في الأرض، كما ذكر الفراهيدي، وذلك في قوله: «**السبط: نبات كالثيل ينبت في الرمال، له طول، الواحدة سبطة، ويُجمع على أسباط**»[5].

د ـ الشعر الممتد من دون تعرّج، قال الفراهيدي أيضاً: «**والسبط: الشعر الذي لا جعودة فيه، ولغة أهل الحجاز: رجل سبط الشعر، وامرأة سبطة**»[6].

وليس خافياً على القارئ الكريم أنّ الروايات المتضمّنة لهذه المفردة يتردّد أمرها بين المعنى الأوّل والثاني، دون بقية المعاني التي ذُكرت في المعاجم اللُّغوية، إلّا أنّ المتعيّن منهما هو الأوّل (أي: الأُمّة من الأُمم)؛ بقرينة فَهْمِ أئمّة اللغة ـ كما ذكرنا ذلك عنهم سابقاً ـ الذي يعني أنّ مشروعهعليه السلام الذي تبنّاه ونهضته المباركة تفوق الجهود التي تقوم بها أُمّة بأكملها، وهو الهدف الإلهي من بعث الأنبياء والرسل، وتنصيب الأئمّة والأسباط.

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٢١٨.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج٢، ص٣٣٤. وأيضاً: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٧، ص٣١٠.

(٣) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ص٥٦٢، الهامش.

(٤) أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٣، ص١١٢٩. وأيضاً: العسكري، أبو هلال، الفروق اللُّغوية: ص٢٧١.

(٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٢١٨.

(٦) المصدر السابق: ص٢١٩.

ثانياً: إنّ تأكيد النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام على مفردة السبط وذكرها للناس أمام الملأ، يدلّنا على أنّه صلى الله عليه وآله لم يُرد مجرد بيان معناها الواضح لدى الناس، وهو (ابن البنت)، وإنّما يشير ذلك إلى منزلة ومقام ديني مهمّ، وهو مقام الرئاسة والإمامة الذي ذكره الله عزّ وجلّ للأسباط في آيات قرآنية كثيرة، كما سيأتي في النقطة الثالثة، وهو ما يفهمه الباحث من خلال ملاحظة قوله صلى الله عليه وآله: «**سبط من الأسباط**»، فلا معنى لكون المراد من ذلك أنّهم أبناء بنت كسائر أبناء البنات؛ إذ لا يتناسب ذلك مع المتكلّم، وهو سيّد الحكماء والبشر (رسول الله صلى الله عليه وآله)، وكذا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**سبطان مثل سبطي**»؛ إذ إنّهما لا يمكن تسميتهما سبطين بالنسبة إلى أبيهما عليهما السلام، كما أنّ قوله عليه السلام عن نفسه: «**إنّي سبط من الأسباط**» لا يراد منه أنّه حفيد من الأحفاد، فمن الواضح جدّاً أنّ هذا الأمر غير مراد من كلامه عليه السلام.

النقطة الثالثة: إنّ الاستعمال القرآني لهذه المفردة جاء بكثرة، وفي آيات متعدّدة، وكان المراد من معظمها بيان منزلة هؤلاء الأسباط، واتحاد منهجهم مع منهج الأنبياء الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ؛ لذلك استوجبوا المدح والثناء من قبل الله تعالى، ومن تلك الآيات:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1].

٢ـ وكذا قوله: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ...﴾[2].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ

(١) البقرة: آية١٣٦.
(٢) البقرة: آية١٤٠.

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

٤ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[2].

٥ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ ...﴾[3].

وليس بوسعنا أن نتناول البحث مفصّلاً حول هذه الآيات المباركة في ضمن مقامنا هذا، فإنّه يستحقّ بحثاً مستقلاً، إلّا أنّ ما نريد قوله هنا هو: أنّ نتيجة الفهم المتفق عليه لدى عامّة المفسّرين هو أنّ في ذكر القرآن الكريم للأسباط دلالة واضحة على مدحهم، وأنّهم مرضيّون من قِبَل الله عزّ وجلّ، وأنّهم يتمتّعون بالمقام السامي، وقد وقع الاختلاف في مصاديقهم وشخوصهم، فهل هم أبناء يعقوب الذين أوقعوا بيوسف ثمّ تابوا بعد ذلك؟ أو هم إخوة يوسف، لكنّهم غير أولئك الذين ارتكبوا تلك الجريمة بحقّه؟ أو هم أحفاد النبي يعقوب عليه السلام؟ أو هم غير هؤلاء؟ ومع كلّ هذا الاختلاف ذكروا أنّ فيهم أنبياء الله الذين اصطفاهم لنفسه، وجعلهم أُمناء على وحيه[4].

رابعاً: بناءً على التفسير اللُّغوي الأوّل لمفردة السبط، وهو الأُمّة، مع شيء من الربط بين هذا المعنى وبين مَن اعتبره الله أُمة بمفرده في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5] ـ وهو النبي إبراهيم عليه السلام الذي أُعطي منصب الإمامة نتيجةً لحركته التغييرية والإصلاحية في مجتمعه، ونجاحه في الاختبار

(١) آل عمران: آية ٨٤.
(٢) النساء: آية ١٦٣.
(٣) الأعراف: آية ١٦٠.
(٤) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢١٧. وأيضاً: الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج٢، ص٢٩٣. وأيضاً: مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ج١، ص٢١٣.
(٥) النحل: آية ١٢٠.

الإلهي ـ نتوصّل إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله يشير بقوله: «**حسين سبط من الأسباط**» إلى أنّ الحسين عليه السلام يضاهي في عمله هذا ومشروعه الإلهي أُمة بكاملها، وهذا ما نقله الشيخ محمد جواد مغنية في التفسير المبين؛ إذ قال: «﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ **بعظمته وأُبوّته للأنبياء، وقال صاحب روح البيان عند تفسير هذه الآية: جاء في الحديث: الحسين سبط من الأسباط، أي: أُمّة من الأُمم؛ لأنّ السادات من نسل وَلَدِه زين العابدين**»[1].

النتيجة النهائية

نستنتج مما تقدّم أنّ مفردة السبط في أراجيز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه ـ من خلال الرجوع إلى موارد استعمالها في النصوص الدينية والمعنى اللُّغوي ـ تدلّ على مقام ديني، وهو مقام الإمامة الإلهية، وقد كان أحد الأهداف المهمّة من ذكر تلك الأراجيز التي سجّلها التاريخ عنهم عليهم السلام.

الصنف الثالث: الأراجيز المتضمّنة لمفردة الهادي

من بين الأراجيز التي يتجلّى من خلالها مفهوم الإمامة هي الأراجيز المتضمّنة لمفردة (الهادي)، ويمكن للباحث أن يجد ذلك فيما قاله كلٌّ من:

١ـ الحجاج بن مسروق الجعفي، بقوله:

أقدم حسيناً هادياً مهديّا ... اليوم نلقى جدّك النبيّا
ثمّ أباك ذا الندى عليّا ... ذاك الذي نعرفه وصيّا
والحسن الخير الرضا الوليّا ... وذا الجناحين الفتى الكميّا
وأسد الله الشهيد الحيا[2]

(١) مغنية، محمد جواد، التفسير المبين: ص٣٦٢.
(٢) الأمين، السيّد محسن، لواعج الأشجان: ص١٦٤.

٢ـ زهير بن القين، في أُرجوزته التي خاطب بها الإمام الحسين عليه السلام:

أقـدم هُديت هـاديـاً مهديّا ... الـيـوم تلقى جـدّك النبيّا

وذا الجناحين الفتى الكميّا ... وأسـدَ الله الشهيدَ الحيّا

وحسناً والمرتضى عليّا[1]

كيفية الاستدلال

يمكننا أن نستدل بالأراجيز المتضمّنة لمفردة (هادياً) على حقيقة الإمامة؛ وذلك من خلال الرجوع إلى الآيات القرآنية، وأنّ قائل هذه الأُرجوزة يُلفت السامع إلى مقام الإمامة الإلهية التي أعطاها الله عزّ وجلّ للإمام الحسين عليه السلام، كما في الآيات التالية:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2].

٢ـ وقوله عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4]. كما استدلّ الإمام الرضا عليه السلام بمفردة الهداية الواردة في هذه الآية على أنّ علم النبي والإمام إلهي، وأنّ صاحب هذا المنصب يفوق كلّ أحد في زمانه، وهذا ما يجعلنا نطمئن إلى التلازم الوثيق بين مفردة (الهادي) ومفهوم الإمامة الإلهية؛ حيث قال عليه السلام: «**إنّ الأنبياء والأئمّة (صلوات الله عليهم) يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى:** ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾»[5].

---

(١) المصدر السابق: ص١٥٧.

(٢) الأنبياء: آية٧٣.

(٣) السجدة: آية٢٤.

(٤) يونس: آية٣٥.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٠٢.

كما أنّ هناك روايات أُخرى عن الأئمّة عليهم السلام ـ في بيان المراد من الهادي ـ تُوصلنا إلى النتيجة التي أردنا بيانها من خلال الأُرجوزة؛ فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، **فأمّا مَن يهدي إلى الحقّ فهم محمد وآل محمد من بعده**»[1].

٤ـ وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[2]، فقد روي في الكافي عن عبد الله بن سنان، قال: «**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ**: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ **قال: هم الأئمّة**»[3]، وغيرها من الروايات التي جاءت بهذا الصدد.

إذن؛ مفردة الهادي الواردة في أراجيز أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تدلّ على مفهوم الإمامة.

الصنف الرابع: الأراجيز المتضمّنة لمفردة السيّد

من أهمّ الكلمات التي وردت في أراجيز شهداء واقعة الطف، والتي تجلّى من خلالها مفهوم الإمامة، هي مفردة (السيّد)، كما في قول:

١ـ عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

إنّي أنـا عثمان ذو المفاخر ... شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر

هـذا حسين سيّد الأخاير ... وسـيّـد الـصـغـار والأكـابـر

بعد الرسول والوصي الناصر[4]

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص٣١٢.
(٢) الأعراف: آية١٨١.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤١٤.
(٤) ابن شهر آشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٥.

٢ـ عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني ... من هاشمٍ وهاشمٌ إخواني

كهولُ صدقٍ سادةُ الأقرانِ ... هذا حسينٌ شامخُ البنيانِ

وسيّد الشيب مع الشبّانِ[١]

٣ـ عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي ... وفتية بادوا على دين النبي

ليسوا بقومٍ عرفوا بالكذبِ ... لكن خيارٌ وكرامُ النسبِ

من هاشم السادات أهل الحسبِ[٢]

٤ـ قرة بن أبي قرة الغفاري:

قد علمت حقاً بنو غفارِ ... وخِندف بعد بني نزارِ

بأنّي الليث لدى الغبار ... لأضربنَّ معشر الفُجّارِ

بكل عضبٍ ذكرٍ بتّار ... ضرباً وحتفاً عن بني الأخيارِ

رهط النبيّ السادة الأبرارِ[٣]

كيفية الاستدلال

يراد من مفردة (السيّد) في الكتب اللُّغوية: «المتولّي للسواد، أي: الجماعة الكثيرة، ويُنسب إلى ذلك، فيقال: سيّد القوم، ولا يقال: سيّد الثوب، وسيّد الفرس، ويقال: ساد القوم يسودهم. ولما كان من شرط المتولّي للجماعة أن يكون مهذّب النفس قيل لكلّ مَن كان فاضلاً في نفسه: سيّد، وعلى ذلك قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾، وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾، فسمَّى الزوج سيّداً لسياسة زوجته، وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾، أي: ولاتنا وسائسينا»[٤].

---

(١) المصدر السابق: ص٢٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص٢٥٤.

(٣) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠٦.

(٤) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٢٤٧. وقال المصطفوي:

وقد ذكر الطوسي في معنى قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾: «**يعني مالكاً لمن يجب عليه طاعته، ومن ذلك سيّد الغلام، يعني: مالكه، ولا يقال: سيّد الثوب بمعنى مالك الثوب؛ لأنّه لا يتصوّر هناك وجوب طاعته. وأصل السواد الشخص، فقيل: سيّد القوم، بمعنى مالك السواد الأعظم، وهو الشخص الذي تجب طاعته لمالكه، وهذا إذا قيل مضافاً أو مقيّداً، فأمّا إذا أُطلق فلا ينبغي إلّا لله تعالى؛ لأنّه المالك لجميع الخلق. وقيل: معناه ههنا: وسيّداً في العلم والعبادة في قول قتادة، وقال الجبائي: معناه: وسيّداً للمؤمنين بالرياسة لهم، وقال الضحاك: سيّداً في الحلم والتُّقى...**»[1].

وقد اقترنت مفردة السيّد في النصوص الدينية بالمنزلة الرفيعة، والمقام السامي الذي أعطاه الله للأشخاص الذين وُصفوا بهذه الصفة، فقد استُخدمت هذه الكلمة في مجموعة من النصوص الواردة في الكتاب وروايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، منها:

أـ ما ورد في الآية التي امتدح الله عزّ وجلّ فيها النبي يحيى عليه السلام بقوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]، المتضمّنة لقوله عزّ وجلّ سيّداً: «**أي: رئيساً يسود قومه، ويفوقهم في الشرف**»[3].

«وأمّا الاسوداد الظاهري في غير الألوان، فهو وجود تشخّص وتفوّق بالنسبة إلى أفراد أُخر، كالزوج بالنسبة إلى عائلته، والرئيس بالنسبة إلى المرؤسين، وهكذا في أنواع أُخر من التشخّص والتفوّق، كما في: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾، و﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾، ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾. فحقيقة السؤدد والاسوداد تختلف باختلاف الموضوعات والعوالم، ففي كلّ مورد بحسبه، كما أشرنا إليها، وأمّا إطلاق السيادة على مجد وشرف ومقام معنويّ ـ كما في الروايات والأدعية والزيارات ـ مفهوم مجازيّ». المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن: ج٥، ص٢٥٧.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير علوم القرآن: ج٢، ص٤٥٢. وأُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٣، ص١٧٧.

(٢) آل عمران: آية٣٩.

(٣) الطهراني، علي، تفسير مقتنيات الدرر: ج٢،ص١٩٣.

ب ـ وفي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**أنت سيّد ابن سيّد، أنت إمام ابن إمام أبو الأئمّة، أنت حجّة ابن حجّة، أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم**»[1].

ج ـ ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام التي نُشهد الله عزّ وجلّ من خلالها على اعتقادنا بالإمام الحسين عليه السلام «**اللّهمّ، إنّي أشهد أنّه وليّك وابن وليّك، وصفيّك وابن صفيّك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء**»[2].

د ـ ما جاء في مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام للقوم بقوله: «**فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت سيّد العرب غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا**»[3].

وهناك نصوص كثيرة أُخرى لا يمكن إدراجها في بحث مختصر، فضلاً عن استيعابها ضمن مفصل من مفاصل هذا البحث.

وبالرجوع إلى هذه النصوص واستنطاق المراد منها في اللغة وكُتُب العلماء، يتّضح لنا أنّ الأراجيز التي أُثرت عن أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الأبرار كانت هادفة إلى بيان هذه الحقيقة المهمّة.

الصنف الخامس: الأراجيز المتضمّنة لمفردة العترة وابن النبي وبني فاطمة

هناك طيف واسع من الأراجيز التي تضمّنت مفردات مختلفة، إلّا أنّ المعنى المستفاد منها يمكن أن يكون متّحداً، أو نتائجه واحدة كذلك، تصبّ في مفهوم

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٤٧٥. وأُنظر: الجوهري، أحمد بن عبيد الله، مقتضب الأثر: ص١١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التهذيب: ج٦، ص١١٣.

(٣) ابن المغازلي، علي بن محمد، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص١٢٠. وقد وردت أحاديث كثيرة متضمّنة لتسمية النبي صلى الله عليه وآله علياً: بـ«سيّد العرب». أُنظر: ابن شاذان القمّي، محمد بن أحمد، مائة منقبة: ص١٧٠. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣٦٦.

الإمامة، فقد تجلّت في مجموعة من الأراجيز المفردات التالية: (العترة، ابن النبي، بنو فاطمة)، وهذا ما سوف نورده في الأراجيز التالية:

١ـ أنيس بن معقل الأصبحي:

أنـا أنيس وأنـا ابـن معقل ... وفي يميني نصل سيف مصقل
أعلو به الهامات وسط القسطل ... عن الحسين الماجد المفضل
ابن رسول الله خير مرسلِ[١]

٢ـ أُم عمرو بن جنادة:

أنـا عجوز سيّـدي ضعيفه ... خـاويـة بـاليـة نحيفه
أضربـكـم بـضربـة عنيفه ... دون بني فاطمة الشريفه[٢]

٣ـ قرة بن أبي قرة الغفاري:

قـد علمت حقاً بنو غفارِ ... وخِـنـدف بـعـد بـنـي نـزارِ
بـأنّي الليث لـدى الغبارِ ... لأضربـنَّ مـعـشر الـفُـجّـارِ
بـكـل عـضـبٍ ذكـرٍ بـتّـارِ ... ضرباً وحتفاً عن بني الأخيارِ
رهط النبيّ السادة الأبرارِ[٣]

٤ـ عبد الرحمن بن عروة الغفاري:

قـد علمت حقاً بنو غفار ... وخـنـدف بـعـد بـنـي نـزار
لـنـضربـنَّ مـعـشر الفجار ... بـكـل عـضـب ذكـر بـتّـار
يا قوم ذودوا عن بني الأخيار ... بـالمـشرفيّ والقنا الخـطّـار[٤]

(١) ابن شهر آشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٢.
(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٢٥٣.
(٣) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠٦.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣٧.

٥ـ زهير بن القين:

إنّ حسيناً أحـد السبطينِ ... من عـترة الـبرّ التقي الزينِ

ذاك رسـول الله غـير المـينِ ... أضربكم ولا أرى من شين[١]

٦ـ عبيد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

شيخي علي ذو الفخار الأطولِ ... من هاشمِ الصدق الكريم المفضلِ

هذا حسينُ ابن النبيّ المرسلِ ... عنه نحامي بالحسام المصقل[٢]

٧ـ جون مولى أبي ذر:

كيف يرى الكفّار ضربَ الأسودِ ... بالسيف ضرباً عن بني محمدِ

أذبُّ عنهـم باللسـان واليـدِ ... أرجو به الجنّة يوم المـوردِ[٣]

٨ـ جعفر بن عقيل بن أبي طالب:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي ... من معشرٍ في هاشمٍ وغالبِ

ونحـن حقّـاً سـادة الذوائـبِ ... هذا حسين أطيب الأطائبِ

من عترة البرّ التقيّ العاقبِ[٤]

كيفية الاستدلال

ترشدنا هذه الأراجيز الكثيرة المتضمّنة للمفردات المتقدّمة إلى منصب الإمامة، والمكانة التي يحتلّها أهل البيت عليهم السلام، والتي أكّدتها النصوص الدينية في الكتاب والسنّة، كما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥]، فقد احتجّ أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الآية على أحقّيته بالإمامة، إذ

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠٩.
(٢) المصدر السابق: ص١١٢.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٢.
(٤) المصدر السابق: ٣٢.
(٥) الأحزاب: آية٣٣.

روي أنه قال: «**فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا**»[1]، كما استدل بها علماؤنا على إمامة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم من كلّ ذنب؛ إذ قال الشريف المرتضى: «**هذه الآية تدلّ على عصمة أهل البيت المختصّين بها عليهم السلام، وعلى أنّ أقوالهم حجّة، ثمّ تدلّ من بعدُ على إمامة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام بضرب من الترتيب**»[2].

وكذا الحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض**»[3]، وقد «**سُئل أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) مَن العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين، والأئمّة التسعة من وُلد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله، ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه**»[4].

وغيرها من النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الدالة على مقام الإمامة.

والمحصّلة النهائية في هذا الصنف: أنّ هذه الأراجيز التي صدرت عن شهداء واقعة الطف تشكّل ـ بالانضمام إلى النصوص الدينية المتقدّمة ـ تجلياً واضحاً لمفهوم الإمامة، يهدف قائلها إلى إبراز هذه الحقيقة المترسخة في نفوس أصحابه.

الصنف السادس: الأراجيز المتضمّنة لمفردة (الثبات على دين الأئمّة)

يمكن أن نستدل بالأراجيز المتضمّنة لمفردة الثبات على دين الأئمّة عليهم السلام، وهذا ما تمثّل في كلمات كل من:

(١) الكوفي، ابن عقدة، الولاية: ص١٧٥.
(٢) الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الشافي في الإمامة: ج٣، ص١٣٤.
(٣) المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج١، ص٢٨.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٤٠.

١ـ نافع بن هلال البجلي:

أنـــا ابـــن هـــلال البجلي أنـــــا عـــلى ديـــــن عـلي

ودينـــه ديـــن النبـــي[١]

فلم يزل يرميهم حتّى فنيت سهامه، ثمّ ضرب يده إلى سيفه فاستله، وجعل يقول:

أنـا الـغـلام اليمني البجلي ديني على ديـن حسين وعلي

إن أُقـتـل الـيـوم فهذا أملي فـذاك رأيـي وأُلاقـي عملي[٢]

٢ـ عبد الرحمن بن عبد الله اليزني:

أنا ابن عبد الله من آل يزن ديني على دين حسين وحسن

أضربكم ضرب فتى من اليمن أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن[٣]

كيفية الاستدلال

إنّ الأراجيز التي أوضح من خلالها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أنّهم متمسّكون بدين أمير المؤمنين عليه السلام ودين الحسن والحسين عليهما السلام، تتوافق مع الوثائق الواردة في كتب السير والتاريخ، بأنّ الثابتين على دين علي وأهل بيته عليهم السلام إنّما كان ذلك إيماناً منهم بأنّ دين أمير المؤمنين عليه السلام هو دين النبي صلى الله عليه وآله، واعتقاداً بإمامته وأحقّيته بالخلافة، ولقد دفعوا ضريبة هذا التمسّك، وواجهوا أعتى أساليب القمع والاضطهاد، وقُتلوا أشدّ قتل من قِبَل معاوية وأزلامه، وهذا ما سجّلته لنا المصادر التاريخية في المحاورة التي جرت بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية، حين قال: «... **أوَ لست صاحب الحضرميّين الذين كتب إليك ابن سميّة أنّهم على دين عليّ، فكتبت إليه: أُقتل مَن كان على دين عليّ ورأيه. فقتلَهم ومثَّل بهم بأمرك، ودين عليّ دين محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) الذي كان يضرب عليه أباك**»[٤].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٩.

(٢) المصدر السابق: ص٢٧.

(٣) ابن شهر آشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥١.

(٤) البلاذري، محمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢١.

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام في هذه المحاورة إلى ما كان يدور من أحداث مؤلمة حلّت بشيعة أهل البيت عليهم السلام من قِبَل معاوية حينما كان يأمر ابن زياد أن: «**أُقتل مَن كان على دين علي ورأيه، فقتلَهم ومثّل بهم**».

إنّ التتبع في النصوص المتضمّنة للحدث الذي أدّى إلى قتل مجموعة من المسلمين يوصلنا إلى أنّ الحرب كانت قائمة على أتباع الإمام علي عليه السلام وشيعته بشتّى الأساليب القمعية، ومع ذلك تحمّلوا كلّ ما يواجهونه؛ ليحافظوا على التمسّك بهذا الدين، وما ذلك إلّا لأنّهم كانوا يؤمنون بإمامته وأحقّيته في الخلافة؛ فتكون أراجيزهم المتضمّنة لمعنى (الثبات على دين علي عليه السلام) و(دين الحسن والحسين عليهما السلام) دالة على المطلوب، وهو تضمّنها لمفهوم الإمامة.

الصنف السابع: الأراجيز المتضمّنة لمفردة (المناصر)

هناك نمط آخر من الأراجيز التي تدلّ على مقام الإمامة وترسّخها في نفوس هؤلاء الأبطال، وهذه المفردة هي: (المناصر) أو (الناصر) كما في قول:

١ـ يزيد بن المهاجر:

أنا يزيد وأبي المهاجر ... كأنني ليث بغيل خادر

يا رب إنّي للحسين ناصر ... ولابن سعد تارك وهاجر[1]

٢ـ عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

إنّي أنا عثمان ذو المفاخر ... شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر

هذا حسين خيرة الأخاير ... وسيّد الصغار والأكابر

بعد الرسول والوصي الناصر[2]

(١) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٤٦.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٥.

كيفية الاستدلال

يدلّنا هذا النمط في أراجيز أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته ـ كما في قول عثمان: (للحسين ناصر)، وقوله: (الوصي الناصر) ـ على أنّ هناك مفهوماً راسخاً في ذهن قائله، ناتجاً عن النصوص الكثيرة والمتواترة في مصادر المسلمين، كما في قول النبي صلى الله عليه وآله: «**فمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن ولاه، وعادِ مَن عاداه، وانصُر مَن نصره**»[1].

كما ورد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله حول مَن أحبَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومَن أبغضه، وبعد سؤال ابن مسعود عن العلامة في الأزمنة المتأخّرة عن زمن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**يا بن مسعود، علي بن أبي طالب إمامكم بعدي وخليفتي عليكم، فإذا مضى فابني الحسن إمامكم بعده، وخليفتي عليكم، فإذا مضى فابني الحسين إمامكم بعده، وخليفتي عليكم، ثمّ تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد، أئمّتكم وخلفائي عليكم، تاسعهم قائم أُمّتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، لا يحبّهم إلّا مَن طابت ولادته، ولا يبغضهم إلّا مَن خبثت ولادته، ولا يواليهم إلّا مؤمن، ولا يعاديهم إلّا كافر، مَن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني... اللّهمّ والِ مَن والى خلفائي، وأئمّة أُمّتي بعدي، وعادِ مَن عاداهم، وانصر مَن نصرهم، واخذل مَن خذلهم**»[2].

أو ما ورد في الدعاء للإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: «**اللّهمّ انتصر به لدينك، وانصر به أولياءك وأولياءه، وشيعته وأنصاره، واجعلنا منهم، اللّهمّ، أعذه من شرّ كلّ باغٍ وطاغ، ومن شرّ جميع خلقك، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، واحرسه وامنعه أن يوصل إليه بسوء، واحفظ فيه رسولك وآل رسولك، وأظهر به العدل، وأيّده بالنصر، وانصر ناصريه، واخذل خاذليه**»[3].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص٢٠٣ـ٢٠٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٦١ـ٢٦٢.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٤٠٥.

فهذه الأحاديث ونظائرها توجِد لنا ارتباطاً وثيقاً بين مفهوم الإمامة ومفردة المناصرة التي أكّدت أنّها واجبة للإمام على الأُمة المسلمة، وقد عمل أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام على إبرازها بأتمّ ما يمكن في الأراجيز التي ذكرناها في هذا الصنف.

الصنف الثامن: الأراجيز المتضمّنة لمفردة (الوفاء بالبيعة)

من بين الأراجيز التي تجلّى فيها مفهوم الإمامة هي تلك الأراجيز المتضمّنة لمفردة الوفاء بالبيعة، وهذا ما سجّلته لنا المصادر التاريخية في قول:

١ـ حبيب بن مظاهر الأسدي:

أنـا حبيب وأبي مظهر ... فارس هيجاء وحرب تسعر
وأنتم منّا لعمري أكثر ... ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلا حجّة وأظهر ... حقاً وأبقي منكم وأعذر[1]

٢ـ جنادة بن الحارث الأنصاري:

أنا جناد وأنا ابن الحارث ... لست بخوّار ولا بناكثِ
عن بيعتي حتّى يرثني وارثي ... اليوم ثأري في الصعيد ماكثِ[2]

كيفية الاستدلال

يشير قول حبيب بن مظاهر (أوفى منكم)، وكذا قول جنادة بن الحارث (عن بيعتي)، إلى البيعة التي وردت في كتب القوم للإمام الحسين عليه السلام القائلة: أن أقبل فليس علينا إمام، والتي كتب الإمام الحسين عليه السلام في جوابها: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسن بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين، أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قَدِما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر مَن قَدِم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وإنّي**

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٩٥.
(٢) ابن شهر آشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٣.

باعث إليكم أخي، وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلّا الحكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[1].

وتُعدّ مسألة البيعة من الأُمور المحورية التي كانت تدور في الأروقة الإسلامية في مفهوم الإمامة؛ إذ بعد وفاة النبيﷺ اعتمدها المسلمون طيلة العقود التي سبقت مقتل الإمام الحسينعليه السلام، وأبرز ظاهرة شهدها المسرح الإسلامي لتجسيد هذه النظرية بعد مقتل عثمان بن عفان، حينما هرع المسلمون إلى دار أمير المؤمنينعليه السلام لغرض مبايعته، كما وصف ذلك بقوله: «**... فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع إليَّ، ينثالون عليَّ من كلّ جانب، حتّى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم**»[2].

الصنف التاسع: الأراجيز المتضمّنة لمفردة (الوصي) و(الولي)

من أهمّ الأراجيز التي تضمّنت تجلّياً واضحاً لمفهوم الإمامة هو ما قاله:

١ـ الحجاج بن مسروق الجعفي، حينما خاطب الإمام الحسينعليه السلام:

أقـدم حسيناً هـاديـاً مهديّا ... الـيـوم نلقى جـدّك النبيّا
ثـمّ أبـاك ذا الـنـدى عليّا ... ذاك الـذي نـعـرفـه وصـيّـا
والحسن الخير الرضا الوليّا ... وذا الجناحين الفتى الكميّا

٢ـ عثمان بن علي بن أبي طالبعليه السلام في قوله:

إنّي أنـا عثمان ذو المفاخر ... شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر
هـذا حسين خـيرة الأخاير ... وسـيّـد الـصـغـار والأكـابـر
بعد الرسول والوصي الناصر[3]

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٩.
(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ج١، ص٣٦.
(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٧٩.

كيفية الاستدلال

إنّ قوله: «**الذي نعرفه وصيّا**» يدلّ على أنّ مسألة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ووصايته من قبل النبي صلى الله عليه وآله كانت واضحة بين المسلمين، وقد تقدّمت بعض النصوص المتضمّنة لمفردة الوصي، جاءت مقترنة بمفردة الإمامة، ذكرناها في الصنف الثاني من الأراجيز المتقدّمة، ونورد هنا ما دار بين أُمّ أسلم والنبي صلى الله عليه وآله، حينما سألته قائلة: «**بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إنّي قد قرأت الكتب، وعلمت كلّ نبي ووصي، فموسى كان له وصيّ في حياته ووصيّ بعد موته، وكذلك عيسى، فمَن وصيّك يا رسول الله؟ فقال لها: يا أُمّ أسلم، وصيي في حياتي وبعد مماتي واحد، ثمّ قال لها: يا أُمّ أسلم، مَن فعل فعلي فهو وصيي. ثمّ ضرب بيده إلى حصاة من الأرض، ففركها بإصبعه، فجعلها شبه الدقيق، ثمّ عجنها، ثمّ طبعها بخاتمه... فخرجت من عنده، فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: بأبي أنت وأُمّي، أنت وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم يا أُمّ أسلم، ثمّ ضرب بيده إلى حصاة، ففركها فجعلها كهيئة الدقيق، ثمّ عجنها وختمها بخاتمه، ثمّ قال: يا أُمّ أسلم مَن فعل فعلي هذا فهو وصيي، فأتيت الحسن عليه السلام وهو غلام، فقلت له: يا سيّدي، أنت وصيُّ أبيك؟ فقال: نعم يا أُمّ أسلم، وضرب بيده وأخذ حصاة، ففعل بها كفعلهما، فخرجت من عنده فأتيت الحسين عليه السلام وإنّي لمستصغرة لسنّه، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي، أنت وصيُّ أخيك؟ فقال: نعم يا أُمّ أسلم، ائتيني بحصاة، ثمّ فعل كفعلهم...**»[1].

وكذلك الحال في مفردة الولي التي جاءت في قوله: «**والحسن الخير الرضا الوليّا**»؛ حيث دلّت الروايات المتقدّمة على ذلك أيضاً، فضلاً عن النص المتواتر في واقعة الغدير التي نصب فيها النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علياً عليه السلام إماماً للمسلمين، وأمرهم بالتسليم عليه وتهنئته بذلك[2].

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٥٦.

(٢) اهتمّ علماء المسلمين بحديث الغدير وطرقه ودلالاته اهتماماً بالغاً، فنقلوا جزئيات هذه الحادثة في مجاميعهم الروائية وموسوعاتهم التاريخية، ومن أفضل الكتب التي صُنّفت في هذا المجال هو

والنصوص في هاتين المفردتين كثيرة جداً، تركنا ذكرها اختصاراً.

الصنف العاشر: الأراجيز المتضمّنة لمفردة (الأمير)

من بين الأراجيز التي يمكن أن توحي إلى مفهوم الإمامة هو ما ذكره أرباب السير والمقاتل عن عمرو بن جنادة الأنصاري، إذ قال:

أميري حسينٌ ونعمَ الأمير ... سرورُ فؤادِ البشيرِ النذير

عليٌّ وفاطمةٌ والداه ... فهل تعلمون له من نظير[1]

كيفية الاستدلال

إنّ الإمارة والإمرة من المصطلحات الرائجة في الأوساط الدينية آنذاك، وقد مثّلت هذه المفردة معنى من معاني الإمامة والقيادة الدينية؛ إذ ورد في المعاجم اللُّغوية أنّ معنى الإمارة وما يشتقّ منها هو: «... **ذو الأمر، وقد أمر فلان وأُمِّر أيضاً بالضم، أي: صار أميراً... والإمارة: الولاية...**»[2].

وتُعدّ مفردة (الإمرة) و(الأمير) ـ الواردة في قول النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين: «**سلّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين**»[3]، وغيرها من المفردات التي جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وآله - من أهمّ المفردات التي استدلّ بها علماؤنا على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[4]، كما أنّ في هذا المجال نصوصاً وعبارات كثيرة يمكن ذكرها والاستدلال بها على دلالة

الجهد الذي قام به العلّامة الأميني في موسوعته القيّمة التي حملت اسم (الغدير)، متناولاً في ذلك كافّة الجوانب المهمّة عن هذه الواقعة في دراسة موضوعية علمية أثرت الساحة الفكرية، وجعلت كلّ مَن يريد الخوض في هذه المسألة لا يمكنه الاستغناء عن هذا الكتاب.

(١) ابن شهر آشوب، علي بن محمد، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٣.

(٢) الجوهري، إسماعيل، الصحاح: ج٢، ص٥٨١. وأيضاً: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٣١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٩٢.

(٤) اُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد: ص٢٠٣.

هذه المفردة على ما أردنا إثباته، لكنّنا نتركها إلى مقام آخر يناسبها؛ تحاشياً عن الإطالة المملّة.

على أنّ هناك أصنافاً أُخر من الأراجيز التي يمكن أن يُستدلّ بها على إرادة مفهوم الإمامة، إلّا أنّنا تركنا ذلك إلى بحوث موسّعة إن شاء الله تعالى.

التوصيات

١ـ إجراء دراسات استنطاقية مماثلة في الأراجيز والأشعار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول المفاهيم الفكرية والمعرفية والقيمية.

٢ـ تعميق البحوث التوثيقية حول أراجيز الطف وسائر الأشعار والأراجيز الواردة عن المعصومين عليهم السلام، وفق الآليات والأدوات المتّبعة في القراءات التحليلية الحديثة؛ ليتّضح للقرّاء الكرام المقدار الثابت منها، واختلاف النقل في بعض جزئياتها، وغير ذلك من الأُمور التي تتكفّل بها الدراسات العلمية المحكّمة.

٣ـ إبراز المُثُل الأخلاقية وغيرها من خلال القراءات المقارنة بين أراجيز أهل الحقّ وأهل الباطل.

٤ـ الإسهام في ترسيخ ما تضمّنته الأراجيز الواردة في واقعة الطف من سلوكيات لدى الأجيال، والحثّ على تطبيق ذلك بشكل عملي، عن طريق الوسائل الرائجة وفق متطلّبات العصر.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

ملفُ العدد

الأرجوزة وأبعادها الدلالية في واقعة الطف

- أراجيز الطّف .. دراسةٌ في الدلالات والتوظيف
- أراجيز الطّف .. دراسةٌ نحوية دلالية في البناء الأسلوبي
- ندوة: شخصية أبي الفضل العبّاس ﷺ في أراجيزه ومضامين زياراته .. دراسةٌ في ضوء نظرية السمات الشخصية
- أراجيز المعسكر الحسيني .. قراءةٌ في ضوء بلاغة الجمهور
- دراسةٌ دلالية تحليلية في أراجيز الإمام الحسين ﷺ يوم عاشوراء
- أسباب ارتجاز أصحاب الإمام الحسين ﷺ في واقعة الطّف وعدم ارتجاز الأعداء

أراجيز الطّف
دراسةٌ في الدلالات والتوظيف

الشيخ عبد الرزّاق النداوي*

توطئة

حفلت أيام العرب ووقائعهم بالكثير من الرجز، فلا تكاد واقعة أو معركة من معاركهم في الجاهلية والإسلام تخلو من ظاهرة الرجز، ويبدو أنّ الهدف الرئيس من الرجز ـ علاوة على شدّ العزائم ورفع الهمم ـ هو التعريف بالنفس مقابل العدو، أي: إنّ الفارس يُعرّف نفسه، وقد يُضمّن رجزه بعض صفاته من الشجاعة والإقدام؛ ليكون أحد العوامل النفسية في هزيمة العدو، لا سيّما إذا كان الفارس معروفاً بالنجدة والشجاعة ومقارعة الأبطال وخوض الأهوال.

ولم تكن واقعة كربلاء بدعاً من الوقائع والحروب، فهي كغيرها حفلت بالكثير من الأبطال الذين ارتجزوا أمام العدوّ الأُموي؛ ليضيفوا إليها ـ مع ما فيها من قيم وروائع ونُبل وتضحيات وفداء ـ نكهةً تُخبر عمّا في ضمائرهم وسرائرهم، وتكشف عن بصائرهم.

وهذا البحث يتكفّل ببيان شيء من أبعاد تلك الأراجيز، وبعض معانيها، ودلالاتها، وتوظيف تلك الدلالات في مجابهة الطغيان الأُموي، ويُبرز لنا ما انطوت عليه نفوس قائليها من معالي السمات، وكريم الصفات، وقبل أن نغوص في أغوار البحث، ونجوس خلال تلك الأراجيز، نوطّئ لذلك بلمحة خاطفة حول الأُرجوزة ومعناها لغةً واصطلاحاً، وبعض ما يتعلّق بذلك.

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

نظرة خاطفة حول الأُرجوزة

وفيها نقطتان: نتناول في النقطة الأُولى معنى الرجز لغةً واصطلاحاً، وفي النقطة الثانية أهمّ أغراض الرجز.

النقطة الأُولى: الأُرجوزة في اللغة والاصطلاح

الرجَز لغةً: مأخوذ من اضطراب أفخاذ الإبل، قال ابن منظور: «**الرجز داء يُصيب الأبل في أعجازها**»[1]، فيقال للجمل: (أرجز)، وللناقة: (رجزاء)، وقال: «**والرجز: ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذها ومؤخّرها عند القيام**»[2]، ومنه يتبينّ أنّ الرجز حقيقة ليس هو الداء، وإنّما هو الارتعاد الذي هو نتيجة الداء، فهو من باب تسمية الملزوم باسم اللازم، ولهذا قال: «**وأصل الرجز في اللغة تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم: ناقة رَجْزاء، إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها**»[3].

وقد يُطلق الرجز على الريح إذا دامت، وعلى الفرس إذا حسن صهيلها، وعلى الرعد إذا تتابع، وعلى القدر الكبيرة حال غليانها[4].

ولقدامة بن جعفر رأي آخر مؤدّاه: أنّ الراجز هو الساقي الذي يسقي الماء، وكان الأصل في الأراجيز، هي: الأبيات التي يرتجز بها الساقي على دلوه إذا مدّها... ثمّ أخذت الشعراء به، فأُلحق بالقصيدة وبحور الشعر[5].

الرجَز اصطلاحاً: بحر من بحور الشعر المعروفة، تتوالى فيه الحركات والسكنات، تسمّى قصائده أراجيز، وأحدها أُرجوزة، ويُدعى قائله: راجزاً.

قال أبو إسحاق: «**سُمّي الرجز رجزاً؛ لأنّه تتوالى فيه الحركات، في أوّله حركة وسكون، ثمّ حركة وسكون، إلى أن تنتهي أجزاؤه...**»[6].

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص١٤٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) أُنظر: الجودي، شاكر، إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام: ص٥.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٨.
(٦) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٨، ص٦٧.

ويقال: إنّ الأُرجوزة في الأصل نثر مسجوع، فترقّى فصار أُرجوزة، ثمّ ولدت بحور الشعر من رحمها، فهي أقدم البحور[١]. وهذه المقولة تنسجم مع كون الأُرجوزة في الأصل ما يقوله الساقي كما تقدّم.

ومن متابعة النصوص يبدو أنّ أوّل مَن استعمل هذه الكلمة في المعنى الاصطلاحي هو الأغلب العجلي[٢] الذي استنشده والي الكوفة ما نظمه في الإسلام، فقال:

أرجـــزاً تـريـد أم قصيدا لقـد طلبـت هيّنـاً موجـودا[٣]

ويرى بعض الناقدين أنّ الرجز ليس من الشعر، وبعض يصل به إلى حدّ الاحتقار، وجعله أبو العلاء المعرّي من السفاسف، فقال: «**وإنّ الرجز لمن سفساف القريض**»[٤].

«**وهو** [أي: الرجز] **قليل الورود في شعر الشعراء الجاهليين، فقلّما استعمل نوابغ الشعراء في زمان الجاهلية الرجز، كأنّه ليس أهلاً لمنزلتهم**»[٥].

وقد يُستدلّ على كون الرجز ليس من الشعر بالإضافة إلى ما تقدّم، بدليلين:

الدليل الأوّل: أنّه جرى على لسان النبي صلى الله عليه وآله في قوله:

أنـــا الـنـبـــيّ لا كَـــذِب أنـــا ابـــنُ عـبـدِ المـطّـلـب[٦]

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٧]، فكيف يكون شعراً وقد نفاه الله عنه؟! فلكي يصحّ قوله من طرف النبي صلى الله عليه وآله[٨]، لا بدّ أن لا يكون شعراً.

وعن الأزهري في معنى قوله تعالى: «﴿مَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، أي: لم

(١) أُنظر: الجودي، شاكر، إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام: ص٢٦.
(٢) وهو من أعلام الرجز كما سيأتي.
(٣) المصدر السابق: ص٣.
(٤) المعرّي، أبو العلاء، رسالة الغفران: ص٩.
(٥) د. جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج١٧، ص١٧٧.
(٦) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج١، ص١٤٣.
(٧) يس: آية٦٩.
(٨) ذكره الخليل، أُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٨، ص٦٧.

نعلّمه الشعر، فيقوله ويتدرّب فيه، حتّى يُنشئ منه كتباً، وليس في إنشاده ﷺ البيت والبيتين لغيره ما يبطل هذا؛ لأنّ المعنى فيه إنّا لم نجعله شاعراً»[1].

الدليل الثاني: أنّه ليس بشعر، وإنّما هو أنصاف أبيات أو أثلاث[2]، نسب ذلك صاحب التهذيب إلى الخليل[3]، وقد ردّ بعض الباحثين هذه النسبة وشكّك فيها؛ لأنّ الخليل هو الذي وضع وزن الرجز فيما وضع من أوزان سائر البحور، أمّا القول بأنّه في بعض أوزانه مشطور (محذوف ثلثه)، أو منهوك (محذوف ثلثاه)، فهذا ليس من مختصّات الرجز، بل نجده كذلك في سائر البحور[4].

---

(١) المصدر السابق: ص٦٨.

(٢) إنّما ذكروا ذلك؛ لأنّ للرجز ثلاثة أوزان رئيسة: التّام، والمشطور، والمنهوك، أمّا التام فهو من قبيل:

يحيى قتيلاً ما له من قاتلٍ ... إلّا سهام الطرف ريشت بالحور

ووزنه:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ... مستفعلن مستفعلن مستفعلن

والمشطور من قبيل:

قل هاج قلبي منزل ... من أُم عمرو مقفر

ووزنه:

مستفعلن مستفعلن ... مستفعلن مستفعلن

والمنهوك تفعيلة واحدة من قبيل:

يا ليتني ... فيها جزع

ووزنه:

مستفعلن ... مستفعلن

وقد تأتي التفعيلة الأخيرة على وزن: (مفعولن)، أو (مفاعلن)، أو (فعولن)، أو (مفتعلن)، أو (فعلتين)، وهناك تفاصيل أُخرى لا داعي لذكرها، أُطلبها في مضانها، أُنظر: بنوي، عبد العزيز، وخدارة، سالم عباس، العروض التعليمي: ص١٢٢.

(٣) أُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٨، ص٦٧.

(٤) أُنظر: الجودي، شاكر، إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام: ص١١.

النقطة الثانية: أهمّ أغراض الرجز

كسائر البحور استخدم الشعراء بحر الرجز في مختلف الأغراض: كالرثاء، والهجاء، والحرب، والسياسة، والتعليم، والطبيعة... ولكن يبدو أنّ أبرز الأغراض التي استُخدم فيها هذا اللون من الشعر، هي ثلاثة:

١ـ الشعر التعليمي.

٢ـ هدهدة الطفولة.

٣ـ المنازلة والحرب.

أولاً: الشعر التعليمي

دأب العلماء المتضلّعون في الأدب على صبّ أغلب علومهم في قوالب من الرجز؛ والهدف الرئيس من وراء ذلك، هو أن يسهل على الطالب حفظ الشعر، فإذا حفظه حفظ المادّة العلمية التي يتضمّنها، وقد كتب الغالب من العلماء بالرجز، وإن لم يقتصروا في الشعر التعليمي على الرجز، بل اعتمدوا البحور الأُخرى؛ لأنّ الرجز سلس، سهل التناول والحفظ، له تأثير نفسي، لتوالي حركاته وسكناته، وهو ما يخفّف من حدّة وصعوبة المادّة العلمية. وقد امتازت الأراجيز العلمية بسهولة العبارة ووضوحها واختصارها؛ كلّ ذلك بهدف أن يتمكّن الطالب منها من دون عناء.

وقد ذكر الأُستاذ الدكتور محمد رضا ديوسر خمسمائة واثنتين وسبعين أُرجوزة في شتّى العلوم[1]، ولعلّ من أبرزها وأشهرها أُرجوزتين:

١ـ أُرجوزة ابن مالك، وهي منظومة في العلوم العربية، تتكوّن من ألفين وبيتين اثنين من الشعر، يقول في أوائلها:

قال محمد هو ابن مالكِ ... أحمد ربّي الله خير مالكِ

مُصلياً على النبيّ المصطفى ... وآله المستكملين الشرفا

وأستعين الله في ألفيه ... مقاصد النحو بها محويه

(١) أُنظر: ديوسر، محمد رضا، الرجز والرجاز في الأدب العربي: ص١٢٣، وما بعدها.

تقرّب الأقصى بلفظ موجز ... وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضي رضاً بغير سخطِ ... فائقة ألفية ابن معطِ
وهو بسبق حائز تفضيلا ... مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافره ... لي وله في درجات الآخره

وفي (الكلام وما يتألّف منه)، قال:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثمّ حرف الكلم
واحده كلمة والقول عم ... وكلمة بها كلام قد يؤم[1]

٢ـ الدرّة النجفية، وهي أُرجوزة في الفقه، نضمها السيّد مهدي بحر العلوم، يقول في أوّلها:

أفتتح المقال بعد البسملة ... بحمد خير منعم والشكر له
مُصلياً على نبيّ الرحمه ... وآله الأطهار أهل العصمه
وبعد فالعلم طويل سلّمه ... سامكة أفلاكه وأنجمه
وإنّ علم الفقه في العلومِ ... كالقمر البازغ في النجومِ
بنوره من بعد شمس المعرفه ... معالم الدين غدت منكشفه
كم نظم الأصحاب فيه من غُرر ... ونثروا نثر النجوم من دُرر
وهذه منظومة في الفنِّ ... تدخل في الأُذن بغير إذنِ
تدعو إلى إتقانه وحفظه ... وضبط معناه بضبط لفظه
قدنجمت من العزى[2] ذي الشرف ... فانتظمت في الدرّ من حصى النجف
تزهو على قلائد العِقيانِ ... على نحور الخرّد الحسانِ

(١) أُنظر: ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل: ج١ ص١٣، وما بعدها.
(٢) هكذا جاءت الكلمة في المصدر المنقول عنه، ولعلّ تصحيفاً طرأ على الكلمة، وأنّ الأصل فيها هو (الغري).

غـــرّاء قـد وسمتُها بـالـدرّة ... تـاريخـهـا عـام الـــشروع غـرّه
أعـــددتهـــا ذخـــيرةً لـلآخـره ... أرجـو بها تخفيف وزر الـوازره
وأســـأل الله الكريم ذا المنن ... أن يقرن النفع بها مدى الزمن
ويجـــري الحـــقّ عـلى لساني ... ويـطـلـق الـلـسـان بـالـبـيـانِ

وفي (كتاب الطهارة، باب المياه)، قال:

المـــاء مـا سـمّـي (مـــاءً) مطلقا ... فضلاً على الناس طهوراً خلقا
وإنّـــــما يـنـجـس لـــو تـغـيّرا ... من (نجس عيناً) طرى فغيّرا
في اللون أو في (الطعم) أو في (الريحِ) ... لا غيرها (حِسّاً) على الصحيحِ[1]

ثانياً: أراجيز الطفولة

الولد هو الريحانة والأمل الذي يرى فيه الوالدان امتدادهما الطبيعي، وخلودهما في الحياة، وبما أنّ الرجز غير مستعصٍ، وسهل التناول، وله موسيقى مرقصة، فقد دأبت الأُمّهات قديماً وحديثاً، وفي مختلف اللغات، على ترقيص أبنائهنّ، والإنشاد لهم بهذا الوزن.

وهنا أيضاً تتعدّد مرامي ومناحي المنشدات، فمنهنّ مَن تدعو أن يعيذه الله من المكائد، فتقول:

أعـــيـــذه بـــالـــواحـــدِ ... مـــن شرِّ كـــلّ حـاسـدِ
وكـــــلِّ خـلـق رائـــدِ ... مـــن قـــائـــمٍ وقـاعـــدِ
عـــلى سـبـيـل حـائـدِ ... عـــلى الـفـســاد جـاهـدِ
مـــن نـــافـــثٍ وعـــاقـــدِ ... في طُـــرق المـــــوارد[2]

(١) بحر العلوم، مهدي، الدرّة النجفية: ص٢ـ٣.

(٢) ويقال: إنّ هذه الأبيات وجدتها آمنة بنت وهب عند رأسها لما حملت بالنبيﷺ، أُنظر: الجودي، شاكر، إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام: ص٦٤.

وأُخرى تعتبره ثروة كبيرة، ولا تريد إنفاق شيء منها، فتقول:

أحبّه حبّ الشحيح ماله قد ذاق طعم الفقر ثمّ ناله

إذا أراد بذله بدا له[1]

ومنفوسة بنت زيد الفوارس كانت تريد لابنها أن يشبه أباه أو خاله، أمّا أبوها، فهي لا ترى له ندّاً، ولا يدانيه أحد سموّاً وعلوّاً ومجداً، فتقول:

اشبه أخي أو اشبهن أباكا أمّا أبي فلن تنال ذاكا

تقصر أن تناله يداكا[2]

وكانت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام تنشد للحسن عليه السلام أبياتاً تربوية، تصرّح من خلالها بأنّه شبيه بأبيه علي عليه السلام، وتحثّه على إطلاق الحقّ وعدم تقييده، وعبادة الواحد المنّان، والبراءة من أعدائه، فتقول:

اشبه أباك يا حسن واخلع عن الحقّ الرسَن

واعبد إلهاً ذا منَن ولا تُوالِ ذا الإحَن[3]

كما أنّها كانت ترى أنّ الحسين عليه السلام أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام، فتأخذه وتضمّه إليها، وتقول:

أنت شبيهٌ بأبي لست شبيهاً بعلي[4]

ولم تقتصر أناشيد الأُمّهات على مدح الأوّلاد الذكور، بل كنّ يرقّصن بناتهن وينشدن الأماني، فهذه عربية ترقّص بنتها، وترجو لها أن تكون طويلة ورشيقة كأنّها نخلة، فتقول:

سبحلة ربحله تنمي نبات النخله[5]

(١) المصدر السابق: ص٧٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أُنظر: الأمين، محسن، المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية: ج٢، ص٢٤١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٣٢٣.

وكانت إحداهن لا ترى لولدها مثيلاً في الدنيا، فتقول:

يـا حـبّـذا ريـح الـولـد ريـح الخُـزامَـى في البلد
أهـكـذا كـلّ ولـد أم لم تـلـد قـبـلي أحـد[1]

ثالثاً: أراجيز الحرب

لا ريب في أنّ الرجز من الأشعار الأكثر التصاقاً بساحة الحرب؛ لأنّها أجواء الحماسة والاندفاع وسرعة الحركة، والأخذ بالمبادرة، والإجهاز على العدو، وهذا ما يناسبه الحركات المتوالية، والكلمات الموسقة الخفيفة، التي تشعرك بالاهتزاز، فهي بمثابة (الهوسة) باللغة الدارجة الشعبية في الحروب المعاصرة، بل هي نفسها؛ لأنّ (الهوسة) هي تطوّر للأُرجوزة باللغة الدارجة.

«**فالذي يسهّل أمر المراجزة ويعينهم عليه، توافر الائتلاف في أجزائه، ونظم تفعيلاته الراسية المدى، وهي قابلة للتجزئة والانشطار، ثمّ يصير منهوكاً، كما تنتابه النقيصة، ويكثر فيه التصريع، ممّا يزيد في سرعة نظمه، ويركبه الشعراء، ولهذا دُعي بحمار الشعر**»[2].

وبما أنّ ساحة الحرب ليست ساحة تأمّل ليؤتى بالكلمات المغلقة والمطلسمة، بل هي ساحة الحماسة والنزال والاندفاع، يكون الرجز بيتاً أو بيتين أو ثلاثة في الغالب، بكلمات واضحة ومباشرة.

ومن هنا لا ينثني المقاتل العربي عن الرجز، حتّى لو أصابته الجراحات، بل حتّى لو قطعت بعض أعضائه، كما يروى عن عائذ بن حملة التميمي، حيث كسرت يده ونابه في الحرب، فارتجز قائلاً:

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج٤، ص٢٥٥.
(٢) ديوسر، محمد رضا، الرجز والرجاز في الأدب العربي: ص٦١.

إن تكسروا نابي وعظم ساعدي فإنّ فيّ سورة المناجدِ

وبعض شغب البطل المبالد[1]

وقد يرمي المقاتل بنفسه في لهوات الحرب غير مكترث، ودون أن يفكر في وقايتها من الردى، بل يُعرب في رجزه بأنّه على يقين من أنّ ربّه سينقله ـ إن استُشهد ـ إلى النعيم المقيم، كما ارتجز جعفر بن أبي طالب عليه السلام يوم مؤتة:

يا حبّذا الجنّة واقترابها طيّبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها عليّ إذ لاقيتها ضرابها[2]

فاستُشهد عليه السلام بعد أن قطعت كفاه.

أراجيز واقعة الطف

كما نبّهنا في مطلع البحث، فإنّ كربلاء ـ كسائر الوقائع والحروب ـ حفلت بالكثير من الأراجيز ذات المعاني العالية، من قبل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّ اللافت للنظر أنّ أصحاب عمر بن سعد وجيش السلطة لم يصدر منهم أيّ رجز على الإطلاق، وهذا شيء يدعو للتأمل، فإنّنا قد لا نجد واقعة تخلو من الأراجيز من كلا الطرفين، ففي واقعة الجمل ـ مثلاً ـ بالرغم من أنّ طلحة والزبير ومَن معهم كانوا في مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو الخليفة الشرعي، وهم الذين نكثوا البيعة، وخرجوا على إمامهم، وبالتالي فإنّ موقفهم مجانب للحقّ تماماً، إلّا أنّهم وجدوا ـ من وجهة نظرهم ـ أنّ هناك قيمة يمكن الدفاع عنها، فارتجز بعضهم بقوله:

يا معشر الأزد عليكم أُمّكم فإنّها صلاتكم وصومكم

والحرمة العظمى التي تعمّكم فأحضروها جدّكم وحزمكم

لا يغلبنْ سمّ العدو سمّكم إنّ العدو إن علاكم زمّكم

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص١٩٣.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي المكارم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٢٣٦.

وخصّكم بجوره وعمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم[1]

وواضح من هذا الرجز أنّه يعتبر قائدة الجمع حرمة عظمى بمنزلة الصلاة والصوم.

وقال آخر:

يا أُمّنا عائش لا تراعي كلّ بنيك بطل المصاعِ
ينعى ابن عفّان إليك ناعي كعب بن سور كاشف القناعِ
فارضي بنصر السيّد المطاعِ والأزد فيها كرم الطباعِ[2]

فهم يرون قائدة عسكرهم قيمة ترخص من دونها أرواحهم.

وقال آخر:

يا أيّها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستغيثوا الرحمن
إنّي أتاني خبر ذو ألوان أنّ علياً قتل ابن عفّان
ردّوا إلينا شيخنا كما كان يا ربّ وابعث ناصراً لعثمان
يقتلهم بقوّة وسلطان[3]

وهذا يجد بين يديه قيمة يصرّح بالدفاع عنها، أَلا وهي الطلب بدم الخليفة الثالث، فهؤلاء القوم بالرغم من ضحالة موقفهم، ووضوح باطلهم؛ لخروجهم على الخليفة الشرعي وإمام زمانهم، إلّا أنّهم وجدوا ـ من وجهة نظرهم ـ ما يمكن أن يدافعوا عنه، ويرتجزوا له.

وهكذا نجد المعسكر الذي واجه أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين، فهذا ابن العاص يرتجز في بعض أيام صفّين بقوله:

«أنا الغلام القرشيّ المؤتَمن الماجد الأبلج ليث كالشطن

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد بن محمد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٥٥.
(٢) المصدر السابق: ص٢٥٥.
(٣) المصدر السابق: ص٢٥٤ـ٢٥٥.

ترضى بي الشام إلى أرض عدن　　يا قادة الكوفة يا أهل الفتن
أضربكم ولا أرى أبا حسن　　كفى بهذا حزناً من الحزن

فضحك علي عليه السلام، وقال: إنّه لكاذب، وإنّه بمكاني لعالم، كما قال العربي: (غير الوهى ترقعين وأنت مبصرة)، ويحكم أروني مكانه لله أبوكم، وخلاكم ذم»[1].

وهكذا نسمع بسر بن أرطأة يرتجز في مواجهة جيش الحقّ، فيقول:

أنا ابن أرطأة العظيم القدرِ　　مردّد في غالب وفهرِ
ليس الفرار من طباع بسرِ　　إن أرجع اليوم بغير وترِ
وقد قضيت في العدو نذري　　يا ليت شعري كم بقي من عمري[2]

بل أكثر من ذلك، فإنّنا نجد أنّ المشركين كانوا يرتجزون في مواجهة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحد، طلباً لثأرهم يوم بدر، فهذه هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ترتجز بقولها:

ويهاً بني عبد الدار　　ويهاً حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتّار[3]

ولها رجز آخر تحضّ فيه على مجاهدة النبي صلى الله عليه وآله، فتقول:

نحن بنات طارق　　نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق　　ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق　　فراق غير وامق[4]

والنتيجة التي نريد أن نفضي إليها من وراء هذا السرد، هي أنّ موقف عمر بن سعد وأصحابه يوم كربلاء كان موقفاً مخزياً، بلغ حدّاً من التسافل والضحالة لم يمكنهم معها أن يقولوا كلمة واحدة من الرجز في مواجهة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج٨، ص٤٦.
(٢) المصدر السابق: ص٧١.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص١٩٦.
(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص١٥٣.

وما ذاك إلّا دليل على الهزيمة النفسية التي مُني بها القوم؛ لأنّهم يرون بطلان موقفهم رأي العين، خصوصاً بعد خطب وكلمات أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه، التي لم تترك عذراً لمعتذر، ولا مجالاً لغير مستبصر، ممّا جعلهم يقفون حيارى، يلوذون بصمتهم، غير قادرين على جوابه، فضلاً عن مناجزته والرجز في مواجهته.

وقد تقول: إنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود، وبعبارة أُخرى: إنّ عدم عثورنا على أراجيز من خلال البحث لا يدلّ على أنّ القوم لم يرتجزوا، فقد تكون هناك بعض الأراجيز، إلّا أنّ التاريخ لم ينقلها.

وجواب ذلك في نقطتين:

النقطة الأُولى: لو كان هناك رجز لنقل وبان، خصوصاً بعد الالتفات إلى أنّ الذين رووا حادثة الطف هم على أقسام:

القسم الأوّل: المعصومون الذين حضروا الواقعة، وهم اثنان: الإمام زين العابدين عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام.

القسم الثاني: غير المعصومين من أهل البيت عليهم السلام من الناجين كالنساء والأطفال، ومن أهمّهم بطبيعة الحال العقيلة زينب عليها السلام.

القسم الثالث: الناجون من المقاتلين من أصحاب الحسين عليه السلام، ومنهم:

١ـ الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٢ـ الضحّاك بن عبد الله المشرقي.

القسم الرابع: (المحايدون)، كحميد بن مسلم الذي كان يسجّل الوقائع، فهو كالمراسل الذي يدخل المعركة لتقديم التقارير الخبرية، وتسجيل الأحداث والمشاهد في هذه الأيام.

القسم الخامس: جميع أفراد المعسكر المعادي للحسين عليه السلام، من قادة وأفراد وعبيد...

ومن ذلك نفهم أنّه من غير المعقول أنّ كلّ هؤلاء الذين رووا لنا أدقّ التفاصيل[1] يغضّون النظر عن أراجيز المواجهين للحسين عليه السلام، خصوصاً القسم الخامس الذي يعتبر الرجز نقطة قوّة لموقفهم، فهم في المعركة وبعدها كانوا يتبجّحون بفعلهم ويعتبرونه حسناً؛ لأنّه ـ من وجه نظرهم ـ طاعة للخليفة، ومجاهدة للخارجين على الطاعة... كما سيتبيّن في النقطة التالية.

النقطة الثانية: لا شكّ أنّ عدداً من رموز الأعداء والمقاتلين ارتجزوا، وقالوا شعراً في النصر والغلبة على أهل البيت عليهم السلام بعد المعركة، وقد نقل لنا التاريخ ذلك، فلماذا يُنقل ما بعد المعركة، ولا ينقل ما فيها؟!

ومن أمثلة ذلك: قول بعضهم أمام ابن مرجانة:

املأ ركابي فضّة وذهبا ... أنا قتلت الملك المحجّبا

ومَن يصلّي القبلتين في الصبا ... وخيرهم إذ يذكرون النسبا

قتلت خيرَ الناس أُمّا وأبا[2]

وقول مروان اللعين لما جيء برأس الحسين عليه السلام:

يا حبّذا بردك في اليدين ... ولونك الأحمر في الخدّين

كأنّما حفّ بوردتين ... شفيت نفسي من دم الحسين[3]

ومنه قول يزيد اللعين حينما طلعت عليه المحامل التي تحمل بنات الرسالة سبايا، ومعهن رؤوس الشهداء:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الشموس على ربى جيرونِ

نعب الغراب فقلت صحْ أو لا تصحْ ... فلقد قضيت من النبيّ ديوني[4]

(١) ومن ذلك ما رواه حميد بن مسلم، من أنّ القاسم بن الحسن عليه السلام لما برز قُطع شسع نعله، قال: «ما أنسى أنّها كانت اليسرى». الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٧٥.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٠.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٢٦.

(٤) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٢١٨.

أراجيز المعسكر الحسيني

بمتابعة كتب المقاتل قلّما نجد رجلاً من أصحاب الحسين عليه السلام نزل إلى الميدان وهو لا يرتجز، خصوصاً أولئك الذين كانت لهم مبارزات فردية، بل إنّ بعضهم له أكثر من رجز، كأبي الفضل العبّاس عليه السلام الذي نقل عنه ثلاث أراجيز، واحدة منها عندما نزل إلى المشرعة، والثانية عندما قطعت يمينه، والثالثة عندما قطعت شماله، فهذه الأراجيز تُعتبر ظاهرة في جبهة الحسين عليه السلام وأنصاره عليهم السلام، وقد كانت أراجيزهم تستهدف معالي الصفات والغايات التي حملوها، ودافعوا عنها، واستشهدوا من أجلها. وسنحاول هنا أن نذكر شيئاً من عناوينها ضمن عدّة نقاط:

النقطة الأوّلى: الإقدام والنجدة، فقد دلّت هذه الأراجيز على أنّ هؤلاء القوم من أهل الشجاعة والإقدام، وأنّهم لا يرهبون صولة العدو، ولا ينثنون أمامه؛ ومن ذلك قول أبي الفضل عليه السلام:

لا أرهب الموت إذ الموت زقا ... حتى أُوارى في المصاليت لقا

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى ... إنّي أنا العبّاس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى[1]

النقطة الثانية: التعريف ببعض ما يؤدونه من مهام كريمة؛ ومن ذلك ـ مثلاً ـ سقاية الماء التي أعرب عنها أبو الفضل عليه السلام في الرجز المزبور.

النقطة الثالثة: التعبير عمّا في نفوسهم من البصيرة والصفاء ووضوح الرؤية؛ ومن ذلك قول عبد الله بن مسلم عليه السلام، وأُمّه رقية الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي ... وعصبة بادوا على دين النبي[2]

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص٣٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص٣١٧.

أو كقول زهير بن القين:

أقـدم هديت هـاديـاً مهديّاً ... الـيـوم ألـقـى جـدّك النبيّا

وحـسـنـاً والمـرتـضى عليّا ... وذا الجناحين الفتا الكميّا

وأسد الله الشهيد الحيّا[1]

أقول: وقد شهد لهم العدو قبل الصديق بأنّهم قوم أُولوا بصائر، وذلك حين برز مسلم بن عوسجة، وهو يرتجز ويقول:

«إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد ... من فرع قوم من ذرى بني أسد

فمَن بغانا حائد عن الرشد ... وكـافـر بـديـن جـبّـار صمد

فقاتل قتالاً شديداً، وصاح عمرو بن الحجّاج بالناس: يا حمقاء! أتدرون مَن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحد، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم، فقال ابن سعد: صدقت»[2].

النقطة الرابعة: التنويه بالمعاني العالية التي يدافعون عنها، كقول أبي الفضل:

والله إن قطعتموا يميني ... إنّي أُحـامـي أبـداً عن ديني

وعـن إمـامٍ صـادق اليقينِ ... نجل النبي الطاهر الأمـينِ[3]

أو كقول الحرّ بن يزيد الرياحي:

إنّي أنا الحرّ ومـأوى الضيفِ ... أضرب في أعناقكم بالسيفِ

عن خير مَن حلّ بأرض الخيفِ ... أضربكم ولا أرى من حيفِ[4]

النقطة الخامسة: التعريف بذواتهم وأنسابهم، وقد تقدّم بعض ذلك؛ ومنه قول

(١) المصدر السابق: ص٢٩٨.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٥٢.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص٣٢٧.

(٤) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٢٥.

القاسم بن الحسن عليه السلام:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن ... سبط النبيّ المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سُقوا صوب المزن[1]

وكقول حبيب (رضوان الله عليه):

أنـا حبيب وأبي مظهر ... فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعدّ عدّة وأكثر ... ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجّة وأظهر ... حقاً وأتقى منكم وأعذر[2]

النقطة السادسة: الرفض للمعاني الدنيئة، والسير وفق مقاييس لا يأباها العقل السليم، ومَن سار على الصّراط المستقيم، كقول أبي عبد الله عليه السلام:

الموت أَولى من ركوب العارِ ... والعار أَولى من دخول النارِ[3]

النقطة السابعة: رفض الذلّ والعبودية، وطلب العزّ والحرية وإن كان الثمن باهضاً، يستدعي أن يضحّي الإنسان بحياته من أجله، كقول مسلم بن عقيل عليه السلام:

أقسمت لا أُقتل إلّا حرّا ... وإن رأيت الموت شيئاً نُكرا
أكره أن أُخدع أو أُغرّا ... أو أخلط البارد سخناً مرّا
رُدّ شعاع الشمس فاستقرّا ... كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّا
أضربكم ولا أخاف ضرّا[4]

النقطة الثامنة: الافتخار بالقيادة التي يسيرون في ركبها؛ لكونها قيادة لا تضاهى

(١) المصدر السابق: ص١٧٥.
(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٤، ص٥٥٥.
(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص٣٣٤.
(٤) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٤.

ولا تباهى، كقول عمرو بن جنادة:

أميري حسين ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير

علي وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير

له طلعة مثل شمس الضحى ... له غرّة مثل بدر منير[1]

النقطة التاسعة: رفض حكومة الظلم والجور ورمزها الطاغية يزيد وعبيد الله ابن زياد، كقول علي بن الحسين عليه السلام:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أَولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي ... أضرب بالسيف أُحامي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي[2]

النقطة العاشرة: التصريح بأنّه لا قيمة للنفس أمام القائد الفذّ، بل هي هيّنة رخيصة أمام وجوده وطاعته، فتجب مواساته، بل المبالغة في المواساة، كقول العبّاس عليه السلام:

يا نفسُ من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنتِ أو تكوني

هذا الحسين وارد المنونِ ... وتشربين بارد المعينِ

تالله ما هذا فعال ديني[3]

ولهذا ورد في الزيارة: «**أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود...**»[4].

النقطة الحادية عشرة: التصميم على الهدف الحقّ بعزم لا يلين، وهمم لا تنثني، كقول الحسين عليه السلام:

أنا الحسين بن علي ... آليت أن لا أنثني[5]

(١) المصدر السابق: ص١٦٤.

(٢) المصدر السابق: ص١٧٠.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين: ص٣٢٦.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص١٢٣.

(٥) المصدر السابق: ص٣٣٥.

النقطة الثانية عشرة: الدفاع عن الأهل والحرم، وهو جزء من واجبات المرء تجاه ربّه أولاً، وتجاه عياله ثانياً، كقول الحسين عليه السلام في الشطر الثاني من الرجز المتقدّم:

أحمـــي عـــيـــالات أبي أمضـي عـلى ديـن النبي[1]

وبالجملة، فإنّ هناك الكثير من المعاني والدلالات التي تختزنها هذه الأراجيز، ولسنا هنا بصدد استقرائها والمرور عليها جميعاً، وإلّا فسيطول بنا الحديث، ويتحوّل البحث إلى كتاب، وما يهمّنا هو الإشارة إلى أنّ كلمات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه يوم الطف كانت على ثلاثة أشكال تقريباً:

الشكل الأوّل: الأدعية التي توجّهوا بها إلى الله تعالى.

الشكل الثاني: الكلمات الموجّهة للأعداء، وهي عبارة عن الخطب والمواعظ والحوارات التي أداروها مع القوم.

الشكل الثالث: ما نحن فيه من الأراجيز التي هي كلمات حماسية يندفع معها المقاتل بصلابة لمجابهة العدو.

وهذه الأشكال الثلاثة بمجموعها عبّرت عن رسالة الإمام الحسين عليه السلام للجيل المعاصر، وللأجيال اللاحقة، لفهم موقفه وتحديد هدفه، ولعلّ سنام الهدف الحسيني هو استعادة الأُمّة لإرادتها التي كُسرت بيد الطغيان الأُموي، والدفع بها لتحمّل مسؤوليتها، والدفاع عن هويتها ووجودها، وصنع «**مزاج اجتماعي متقبّل للمقاومة وثقافتها في مجتمع طريق الإمام عليه السلام، لقد تمّ تمرير الثقافة الحسينية بنجاح في مرحلة الثورة والواقعة إلى مرحلة التمثيل الثقافي في المجتمع، وهذا ما حقّق الهدف من الثورة، وإنجاحها بشكل معجز وتاريخي**»[2].

لقد كانت كلمات الإمام الحسين عليه السلام المكمّل الثقافي إلى جانب ضربات سيفه، فكما تقوّم هذه الأخيرة الاعوجاج والانحراف الذي دبّ في جسد الأُمّة، كانت كلماته

(١) المصدر السابق.

(٢) الناصر، غالب، البناء الاجتماعي والثقافة الحسينية: ص١٨٦.

ترسم طريقاً لاحباً مستقيماً، لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، كما قال الشاعر:

خلطَ البراعةَ بالشجاعة فالصليلُ عن الدليلِ

للسانه وسنانهِ صدقان من طعن وقيلِ[1]

إنّ ممّا لا ريب فيه: أنّ الخطاب والإنتاج اللُّغوي هو أقوى أدوات التواصل بين المجتمعات، بل التواصل مع الأجيال اللاحقة؛ ومن هنا نجد أنّ الكثير من كلمات الإمام الحسين عليه السلام ظلّت محفورة في ذاكرة الأجيال، وأخذت بُعداً تداولياً، وأصبحت شعارات يطلقها المجاهدون والمنتفضون على الطغيان في كلّ عصر وحين، من قبيل: «**هيهات منّا الذلة**»، و«**لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما**»، و«**الموت أَولى من ركوب العار**».

إنّ التزام الأُمّة بهذه الكلمات وهذه الشعارات، ورفعها في وجوه الطواغيت، يمثّل نحواً من الاستجابة لصرخة الحسين عليه السلام يوم الطفّ: «**هل من ناصر ينصرنا**».

لقد «**كان صوت الإمام الحسين عليه السلام يدوّي في صحراء كربلاء: أَلا من ناصر ينصرني، أَلا من ناصر ينصر دين الله، قد بلغ الفتح، كصوت جدّه إبراهيم عليه السلام عندما أذّن بالحجّ في جرود مكّة المقفرة والخالية من السكّان في حينها، وأفهم الأُمّة وظيفتها الشرعية، وتكليفها الإلهي، أو ما ينبغي عليها القيام به من أجل التغيير، واستعادة الهداية في أوساط الأُمّة جميعاً، والحفاظ على كرامتها وحرّيتها وإسلامها أمام تجبّر الطواغيت وأنصارهم، من الجهلة وشذّاذ الآفاق والمنافقين**»[2].

وقفة عند أُرجوزتين للحسين عليه السلام

في هذا المفصل من البحث نريد أن نتجاوز كلّ الأراجيز، ونتوقف عند أُرجوزتين للإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك لأنّ كلام الإمام غير كلام سائر البشر، فهو إمام الكلام، وهو تعبير عن روح الشريعة، ويمكن أن نستفيد منه أحكاماً وقواعد شرعية.

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١٠، ص٢٤٢.

(٢) الناصر، غالب، البناء الاجتماعي والثقافة الحسينية: ص٢٣٠.

قال المؤرّخون: «وتقدّم الإمام الحسين عليه السلام نحو القوم مصلتاً سيفه، آيساً من الحياة، ودعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقتل كلّ مَن برز إليه حتّى قتل جمعاً كثيراً، ثمّ حمل على الميمنة، وهو يقول:

الموت أَولى من ركوب العارِ والعار أَولى من دخول النار

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أنـــا الحـــسين بـــن عـلي آلـــيـــت ألّا أنـثـنـي
أحمـــي عـــيـــالات أبي أمـضي عـلى ديـن الـنـبـي»[1]

وقبل الغوص في تفاصيل ذلك، نلفت النظر إلى أنّ للإمام الحسين عليه السلام أُرجوزة ثالثة، قالها مساء اليوم التاسع، أي: قبل المعركة بيوم، قال المفيد: «قال علي بن الحسين عليه السلام: إنّي لجالس في تلك العشية التي قُتل أبي في صبيحتها، وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذ اعتزل أبي في خباء له، وعنده جوين مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويُصلحه، وأبي يقول:

يا دهـر أفٍّ لك من خليلِ كم لك بـالإشراق والأصيلِ
من صاحب أو طالب قتيلِ والـدهـر لا يقنع بالبديلِ
وإنّـــما الأمـــر إلى الجليلِ وكـــلُّ حـــيٍّ سـالـك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً، حتّى فهمتها، وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة، فردّدتها ولزمت السكوت، وعلمت أنّ البلاء قد نزل، وأمّا عمّتي، فإنّها سمعتْ ما سمعتُ، وهي امرأة، ومن شأن النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها، وإنّها لحاسرة، حتّى انتهت إليه، قالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمّي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي...»[2].

(١) المقرّم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٣٤.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٣.

فهذه الأبيات أيضاً من الرجز، ولكنّنا سنتجاوزها أيضاً، بالرغم من أنّها ذات دلالات وإشارات قيّمة؛ لأنّنا هنا بصدد دراسة أراجيز المعركة، أي: التي قيلت حين حمي الوطيس، وليست غايتنا أن نتتبّع كلّ شعر من بحر الرجز قيل في كربلاء بعنوانها العريض.

وعلى أيّ حال، فنحن الآن أمام أُرجوزتين حسينيتين، الأُولى رائية من بيت واحد، والثانية يائية من بيتين.

الأُرجوزة الأُولى

الموت أَولى من ركوب العارِ والعار أَولى من دخول النارِ

مثلّث (الموت ـ العار ـ النار)، خيارات ثلاثة أحلاها مرٌّ، ولكنّ الشيء القطعي والجزمي الذي لا يقبل النقاش، هو رفض الخيار الثالث (النار) في كلّ الأحوال، وفي مختلف الظروف، وتحت أيّ تبرير؛ لأنّ (النار) تعبير عن نكال الله تعالى وعقابه وسخطه، وهذا طبعاً ما لا يرضاه المؤمن لنفسه مهما كان الثمن، فضلاً عن إمام معصوم مفترض الطاعة بوزن وحجم الإمام الحسين عليه السلام، وإنّ ممّا لا ريب فيه أنّ النار لا تكون إلّا نتيجة لمقدّمات غير مرضيّة لله تعالى، وفي هذا المعنى جاءت الآيات ترى، منها: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

---

(١) هود: آية١٥ـ١٦.

(٢) هود: آية١١٣.

(٣) البقرة: آية٢٥٧.

وغير ذلك كثير، يزيد على المائة آية، من غير الآيات التي ذكرت النار بمسمّيات أُخرى، كسقر وجهنّم والجحيم... فلا يمكن أن تكون النار خياراً مقبولاً لأولياء الله مهما كان البديل، حتّى لو كان العار، وإذا ما رجعنا إلى أُرجوزة سيّد الشهداء عليه السلام، نجده يقرّر أنّ (العار أَولى من دخول النار)؛ لأنّ دخول النار ـ كما تقدّم ـ معناه سخط الله تعالى وعقابه وغضبه.

ثمّ إذا ما تجاوزنا النار، فالخيارات هيّنة بعض الشيء، ولكن لو دار الخيار بين الموت والعار، فإنّ الموت أَولى، بل هو السعادة، كما قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما**»[1]؛ ولهذا نجده عليه السلام رفض البيعة ليزيد، وتحمّل نتائج هذا الرفض بنفس أبيّة، وروح هاشمية.

في حين أنّنا نجد البعض يبايع مع الذلّ والعار والصغار، فهذا عبد الله بن عمر، «**وهو أحد الممتنعين عن بيعة علي عليه السلام بعد عثمان، وتاركي الخروج معه في حروبه، ولكنّه لما ولي الحجّاج الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان جاءه ليلاً ليبايعه، فقال له الحجاج: ما أعجلك؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، (أو ما هذا مضمونه)، فقال له: إنّ يدي مشغولة عنك ـ وكان يكتب ـ فدونك رجلي، فمسح على رجله وخرج، فقال الحجّاج: ما أحمق هذا! يترك بيعة علي بن أبي طالب، ويأتيني مبايعاً في ليلته**»[2].

ألم يكن الموت أهون على المؤمن من موقف كهذا الذي مرّ به ابن عمر؟ وقد حصلت له أُمور بعد هذه البيعة المشؤومة، كان حريّاً به أن يموت ألف موتة ولا يفعلها، فراجع ترجمته لتطّلع على ذيول الخبر[3].

وأين هذا من موقف الحسين عليه السلام حين نزل كربلاء، فكتب له ابن زياد: «**أمّا بعدُ**

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١١٠.
(٢) النيسابوري، الفضل بن شاذان، الإيضاح: هامش ص٧٤.
(٣) أُنظر: المصدر السابق.

يا حسين، فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسّد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو تنزل على حكمي وحكم يزيد والسلام. فلما قرأ الحسين الكتاب رماه من يده، وقال: لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق، وعندما طالبه الرسول بالجواب، قال: ما له عندي جواب؛ لأنّه حقّت عليه كلمة العذاب»[1].

وخلاصة القول: أنّنا نفهم من هذا الرجز ـ طبقاً لقاعدة التزاحم ـ أنّ المؤمن يقدّم دائماً مصلحة دينه على مصلحة نفسه، فلو لم يكن أمامه إلّا طريقان: طريق الموت وطريق العار، فإنّه يسلك طريق الموت، كما قال أبو عبد الله عليه السلام حين قال له الحرّ: **«لئن قاتلت لتقتلن. فقال عليه السلام أفبالموت تخوّفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، وهو يُريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابن عمّه، وقال: أين تذهب؟ فإنّك مقتول، فقال:**

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسهِ ... وفارق مثبوراً وودّع مجرما
أُقدّم نفسي لا أُريد بقاءها ... لتلقى خميساً في الوغى وعرمرما
فإن عشت لم أندم وإن متّ لم أُلم ... كفى بك ذلاً أنّ تعيش وترغما»[2]

فالموت في سوح الوغى لا عار فيه، بل يكسب به المرء الفوز لنفسه، والمجد لأهله وولده.

الأُرجوزة الثانية

أنا الحسين بن علي ... آليت ألّا أنثني
أحمي عيالات أبي ... أمضي على دين النبي[3]

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٣٤.
(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٩٤.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٩.

من كلّ بيت من هذين البيتين، بل من كلّ شطر ـ سواء كان الصدر أو العجز ـ نستفيد فائدة أو عدّة فوائد، سنعرضها على التوالي.

قولهعليه السلام: «**أنا الحسين بن علي**»، ويتضمّن هذا الشطر عدّة أُمور:

الأمر الأوّل: الجري على ما كانت تفعله العرب في الرجز من التعريف بالنفس.

الأمر الثاني: أنّ هذا التعريف بالنفس يدحض كلّ حجّة، وكلّ عذر لمعتذر، فلا يمكنه أن يدّعي أنّه لا يعرف مَن يواجه، فكأنّه عليه السلام يُريد أن يقول: أنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول عليهما السلام، أنا الذي وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله بسيّد شباب أهل الجنّة، وإنّي إمام قمت أو قعدت، أنا ريحانته من الدنيا، أنا سبطه الذي خلفني فيكم... فلا يتورّط أحد بدمي، ثمّ يأتي يوم القيامة فيعتذر بأنّه لم يكن يعرف أنّه في مواجهة مَن.

الأمر الثالث: أنّه عليه السلام أراد أن يذكّرهم بأنّه ذلك البطل المقدام الذي خبروا ضرباته في الجمل وصفّين والنهروان، إنّه ابن علي المسمّى بالكرار الذي يقول: «**لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها...**»[1].

قوله عليه السلام: «**آليت أن لا أنثني**»، وفيه عدّة أُمور:

الأمر الأوّل: (آليت) أي: حلفت، قال ابن منظور: «**... الفعل آلَى يُؤْلِي إيلاءً: حَلَفَ... وقد تَأَلَّيْتُ وأَتَلَيْت وآلَيْتُ على الشيء وآلَيْتُه: أَقْسَمْت... وفي حديث أنس ابن مالك: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) آلى من نسائه شهراً، أي: حلف لا يدْخُل عليهن**»[2].

الأمر الثاني: يعرب الإمام عليه السلام بعد القسم عن أنّه لا ولن ينثني، أي: لن يتراجع عمّا هو مُقدم عليه، مهما كانت النتائج، وهذا تعبير عن صلابة الموقف، وصدق الهدف؛ لأنّه هدف إلهي ترخص دونه النفوس، ولأنّه عليه السلام يرى شرع الله بأيدٍ غير أمينة، تعبث بمقدّرات ومقدّسات المسلمين، فالواجب يحتّم عليه أن يمضي إلى نهاية

(١) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح: ص٤١٨.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص١٩٣.

الطريق، ليحيي هذه الأُمّة بدمه الطاهر، حيث أصابها الخدر بعد أن كُسرت إرادتها، فكان دم الحسين عليه السلام هو الصعقة التي أيقظتها من رقدتها.

قوله عليه السلام: «**أحمي عيالات أبي**»، وفيه أمران:

الأمر الأوّل: من المحتمل جداً أنّه عليه السلام أراد بقوله (أبي) النبي صلى الله عليه وآله، ولا ضير، فإنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يُرد أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كانا عليهما السلام نوراً واحداً، ونفساً واحدة، ولكنّه هنا يُدافع عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وثقله، ويؤيّد هذه الفكرة ما رواه المؤرّخون من أنّه عليه السلام كان ينادي القوم للدفاع عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال المقرّم: «**ولما قُتل العبّاس التفت الحسين عليه السلام فلم يرَ أحداً ينصره، ونظر إلى أهله وصحبه مجزّرين كالأضاحي، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى، وصراخ الأطفال، صاح بأعلى صوته: هل من ذابٍّ عن حرم رسول الله؟...**»[1].

الأمر الثاني: من أهمّ المسؤوليات التي تقع على عاتق الفرد المؤمن، الدفاع عن أهله وعياله وأطفاله من شرور الأعداء، ومن هنا نجد الحسين عليه السلام يفصح عن هذه الحقيقة، وهذا الحكم الواجب.

وهذا الشطر (أحمي عيالات أبي) يجرّنا ـ في الحقيقة ـ إلى السؤال عن الإجراء الذي اتّخذه الحسين عليه السلام بحمله عياله وأطفاله، فلماذا لم يتركهم في مدينة جدّه آمنين مطمئنين؟ أما كان الحريّ به أن يتركهم هناك، ولا يزعجهم بوعثاء السفر، وتداعيات السبي والأسر؟

إنّ هذا السؤال ـ في الحقيقة ـ له عدّة أجوبة، وكلّها صحيحة، سجّلناها في بحثنا: (مصرع عبد الله الرضيع ـ رؤية تحليلية)[2]، ولكنّنا سننقل هنا أحد تلك الأجوبة، لما له من صلة بالمقام، قلنا هناك: «**إنّ بني أُميّة لم يكونوا ليتورّعوا عن أسر عياله عليه السلام وسجنهم من خلفه لو تركهم في المدينة، وبالتالي يُستخدمون كورقة للضغط عليه لأجل**

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٢٩.

(٢) نشر في مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ١٨، السنة الخامسة (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، ص١٤٢.

كفّه عن مواصلة حركته، وليس ذلك بالغريب على السياسة الأُموية»[1]، فهم معرّضون للأسر، سواء تركهم في المدينة أم حملهم معه، فالأولى حملهم معه وحفظهم طالما بقيَ حياً، وقد حصل ذلك بالفعل، فإنّه عليه السلام كان يرتجز حين حمي الوطيس:

أنـــا الحـــسين بـــن عـلي آلـــيـــت ألّا أنـــثـــنـي
أحمـــي عـــيـــالات أبي أمـــضي عـــلى ديـــن الـنـبـي

وحين حيل بينه وبين رحله صاح بهم: «**يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون. فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟ قال عليه السلام: أنا الذي أقاتلكم، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حياً...**»[2]، فهو عملياً كان يفديهم بنفسه.

قوله عليه السلام: «أمضي على دين النبي».

المُضي على دين النبي، أي: السير على هداه، واتّباع سنّته، وهذه إحدى الرسائل التي وجّهها أبو عبد الله عليه السلام إلى جيش الأعداء أوّلاً، وإلى الأجيال المعاصرة له ثانياً، وإلى الأجيال اللاحقة ثالثاً، وهذا تعبير عن ترسيخ مبدأ التزام خطّ النبوّة والرسالة.

وقد نجح الإمام عليه السلام، في إيصال الرسالة، خصوصاً إلى الأجيال اللاحقة، فظلّ هذا المبدأ حاضراً في وعي الأُمّة، وتحوّل إلى شعار ينادي به الأحرار، ويفعل فعله في توجيه السلوك نحو الحفاظ على القيم الإلهية، التي هي بالنتيجة قيم إنسانية، أراد الطواغيت مسخها، وتحويلها إلى قيم تحقّق مآربهم ومطامحهم الشخصية، على حساب كرامة الأُمة وعزّتها ووجودها وهويتها.

---

(١) كما فعل ذلك معاوية مع عمرو بن الحمق الخزاعي، فقد ذكروا أنّه لما هرب من جور معاوية وزياد ابن أبيه واليه على الكوفة، واختفى في الموصل، أمر معاوية بزجّ زوجته في السجن؛ لكي تستخدم كورقة للضغط عليه لتسليم نفسه. أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص١٦ـ١٧.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٨٥.

الخاتمة: المرتجزون ورجزهم في الطف

قال المقرّم: «**وتقدّم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين، ورمى بسهم، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل مَن رمى، ثمّ رمى الناس، فلم يبقَ من أصحاب الحسين أحد إلّا أصابه من سهامهم، فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه رسل القوم إليكم، فحمل أصحابه حملة واحدة، واقتتلوا ساعة، فما انجلت الغبرة إلّا عن خمسين صريعاً**»[1].

أقول: وهؤلاء الشهداء الخمسون كلّهم لم يُنقل عنهم رجز؛ لأنّ الرجز عادةً يقال في المبارزات والحملات المفردة، ومن هنا نجد أنّ المؤرّخين نقلوا الأراجيز التي كانت بعد هذه الحملة.

واستكمالاً للبحث، سنسرد هنا أسماء المرتجزين وأراجيزهم، بحسب تسلسلها في المعركة، وحسب ما سجّلها السيد محسن الأمين في (لواعج الأشجان)[2].

أراجيز الأنصار

١ـ يزيد بن المهاجر:

أنـا يـزيـد وأبي المـهـاجـر ... أشجع من ليث بغيل خادر

يا ربّ إنّي للحسين ناصر ... ولابـن سعد تـارك وهاجر

٢ـ عبد الله بن عمير الكلبي:

إن تنكروني فأنا ابـن كلبِ ... حسبي ببيتي في عليم حسبي

إنّي امـرؤ ذو مـرّة وعضبِ ... ولست بالخوّار عند النكبِ

إنّي زعـيـم لـكِ أُمّ وهـبِ ... بالطعن فيهم صادقاً والضربِ

ضرب غلامٍ مؤمن بالربِّ

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٨٦.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٣٧، وما بعدها.

٣ـ برير بن خضير (سيّد القرّاء):

أنـــا بـــريـــر وأبي خضير ... لا خـيرَ فيمَن ليس فيه خير

٤ـ وهب بن حبّاب الكلبي:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... سـوف تـــروني وتـــرون ضربي
وحملتي وصولتي في الحربِ ... أُدرك ثـاري بعد ثار صحبي
وأدفـع الكرب أمـام الكربِ ... ليس جهادي في الوغى باللعبِ

٥ـ الحرّ بن يزيد الرياحي:

إنّي أنا الحرّ ومـأوى الضيفِ ... أضرب في أعناقكم بالسيفِ
عن خير مَن حلّ بأرض الخيفِ ... أضربكم ولا أرى من حيفِ

وروي أنّه كان يرتجز أيضاً ويقول:

آليت لا أُقـتـل حتّى أقتُلا ... ولن أُصـاب اليوم إلّا مقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً معضلا ... لا نـاكـلاً عنهم ولا معلّلا
لا عاجزاً عنهم ولا مبدّلا ... أحمي الحسين الماجد المؤمّلا

وقال بعد أن عُقر فرسه:

إن تعقروا بي فأنا ابن الحرِّ ... أشـجـع مـن ذي لبد هزبرِ

وفي رواية أنّه كان يرتجز ويقول:

إنّي أنـا الحـرُّ ونـجـل الحـرِّ ... أشـجـع مـن ذي لبد هزبرِ
ولست بالجبان عند الكرِّ ... لكنّني الـوقّـاف عند الفرِّ

٦ـ نافع بن هلال البجلي، وقيل هلال بن نافع:

أنـــا ابـــن هـــلال البجلي ... أنـــــا عـــلى ديـــــن عـلي

ودينه دين النبي

وكانت له نبال مسمومة كتب عليها اسمه، فقتل بها ثلاثة عشر رجلاً، سوى مَن

جرح، فجعل يقول:

أرمـي بهـا مُعلَمة أفواقها ... والنفس لا ينفعها إشفاقها
مسمومة تجري بها أخفاقها ... لـيـمـلأنّ أرضـهـا رشاقها

فلم يزل يرميهم حتّى فنيت سهامه، ثمّ ضرب يده إلى سيفه فاستلّه، وجعل يقول:

أنـا الـغـلام اليمني البجلي ... ديني على ديـن حسين وعلي
إن أُقـتـل الـيـوم فهذا أملي ... فـذاك رأيـي وأُلاقـي عملي

٧ـ عمرو بن قرطة الأنصاري:

قد علمت كتيبة الأنصارِ ... أنّي سأحمي حـوزة الـذمـارِ
ضرب غلام غير نكس شاري ... دون حسين مهجتي وداري

٨ـ جون مولى أبي ذر:

كيف ترى الكفّار ضرب الأسودِ ... بالسيف ضرباً عن بني محمدِ
أذبّ عنهم باللسان واليدِ ... أرجـو بـه الجـنّـة يـوم المـوردِ

٩ـ مسلم بن عوسجة:

إن تسألوا عنّي فـإنّي ذو لبد ... من فرع قوم من ذرى بني أسد
فمَن بغانا حائدٌ عن الرشد ... وكـافـر بـديـن جـبّـار صمد

١٠ـ سويد بن عمرو بن أبي المطاع:

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا ... وشيخك الحبر علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا ... وعمّك القرم الهمام الأرشدا
حمـزة ليث الله يُدعى أسدا ... وذا الجناحين تبوأ مقعدا
في جنّة الفردوس يعلو صعدا

١١ـ زهير بن القين:

أنـا زهـير وأنـا ابـن القينِ ... أذودكـم بالسيف عن حسينِ

إنّ حسيناً أحـد السبطينِ من عـترة الـبرِّ التقيِّ الزينِ
ذاك رسـول الله غـير المـينِ أضربكم ولا أرى من شينِ
يا ليت نفسي قُسّمت قسمينِ

ثمّ قال مخاطباً الحسين عليه السلام:

أقـدم هديت هـاديـاً مهديّا الـيـوم تلقى جـدّك النبيّا
وذا الجناحين الفتى الكميّا وأسـد الله الشهيد الحـيّـا
وحسناً والمرتضى عليّا

١٢ـ حبيب بن مظاهر الأسدي:

أنـا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعر
أنـتـم أعـدّ عـدّة وأكـثـر ونحن أعـلى حجّة وأظهر
وأنـتـم عند الـوفـاء أغـدر ونـحـن أوفى منكم وأصـبر
حقّاً وأتقى منكم وأعذر

وقال أيضاً:

أُقسم لو كنّا لكم أعـدادا وشطركم ولّيتم الأكـتـادا
يـا شرّ قـومٍ حـسبـاً وآدا وشرّهـم قـد علموا أنـدادا

١٣ـ عمرو بن خالد الأزدي:

إليك يـا نفس إلى الرحمنِ فأبشري بـالـروح والـريحـانِ
اليوم تجزين على الإحسانِ قد كـان منك غابر الزمانِ
ما خُطّ في اللوح لدى الديّانِ لا تجزعي فكلّ حي فـاني[1]
والصبر أحظى لك بالأمانِ يا معشر الأزد بني قحطانِ

(١) (فاني) باثبات الياء، هكذا جاءت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح في إملائها أن تُحذف الياء، فتُكتب (فانٍ) كما في سائر المصادر.

١٤ـ ابنه خالد بن عمرو:

صبراً على الموت بني قحطانِ كيما تكونوا في رضى الرحمنِ
ذي المجد والعزّة والبرهانِ وذي العُلى والطول والإحسانِ
يا أبتا قد صرت في الجنانِ في قصر درٍّ حسن البنيانِ

١٥ـ سعد بن حنظلة التميمي:

صبراً على الأسياف والأسنّه صبراً عليها لدخول الجنّه
وحور عين ناعمات هنّه لمن يريد الفوز لا بالظنّه
يا نفس للرّاحة فاجهدنّه وفي طلاب الخير فارغبنّه

١٦ـ عمير بن عبد الله المذحجي:

قد علمت سعد وحيّ مذحج أنّي لدى الهيجاء ليث محرج
أعلو بسيفي هامة المدجّج وأترك القرن لدى التعرج
فريسة الضبع الأذلّ[1] الأعرج

١٧ـ عبد الرحمن بن عبد الله اليزني:

أنا ابن عبد الله من آل يزن ديني على دين حسين وحسن
أضربكم ضرب فتىً من اليمن أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن

١٨ـ يحيى بن سليم المازني:

لأضربّن القوم ضرباً فيصلا ضرباً شديداً في العداة معجلا
لا عاجزاً فيه ولا مولولا ولا أخاف اليوم موتاً مُقبِلا
لكنّني كالليث أحمي أشبُلا

١٩ـ قرّة بن أبي قرّة الغفاري:

قد علمت حقّاً بنو غفارِ وخندف بعد بني نزارِ

(١) جاءت في البحار كلمة (الأزل) بالزاي بدلاً من الأذل.

بـــأنّي الليث لـــدى الغبارِ لأضربـــنّ مـعـشر الـفـجّـارِ
بـكـلّ عـضـب ذكـــر بـتـارِ ضرباً وجيعاً عن بني الأخيارِ

رهط النبيّ السادة الأبرارِ

٢٠ـ مالك بن أنس المالكي الكاهلي، وقيل: أنس بن حارث الكاهلي:

قد علمت مالك والـذودان والخندفيون وقيس عيلان
بـــأنّ قـومـي آفـة الأقـــران لدى الوغى وسادة الفرسان
مـبـاشر المـــوت بطعن آن لسنا نرى العجز عن الطعان
آل عـــلي شـيـعـة الـرحمـن آل زيـــاد شيعة الشيطان

٢١ـ عمرو بن مطاع الجعفي:

أنـا ابـن جعفٍ وأبي مطاعُ وفي يميني مـرهـف قـطّـاعُ
وأســمـــر في رأســـه لمّـــاعُ يـرى لـه مـن ضـوئـه شعاعُ
اليوم قد طـاب لنا القراعُ دون حسين الضرب والسطاعُ
يرجى بـذاك الفوز والدفاعُ عن حـرّ نـارٍ حين لا انتفاعُ

٢٢ـ أنيس بن معقل الأصبحي:

أنـا أنيس وأنـا ابـن معقل وفي يميني نصل سيف مصقل
أعلو به الهامات وسط القسطل عن الحسين الماجد المفضّل

ابن رسول الله خير مرسل

٢٣ـ الحجّاج بن مسروق الجعفي (مؤذن الحسين عليه السلام):

أقـدم حسيناً هـاديـاً مهدياً الـيـوم نلقى جـدّك النبيّا
ثـمّ أبـاك ذا الـنـدي عليّا ذاك الـــذي نـعـرفـه وصـيّـا
والحسن الخير الرضا الوليّا وذا الجناحين الفتى الكميّا

وأسد الله الشهيد الحيّا

٢٤ـ عمرو بن جنادة الأنصاري:

أمـيري حسين ونعم الأمير سرور فـؤاد البشير النذير
عـلي وفـاطـمـة والـدا ه فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى لـه غـرّة مـثـل بـدر منير

٢٥ـ أُم عمرو بن جنادة:

أنـا عجوز سيّـدي ضعيفه خـاويـة بـاليـة نحيفه
أضربـكـم بـضربـة عنيفه دون بني فاطمة الشريفه

٢٦ـ جنادة بن الحارث الأنصاري:

أنـا جناد وأنـا ابـن الحـارث لست بـخـوّار ولا بناكث
عن بيعتي حتّى يرثني وارث اليوم شلوي في الصعيد ماكث

٢٧ـ عبد الرحمن بن عروة الغفاري:

قد علمت حقّاً بنو غفارِ وخـنـدف بـعـد بـنـي نـزارِ
لـنـضربـنَّ معشر الـفـجّـارِ بـكـلّ عـضـبٍ ذكـر بـتّـارِ
يا قوم ذودوا عن بني الأخيارِ بـالـمـشرفيّ والـقـنـا الخـطّـارِ

٢٨ـ عبد الله بن عروة الغفاري:

قد علمت حقّاً بنو غفارِ أنّي أذبّ في طـلاب الـثـارِ
بالمشرفي والقنا الخطّارِ

٢٩ـ غلام تركي للحسين عليه السلام، يُدعى أبو عمر النهشلي أو الخثعمي:

البحر من طعني وضربي يصطلي والجوّ من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشقّ قلب الحاسد المبجّلِ

ثمّ رجع إلى الحسين عليه السلام، وهو يرتجز ويقول:

أبشر هديت الرشد تلقى أحمدا في جنّة الفردوس تعلو صعدا

٣٠ـ مالك بن ذودان:

إليكم من مالك الضرغامِ ضرب فتىً يحمي عن الكرامِ
يرجو ثواب الله ذي الإنعامِ

٣١ـ إبراهيم بن الحصين الأسدي:

أضرب منكم مفصلاً وساقا ليُهرَق اليوم دمي إهراقا
ويرزق الموت أبو إسحاقا أعني بني الفاجرة الفسّاقا

أراجيز بني هاشم

٣٢ـ علي الأكبر بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أُحامي عن أبي

٣٣ـ عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأُمّه رقية بنت علي بن أبي طالب عليه السلام:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي
ليسوا بقوم عرفوا بالكذبِ لكن خيار وكرام النسبِ
من هاشم السادات أهل الحسبِ

٣٤ـ جعفر بن عقيل بن أبي طالب:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي من معشر في هاشم وغالبِ
ونحن حقّاً سادة الذوائبِ هذا حسين أطيب الأطائبِ
من عترة البرّ التقي الغالبِ

٣٥ـ عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني
كهول صدق سادة الأقرانِ هذا حسين شامخ البنيانِ
وسيّد الشيب مع الشبّانِ

٣٦ـ محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّه زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وقيل: الخوصاء من بني تيم اللات بن ثعلبة:

أشكو إلى الله من العدوانِ ... قتال قوم في الردى عميانِ

قد تركوا معالم القرآنِ ... ومحكم التنزيل والتبيانِ

وأظهروا الكفر مع الطغيانِ

٣٦ـ عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّه زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وقيل: جمانة بنت المسيب بن نجبة:

إن تنكروني فأنا ابن جعفرِ ... شهيد صدق في الجنان أزهرِ

يطير فيها بجناح أخضرِ ... كفى بهذا شرفاً في المحشرِ

٣٧ـ القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سُقوا صوب المزن

وعلى رواية الصدوق في الأمالي أنّه برز، وهو يقول:

لا تجزعي نفسي فكلٌّ فانِ ... اليوم تلقين ذوي الجنانِ

٣٨ـ أبو بكر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، واسمه عبيد الله، وأُمّه ليلى بنت مسعود من بني نهشل:

شيخي علي ذو الفخار الأطولِ ... من هاشم الصدق الكريم المفضلِ

هذا حسين ابن[1] النبيّ المرسلِ ... عنه نحامي بالحسام المصقلِ

تفديه نفسي من أخٍ مبجّلِ

٣٩ـ أخوه، عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

أضربكم ولا أرى فيكم زجر ... ذاك الشقي بالنبيّ قد كفر

(١) هكذا وردت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح في إملائها أن تسقط الألف، فتُكتب (بن).

يا زجر يا زجر تداني من عمر لعلّك اليوم تبوء من سقر
شرّ مكان في حريق وسُعُر لأنّـك الجاحد يا شرّ البشر

وله رجز آخر يقول فيه:

خلّوا عداة الله خلّوا عن عمر خلّوا عن الليث الهصور المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفر وليس فيها كالجبان المنحجر

٤٠ـ عبد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُمّه أُمّ البنين:

أنا ابن ذي النجدة والأفضالِ ذاك عـلي الخـير ذو الفعالِ
سيف رسـول الله ذو النكالِ في كـلّ يـوم ظاهر الأهـوالِ

٤١ـ جعفر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُمّه أُم البنين:

إنّي أنـا جعفر ذو المعالي ابـن عـلي الخـير ذي الـنـوالِ
حسبي بعمّي شرفاً وخالي

٤٢ـ عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُمّه أُمّ البنين:

إنّي أنـا عثمان ذو المفاخرِ شيخي علي ذو الفعال الطاهرِ
هـذا حسين خـيرة الأخـايـرِ وسـيّـد الصغار والأكـابـرِ
بعد الرسول والوصي الناصرِ

٤٣ـ العبّاس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُمّه أُمّ البنين:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتى أُوارى في المصاليت لقا
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا إنّي أنا العبّاس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

وله رجز آخر بعد أن قطعت يمينه، يقول فيه:

والله إن قطعتمُ يميني ... إنّي أُحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقينِ ... نجل النبيّ الطاهر الأمينِ

وله رجز آخر بعد أن قُطعت شماله، يقول فيه:

يا نفس لا تخشي من الكفّارِ ... وأبشري برحمة الجبّارِ

مع النبيّ السيّد المختارِ ... قد قطعوا ببغيهم يساري

فأصلهم يا ربّ حرّ النارِ

٤٣ـ أحمد بن محمد الهاشمي:

اليوم أبلو حسبي ودِيني ... بصارمٍ تحمله يميني

٤٤ـ الإمام الحسين بن علي عليهما السلام:

القتل أَولى من ركوب العارِ ... والعار أَولى من دخول النارِ

والله ما هذا وهذا جاري

وله رجز آخر يقول فيه:

أنا الحسين بن علي ... آليت أن لا أنثني

أحمي عيالات أبي ... أمضي على دين النبي

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وله الشكر، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

أراجيز الطّف
دراسةٌ نحوية دلالية في البناء الأُسلوبي

د. هاشم جبّار الزرفي*

مقدّمة

إنّ الثورة الحسينية هي من أعظم الثورات التي شهدها التاريخ الإسلامي على الإطلاق؛ لما لشخوصها العظيمة من قدسية سماوية، فقائد الثورة المتمثل بالإمام الحسين عليه السلام، هو خامس أصحاب الكساء، وسيد أهل البيت في زمانه، وأبو الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، تربّى في حضن الإيمان، وترعرع في كنف الرسالة، وشهد الوحي، واستمع الآي، وتلقّف حكمة السماء من منبعها العذب، ونشأ في حجر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وتربّى في حضن أُمّه الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، ابنة رسول الله وبضعته وروحه التي بين جنبيه، فرضع من لبانها الطاهر سائغ الإيمان والعقيدة الحقّة، فالثورة التي قادها إمام معصوم لا بدّ أن تأخذ حيّزها من التاريخ.

ولقد شاع فنّ الرجز في هذه الثورة العظيمة، لما يتطلّبه القتال من أهازيج حماسية، تذكر الفضائل، وسالف أيام المجد التليد، وتحثّ المقاتل على القدوم إلى لهوات الحرب، لا يبالي بالموت في سبيل الشهادة مع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وبلغ هذا الرجز من الكثرة ما يستدعي السامع إلى تذوقه، وتمحيص دلالاته، وتبيان مكنوناته، ولقد اخترت في هذه الدراسة الأساليب البنائية للرجز، وما يتمخّض منها من أساليب خبرية، أو إنشائية، أو أساليب جمعت بين الخبر والإنشاء؛ لما لاحظت من كثرتها وشيوعها وانزياح دلالتها.

---

* كلّية الشيخ الطوسي الجامعة.

وقسّمت البحث على ثلاثة مباحث، تناول الأوّل الأساليب الخبرية، وضمّ أُسلوب النفي، وأُسلوب الفصل والوصل، وضمّ المبحث الثاني أُسلوب النداء والأمر والاستفهام تحت عنوان: الأساليب الإنشائية، و تناول المبحث الثالث الأساليب التي جمعت بين الخبر والإنشاء، كالشرط والقسم، وقد سبق الدراسة تمهيد نظري يُبيّن ماهية فنّ الرجز، وماهية الأساليب الخبرية والإنشائية، وتلك الأساليب التي جمعت بين الخبر والإنشاء، ثمّ خلُص البحث إلى أهم النتائج التي توصلت إليها.

أسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلّا مَن أتى الله بقلب سليم.

تمهيد في مفهوم الرجز والأساليب اللُّغوية

الرجز: فنّ شعري قديم، قِدم الحياة العربية البدوية، فهو مرتبط بالإنسان العربي في حلّه وترحاله، يقوله عندما يحفر بئراً، أو يرعى غنماً، أو يغزو غزوةً، يقول منه البيت أو البيتين، بحسب الموقف، وما يقتضيه المقام، ويكاد يكون معنى الرجز لغوياً ينطبق على معناه في الاصطلاح، ويجري عليه، قال ابن منظور (ت٩١١هـ) في لسان العرب: «**إنما سُمّي رجزاً لاضطرابه تشبيهاً بالرجز في الناقة، وهو اضطرابها عند القيام، فما كان على جزأين فالاضطراب فيه أبلغ وأوكد، وهي الأُرجُوزة للواحدة، والجمع الأراجيز. رَجَزَ الرّاجِزُ يَرْجُز رَجْزاً وارْتَجَزَ الرَّجّازُ ارْتِجازاً: قال أُرجوزةً. وتَراجَزوا وارْتَجَزُوا: تعاطوا بينهم الرَّجَز، وهو رجّازٌ ورجّازةٌ وراجزٌ. والارتجازُ: صوت الرّعد المُتدارك. وارْتَجَزَ الرعد ارْتِجازاً إذا سمعت له صوتاً مُتتابعاً. وتَرَجَّز السحابُ: إذا تحرّك تحرّكاً بطيئاً لكثرة مائه**»[1].

فالحركة والاضطراب أساسان للتسمية، ولهذا يكون للرجز خصيصة لم نعهدها في باقي البحور الشعرية، لارتباطه بذينك المعنيين، لذلك نأى عن الشعر الرسمي

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٣٥٢.

الذي ربّما يكون فيه شيء من إعادة النظر والأناة، فهو منذُ العصر الجاهلي لا يرقى إلى أن يكون بمصافّ الشعر الرسمي، فكان الناس يقولونه في حلّهم وترحالهم، وفي سلمهم وفي حربهم، يقول الدكتور شوقي ضيف: «**وكلّ ما يمكن أن يقال، هو: أنّ الرجز كان أكثر أوزان الشعر شيوعاً في الجاهلية؛ إذ كانوا يرتجلونه في كلّ حركة من حركاتهم، وكلّ عمل من أعمالهم في السلم والحرب**»[1].

ولربما كان هذا سبباً لعزوف الشعراء الجاهليين المرموقين أن ينظموا فيه قصائدهم، وتركوه إلى العامّة يرعونه ويجرونه على ألسنتهم[2]، فلم يرتقِ الرجز في العصر الجاهلي، وبقي الجاهلي يقوله أبياتاً معدودة، وبقي هكذا حتّى بداية ظهور الإسلام، ولم يكن للرجز حظّ من التطوّر إلى أن جاء رؤبة وابنه العجّاج، فطوّراه، وأصبح قصيداً يوازي الشعر الرسمي[3].

ونحن عندما نتناول الرجز في واقعة الطف، فإنّنا لا نخرج عمّا هو عليه في أدب عصر صدر الإسلام، فقد بقي الرجز مقطوعات قصيرة خاطفة، وليس يعنينا الحديث عن خصائص الرجز في واقعة الطف؛ لأنّه خارج عن موضوع البحث، وإنّما الذي يهمّنا هو البناء الأُسلوبي لذلك الرجز، ولا بدّ لنا من مهاد نظري يُبيّن ماهية الأساليب التي بني عليها ذلك الرجز.

وفيما يرتبط بالأُسلوب في سياقه نجد أنّ القدماء من علماء العربية حاولوا أنْ يحدّدوا مفهوماً له، فعرّفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بأنّه: «**الضرب من النظم، والطريقة فيه**»[4]؛ إذ هو مستمدّ من نظريّته؛ لأنّه طريقة من نظم الكلام الذي «**يُستعمل في الدلالة على المعنى، أو احتواء المضمون، وعندها يتحقّق القصد**»[5].

(١) شوقي ضيف، العصر الجاهلي: ص١٨٦.
(٢) أُنظر: شوقي ضيف، العصر الإسلامي: ص٣٢٥.
(٣) أُنظر: غانم جواد رضا، العجاج ودوره في تطوير الأُرجوزة: ص٢٨.
(٤) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص٤٦٩.
(٥) العوادي، مشكور كاظم، المعنى الحركي في بدائع الإمام علي عليه السلام (بحث): ص٩.

أمّا من العرب المُحدثين، فقد عرّفه الأُستاذ أحمد الشايب بأنّه: «**طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها؛ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير**»[1]. فالأُسلوب منظومة خاصة تستمد وجودها من خرق نظام اللغة الكلامي، ويقوم على المباعدة بين علاقة الدال والمدلول، ومن ثَمّ إحداث فجوة بينهما، وتكون عناصره: اللغة، والفكرة، والخيال والصورة، والعاطفة، وغيرها[2].

ويمتاز الأُسلوب بسمتين بارزتين هما:

١ـ وجود أداة أو صيغة لغوية تتصدّر الجملة غالباً؛ إذ يدلُّ وجودها على نوع ذلك الأُسلوب من توكيد، أو أمر، أو استفهام، أو شرط... وقد تحذف هذه الأداة أحياناً، فيدلّ عليها السياق، وأنّ وجود الأداة هو الغالب في تعيين الأُسلوب، وهناك أساليب تخلو من الأداة اللُّغوية مطلقاً، ولا يخرجها ذلك عن أن تكون أُسلوباً معيناً، كما في بعض أنماط التوكيد، مثل: التوكيد بالتقديم والتأخير، والتوكيد بالتكرار، وغيرهما.

٢ـ وجود شحنة نفسيّة أو انفعالية في الجملة، تتطلَّبها مناسبات القول[3].

وقد تنبّه الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى أثر الأداة اللُّغوية في تشكيل الأُسلوب ودلالته؛ إذ روي عن ابن الأنباري أنّ الفيلسوف الكندي (ت٢٥٦هـ)، سأل أبا العبّاس ثعلباً (ت٢٩١هـ) عن وجود الحشو في كلام العرب في قولهم: (عبد الله قائم)، فزادوا (إنّ)، فقالوا: (إنّ عبد الله قائم)، ثمّ زادوا (اللام)، فقالوا: (إنّ عبد الله لقائم)؟ فأجابه أبو العبّاس: إنّ المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالجملة الأُولى إخبار عن قيامه، وهو الأُسلوب الخبري، والثانية جواب عن سؤال سائل اقتضى أن تتصدر الجملة بـ(إنّ) من أجل التوكيد، ودفع الحيرة، أمّا الجملة الأخيرة فهي جواب عن إنكار منكر قيامه اقتضى توكيد الجملة بأداتي توكيد، هما: (إنّ) و(اللام)[4].

(١) الشايب، أحمد، الأُسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأُصول الأساليب الأدبية: ص٤٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٤ـ٦٧.
(٣) أُنظر: جمعة، عدنان عبد الكريم، اللغة في الدرس البلاغي: ص٢٠٩.
(٤) أُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص٣١٥.

من هنا نجد أنّ الأساليب متعلّقة بمقتضى الحال والمقام، ومن أجل هذا تكلّم أصحاب المعاني في مقتضى الحال؛ لأنّهم أدركوا أنّ للكلام ظروفاً مقامية تتحكّم فيما يصدر عن المتكلّم من كلام ينقل فيه أفكاره إلى المخاطب، وبما يحتويه الكلام من أُسلوب تمليه تلك الأحوال على المتكلّم[1].

وعلى الرغم من احتفاظ الأُسلوب بأداته النحوية، وبقائه على صورته الأصلية، قد تنزاح الدلالة فيه إلى دلالة أُسلوب آخر، فتصبح حينئذٍ سمة دلالية خاصّة لذلك الأُسلوب، كانزياح أُسلوب الأمر إلى معنى الدعاء أو التعجب، أو الإنكار، أو النفي وغيرها، وقد عُني الدرس البلاغي بهذا الانزياح الدلالي، وهو ما اعتنى به بعض اللُّغويين أيضاً، كأبي الفتح عثمان بن جنّي؛ إذ نجده يخصّص فصلاً مستقلاً في (الخصائص)، يتحدّث فيه عن ظاهرة العدول أو الانحراف (الانزياح) الدلالي في الأساليب النحوية، إذ تناول فيه انزياح أُسلوب الاستفهام إلى أُسلوب التّعجُّب، ثمّ إلى أُسلوب الخبر[2].

المبحث الأوّل: الأساليب الخبرية

عرّف أبو العبّاس المبرّد (ت٢٨٥هـ) الخبر بأنّه «**ما جاز على قائله التصديق والتكذيب**»[3]، وعرّفه السكّاكي (ت٦٢٦هـ) بالطريقة ذاتها بأنّه: «**الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب**»[4]، أي: إنّ جملة الخبر تحمل جانب حكاية عن الواقع، فإن طابقت هذا الواقع، تكون الجملة صادقةً، وإنْ لم تطابقه، تكون جملةً كاذبةً[5].

(١) أُنظر: المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه: ص٢٢٥.
(٢) أُنظر: ابن جنّي، عثمان، الخصائص: ج٣، ص٢٧٢ـ٢٧٣.
(٣) أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٣، ص٨٩.
(٤) السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص١٦٤.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص١٦٤.

وقد عدّ عبد القاهر الجرجاني الخبر بأنّه الأصل في معاني الكلام قائلاً: «**اعلم أنّ معاني الكلام كلّها معانٍ لا تُتصوّر إلّا فيما بين شيئين، والأصل والأوّل هو (الخبر)**»[1]؛ وذلك لأنّه: «**يُتصوّر بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة، وفيه يكون في الأمر الأعم، المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة**»[2].

وللخبر فائدته الدلالية في الكلام، وهي إفادة المتلقّي الحكم الذي تتضمّنه الجملة أو الكلام[3].

١ـ أُسلوب النفي

«**النفي: أُسلوبٌ لغويٌ تحدّده مناسبات القول، وهو أُسلوب نقض وإنكار، يُستخدم لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب**»[4]، ويكون في الغالب بصيغة تُشْعِر بهذا النفي[5]، وهذه الأدوات هي: (ليس، ولم، ولمّا، وما، ولا، ولن)[6]، ولكلّ أداة منها «**فروقٌ تبرّر وضع الواضع لها دون غيرها؛ لتحديد ما تتضمّنه من توجيه دلالي للأقوال، فلئن كانت تشترك في دلالتها العامّة على قوّة النفي، فإنّها تختزن ما يحتاج إليه المتكلّم من طرق للتعبير عن المقامات المختلفة عند الاستعمال**»[7]، قال الإمام الحسين عليه السلام راجزاً في غسق الليل البهيم، وهو يصلح سيفه:

يا دهـرُ أُفٍّ لـكَ من خليلِ ... كم لك في الإشراق والأصيلِ
من طالب وصاحب قتيلِ ... والـدهـر لا يقنع بالبديلِ
وإنـما الأمـر إلى الجليل ... وكـلّ حـيّ سالك سبيلي[8]

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص٥٢٦.
(٢) المصدر السابق: ص٥٢٨.
(٣) أُنظر: المغيلي، محمد بن عبد الكريم، شرح التبيان في علم البيان: ص٢٠٣.
(٤) المخزومي، مهدي، في النحو العربي.. نقد وتوجيه: ص٢٦٥.
(٥) أُنظر: عمايرة، خليل أحمد، في التحليل اللُّغوي.. منهج وصفي تحليلي: ص١٥٤.
(٦) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٥، ص٣١.
(٧) المبخوت، شكري، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ص١١٧.
(٨) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢١.

أُنظر إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام كيف اختار هذا الرجز اختياراً رائعاً، وكيف وصف الدهر وصروفه بنمط عالٍ بالأداء، وقد استعمل الإمام عليه السلام أُسلوب النفي بالأداة (لا) التي تُفيد نفي ما بعدها نفياً شاملاً وعاماً[1]، وقد وصفها (براجستر آسر) بأنّها أُم حروف النفي في اللغة العربية[2]، وتدخل على الأسماء والأفعال؛ لتُفيد نفي ما بعدها نفياً شاملاً وعاماً[3]، وقد تُشبّه بـ(ليس)، وتختصّ بنفي الجملة الاسمية[4]، فالميزة الأُسلوبية في وجودها هنا قد باتت واضحة ومائزة، وقد أدّت غرضها في غير معاضلة أو إعنات.

قال العبّاس بن علي عليهما السلام:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا ... حتّى أُوارى في المصاليت لقا

إنّي أنا العبّاس أغدوا بالسقا ... ولا أهاب الموت يوم الملتقى[5]

فهذا العبّاس عليه السلام نراه قد زمجر غضباً، ودمدم حنقاً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ولإمامه عليه السلام، ونراه قد استعمل في رجزه أُسلوب النفي بالأداة (لا) التي تُفيد نفي ما بعدها نفياً شاملاً وعاماً[6]، وأنّها لخفّتها وسهولة نطقها، قد سوّغ تكرارها في الكلام، (لا أرهب) و(لا أهاب)، فهي مكوّنة من (اللام) في بدايتها، «**وهو عماد دلالتها على النفي... لأنّ اللام أحد أصوات الذلاقة، ومخرج أصوات الذلاقة ـ وهي أيسر الأصوات نطقاً، وأخفّها على اللسان ـ من ذلق اللسان، وهو طرفه الحاد، وذلق اللسان أكثر عَضَلِ النطق حركة، وأشدّها سرعة، وأوفاها مرونة**»[7]، وتكرارها ـ فضلاً عن ذلك ـ يُفيد توكيد النفي وإثباته، وإعادة الصورة المشحونة بالانفعال والعزم والمضي قُدماً في سبيل النصر.

---

(١) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٥، ص٣٣.

(٢) أُنظر: براجستر آسر، التطوّر النحوي للغة العربية: ص١٦٨. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج٤، ص١٧٦.

(٣) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٨، ص١٠٧.

(٤) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٢، ص١٨٤ـ١٨٥.

(٥) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٧٩.

(٦) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٥، ص٣٣.

(٧) المخزومي، مهدي، في النحو العربي: نقد وتوجيه: ص٢٦٧.

وقال ابن الكلبي راجزاً:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبِ ... سوف تروني وترون ضربي

وحملتي وصولتي في الحربِ ... أُدرك ثأري بعد ثأر صحبي

وأدفع الكرب أمام الكربِ ... ليس جهادي في الوغى باللعبِ[1]

وابن الكلبي لا يقلّ شأواً عن باقي أقرانه الأنصار، فتجده كالأسد الباسل مندفعاً نحو الخطوب، راجزاً ببسالة، مستعملاً النفي بـ(ليس)، وهي تُفيد نفي الحال[2]، أو ترد لمطلق النفي على ما تقتضيه قرائن الأحوال، فترد لنفي الماضي والحال والاستقبال[3]، فابن الكلبي أراد أن يقول: إنّ جهادي مع الإمام الحسين عليه السلام ليس لعباً، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، وهذا في غاية التأكيد والإصرار على المُضي قُدماً في سبيل الله تعالى. إنّ إيثار حرف النفي (ليس) في هذا المقام له ما يسوّغه، فقد دلّت (ليس) على مطلق النفي على ما يقتضيه السياق، فالراجز أراد أن يُفهِمَ السامع أنّه على يقين من أمره، وبصيرة من دينه، فهو ماضٍ في سبيل الجهاد.

٢ـ الفصل والوصل

لقد كان لموضوع الفصل والوصل نصيب وافر من العناية والاهتمام من البلاغيين العرب، بوصفه يحقّق انسجاماً بين أجزاء الكلام، ولكونه من مباحث المعاني المتميّزة بإمكاناتها الأُسلوبية، ويبدو أنّ الجاحظ كان أوّل مَن تكلّم عن هذا الموضوع في كتبه؛ إذ نقل عن الفارسي تعريفاً للبلاغة بأنّها: «**معرفة الفصل من الوصل**»[4].

وغاية الأمر في الفصل والوصل هو حسن استعمال حرف من حروف المعاني وهو (الواو)، تُضَمُّ به أجزاء الكلام بعضها إلى بعض، حيث يكون ذلك من أجل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٧.
(٢) أُنظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج١، ص٣٨٦.
(٣) أُنظر: المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني: ص٤٦٣.
(٤) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين: ج١، ص٨٨.

أداء المعنى على أحسن وجه، وأتمّ صورة[1].

فالوصل ـ إذن ـ عطف جملة على أُخرى (بالواو) فقط، من دون سائر حروف العطف الأُخرى، ويكون (الفصل) بترك هذا العطف[2]، «**وصورة هذا الباب من أبواب البلاغة قائمة ماثلة في باب العطف من أبواب النحو؛ ولكنّها تكاد تقتصر على حكم المعطوف، وكونه تابعاً للمعطوف عليه في الإعراب**»[3]، فهذا الموضوع موجود أصلاً عند علماء النحو؛ إذ تناولوه في مباحثهم، لكنّهم لم يتناولوا فيه معاني العطف المتعدّدة، كما تصدّى له البلاغيون؛ إذ كان لهم السبق في هذا الجانب.

وممّا ورد من أُسلوب الفصل قول نافع بن هلال الجملي:

أرمي بها معلمة أفواقها ... والنفس لا ينفعها إشفاقها

مسمومة تجري بها أخفاقها ... ليملأن أرضها رشاقها[4]

هذا الفارس المقدام نجده يجرّد سهامه من كنانته، ويفرّقها بعد أن كانت جمعاً، هذه السهام مُعلمة مسوّمة؛ إذ خط اسمه عليها، وهي كذلك ناقعة بالسم الزعاف، فهي لا تقع على شخص إلّا قتلته، ثمّ إنّ هذه السهام قد نثر نافع بها الأرض، وقد وردت صفات للنبال تترى، وهدفها استكمال العناصر الأساسية للصورة، وجعلها واضحة كاملة من شأنها أن تؤثر تأثيراً وجدانياً قوياً، يجعل الإنسان مجتذباً إلى ما يرسمه نافع بريشته، ونلحظ أنّ إسقاط العاطف بين هذه الصفات؛ لما في هذه الصفات من تلاحم تام، فهي كالصفات الواحدة، فهي غير متباينة؛ لذلك كان لا بدّ من الفصل، وترك العطف الذي يقتضي المغايرة، «**فأداة العطف لا تعطف الشيء على نفسه**»[5].

---

(١) أُنظر: الجواري، أحمد عبد الستار، نحو المعاني: ص٩٢.

(٢) أُنظر: السبكي، أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ج٣، ص٥.

(٣) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو المعاني: ص٩٢. أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، شرح مفصّل ابن يعيش: ج٢، ص٢٧٦.

(٤) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام: ج٢، ص٢٢٤.

(٥) حسن طبل، علم المعاني.. تأصيل وتقييم: ص١٦٢.

وهناك سبب بلاغي آخر أراه مسوّغاً لهذا الفصل، هو أنّ كلّ صفة جاءت مؤكّدة ومبيّنة لسابقتها، أو بدلاً منها، وهذا موضع يجب الفصل معه وترك الوصل كما يقول البلاغيون[1]. كذلك يأتي الوصف للتنويع، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: «**إنّ من شأن أسماء الأجناس كلّها إذا وصفت أن تتنوّع بالصفة، فيصير (الرجل) الذي هو جنس واحد إذا وصفته فقلت: (رجل ظريف)، و(رجل طويل)، و(رجل قصير)، و(رجل شاعر)، و(رجل كاتب)، أنواعاً مختلفة، يُعدّ كلّ نوع منها شيئاً على حدة**»[2]، وهي دلالة تقرب من دلالة التفصيل أو تشبهها، وقد أشار إلى هذا الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: «**وكان مثلها** [أي: الأجناس] **مثل الشيء المجموع المؤلّف، تفرّقه فرقاً، وتشعّبه شعباً**»[3].

ومما ورد من أُسلوب الفصل قول أُمّ عمرو بن جنادة الأنصاري:

أنـا عجوز سيّـدي ضعيفه ... خـاويـةٌ بـالـيـةٌ نحيفه

أضربـكـم بـضربـةٍ عنيفه ... دون بني فاطمة الشريفه[4]

أُنظر إلى هذه المرأة المفجوعة، كيف أظهرت حنقها وتبرّمها من أعداء الحسين عليه السلام وأعدائها، وكان من حقّها أن لا يظهر صوتها إلّا من وراء حجاب، أو من وراء الحجرات، لكنّها لم تستطع صبراً، وقد شمّرت إلى الحرب، وأرادت أنْ تمضي في إخبار الأعداء باستعدادها للقيام بالقتال، فلجأت إلى أُسلوب الفصل بين الجمل؛ فوصفت نفسها بأنّها عجوز بالية ضعيفة خاوية، لم يبقَ من عمرها إلّا كما يطير الغبار، وعلى الرغم من ذلك، فهي مستعدة للجهاد في سبيل الله؛ وذلك لأنّ الفصل فيه حماسة وتأثير كبير؛ ولأنّ صفة الاستعداد كانت واحدة غير متباينة؛ لذلك كان لا بدّ من

(١) أُنظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص٢٥٣.
(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص١٩٢.
(٣) المصدر السابق: ص١٩٣.
(٤) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٣.

الفصل وترك العطف الذي يقتضي المغايرة، «**فأداة العطف لا تعطف الشيء على نفسه**» كما مرّ، والسبب البلاغي الآخر الذي سوّغ هذا الفصل، هو أنّ كلّ صفة جاءت مؤكّدة ومبيّنة لسابقتها، أو بدلاً منها، وهذا موضع يجب الفصل معه وترك الوصل[١].

وممّا ورد من أُسلوب الوصل قول أنس بن الحارث الكاهلي، الذي برز وقد شدّ وسطه بعمامته، ورفع حاجبيه بعصابة، وهو يستأذن الحسين عليه السلام في القتال، فلما نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى، وقال: «**شكر الله سعيك يا شيخ**»[٢]، فبرز وهو يقول:

قد علمت مالك والـدودانِ ... والخندفيون وقيس عيلانِ
بـأنّ قـومـي آفـة الأقـرانِ ... لدى الوغى وسادة الفرسانِ
مـبـاشر المـوت بـطـعـنٍ آنِ ... لسنا نرى العجز عن الطعانِ
آل عـلي شـيـعـة الـرحمـنِ ... آل زيـاد شيعة الشيطانِ[٣]

فقد وصل الراجز الجمل بعضها ببعض بحرف العطف (الواو)؛ لأنّ الجمل موصولة في الصورة والمعنى، ولأنّ المعاني التي ذكرها الراجز هي معاني حَسَنة، لذا كان قد جمعها (بواو العطف)، وهي أداة الوصل.

ويرى الرضي الأسترآبادي وابن هشام أنّ (الواو) تأتي على أنواع كثيرة، منها: العاطفة، والاستئنافية، والحالية[٤]، والغالب عليها أنّها حرف يأتي للجمع المطلق[٥]، والمقصود بالجمع المطلق الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من المعطوف والمعطوف عليه في زمان أو بسبق أحدهما الآخر[٦]، وقد عملت (الواو) هنا في الأُرجوزة على ترابط النص وتماسكه، لتكون المعاني مسترسلة متدافعة لا يعتريها

(١) أُنظر: السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص٢٥٣.
(٢) البهباني، محمد باقر، الدمعة الساكبة في أحوال النبي صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام: ج٤، ص٣٠٨.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٤.
(٤) أُنظر: المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني: ص١٦٠ـ ١٦٤.
(٥) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٢، ص٣٤٣.
(٦) أُنظر: مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم: ص٤٩ـ٥٠.

انقطاع أو فصل، هذا فضلاً عن اتفاق الجمل كلّها بأُسلوب الخبر الذي أوجب هذا الوصل بينها[1].

المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية

لم يفرد النحويون للإنشاء موضوعاً مستقلاً، بل تناولوه ضمن موضوعات عديدة، وقد اصطلح عليه سيبويه، والمبرّد، وابن السراج، مصطلحاً آخر هو (الطلب)[2]، ويبدو أنّ الإنشاء قد ظهر جلياً عند ابن هشام الأنصاري حيث ذهب إلى أنّ «**الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء فقط، وأنّ الطلب من أقسام الإنشاء، وأنّ مدلول (قم) حاصل عند التلفظ به لا يتأخر عنه، وإنّما يتأخر عنه الامتثال، وهو خارج عن مدلول اللفظ، ولما اختصّ هذا النوع بأنّ إيجاد لفظه إيجادٌ لمعناه سُمّي إنشاء**»[3]، وقد اقترب البلاغيون من هذا المفهوم، فذهب العلوي إلى أنّ الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل صدقاً أو كذباً[4]؛ لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[5].

وقد أُولع البلاغيون بالإنشاء، وقسّموه على قسمين: إنشاء طلبي، وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وهو على خمسة أنواع، هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمنّي، وإنشاء غير طلبي، وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله أساليب مختلفة، كألفاظ العقود والتعجّب وغيرها[6].

وللأساليب الإنشائية مرونة عالية في الأداء، فهي تؤدّي دلالتها الحقيقية، وقد

(١) أُنظر: الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ج١، ص٢٦٠.
(٢) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص١٠٥ـ١٠٦.
(٣) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب: ص٤١ـ٤٢. أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع: ج١، ص١٢.
(٤) أُنظر: العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ص٥٣٠.
(٥) أُنظر: الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ج١، ص٢٢٧.
(٦) أُنظر: السبكي، أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ج١، ص٥١١.

تنزاح إلى دلالات يرشّحها السياق العام الذي ترد فيه[1]، والذي يهمّ البحث هو الخوض في أساليب الإنشاء الطلبي، وما تخرج إليه من دلالات حقيقية وأُخرى مجازية[2].

١ـ أُسلوب النداء

يكاد النحاة والبلاغيون يتفقون على أنّ النداء تنبيه المدعو، فقد قال ابن السرّاج: «**وأصل النداء تنبيه المدعو ليُقبل عليك**»[3]، وقد ذكر أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) أنّ النداء تنبيه للمخاطب «**لأجل أنّ المخاطَب قد يكون مُعرِضاً عن المخاطِب، متباعداً عن مكانه**»[4]، وقال العلوي في تعريفه: «**ومعنى النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك**»[5]، وقد عرّفه المغربي (ت١١٢٨هـ) بأنّه نوع من الطلب: «**وهو طلب الإقبال حسّاً أو معنىً بحرف نائب مناب أدعو**»[6]، فهم جميعاً يذهبون بالقول إلى أنّ النداء طلب يُراد به التنبيه، ولكن النداء قد يخرج من هذا الغرض الحقيقي إلى دلالات هامشيّة لا يراد بها التنبيه، بل هي دلالات بلاغية يدلُّ عليها السياق[7].

وهذا الطرماح بن عدي الطائي، وكان قد امتار لأهله من الكوفة ميرة، فخرج بهم على غير الطريق، حتّى إذا قاربوا الحسين عليه السلام حدا بهم، فقال:

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وشمّري قبل طلوع الفجرِ
بخير ركبان وخير سفرِ ... حتّى تحلّي بكريم النجرِ
الماجد الحرّ الرحيب الصدرِ ... أتى به الله لخير أمرِ[1]

---

(١) أُنظر: عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ص١٤ـ ١٥.
(٢) أُنظر: أبو العدوس، يوسف، الأُسلوبية الرؤية والتطبيق: ص٥١.
(٣) ابن السرّاج، محمد بن سهل، الأُصول في النحو: ج١، ص٣٢٩.
(٤) الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج٢، ص٧٦١ـ٧٦٢.
(٥) العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ص٥٣٥.
(٦) المغربي، أحمد بن محمد، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ج١، ص٥١٧.
(٧) أُنظر: السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص٣٢٣.

قد امتطى الطرمّاح ناقته، وجرّ بها الفيافي المقفرة بأشواكها القاسية، ورمالها المحرقة، وقد لفحها حرّ الهجير، وهو يحسّ بها وبلهفتها، فخاطبها خطاباً رقيقاً، بأن لا تنزعج من زجره العنيف الموجع، فهو إنّما زجرها حتّى يأتي بها إلى نصرة الحسين ابن علي عليهما السلام، وهنا استعمل أداة النداء (يا)، ونادى بها (الناقة)، وقد أضافها إلى ياء المتكلّم، وقد عمل الراجز على إثبات الياء ساكنة في الوقف والوصل، جاء في الكتاب: «**واعلم أنّ بُقيانَ الياء لُغة في النداء في الوقف والوصل، تقول: يا غلامي أقبِل، وكذلك إذا وقفوا، وكان أبو عمرو يقولُ:** ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾»[٢]، وهي لغة ثانية في نداء المضاف إلى ياء المتكلّم.

وقال العبّاس بن علي عليهما السلام:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني[٣]

وقال عمرو بن خالد الأزدي:

اليوم يا نفس إلى الرحمنِ ... تمضين بالروح وبالريحانِ[٤]

استعمل الراجز أداة النداء (يا)، ونادى بها نفسه، وقد ذكر سيبويه أنّ العرب يستعملون (يا) وغيرها «**إذا أرادوا أن يمُدّوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم؛ والإنسان المعرض عنهم، الذي يرون أنّه لا يُقبِل عليهم إلّا بالاجتهاد، أو النائم المستثقل**»[٥]، فهي إذن لنداء البعيد، وقد جاءت لنداء القريب (الناقة) مجازاً للتأكيد[٦]. ونجد أنّ كلمة (نفس) قد حُذِفت منها (ياء المتكلّم)، وبُني المُنادى على الضمّ، وهي لغة أُخرى في

(١) الأميني، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٩٧.
(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٢، ص٢١٠.
(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٧٩.
(٤) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٠.
(٥) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٢،٢ص٣٠. أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٤، ص٢٣٣.
(٦) أُنظر: الحسيني، جعفر باقر، أساليب المعاني في القرآن: ص١٢٥.

نداء المضاف إلى ياء المتكلّم، قال سيبويه: «**وبعض العرب يقول: يا ربُّ اغفر لي، ويا قومُ لا تفعلوا**»(١).

إنّ أصل (يا نفس) هو (يا نفسي)، فحُذفت الياء تخفيفاً، وضُمَّ ما قبل الياء المحذوفة، والعرب تفعل هذا في كلّ اسم تغلب عليه الإضافة، وكلمة (نفس) من هذه الأسماء؛ «**لأنّهم إذا لم يُضيفوها إلى ظاهر أو إلى مُضمَر غير المتكلّم عُلم أنّها مضافة إلى ياء المتكلّم**»(٢)، والمُنادى (نفس) على نيّة الإضافة(٣)، لذا هو منصوب بفتحة مقدّرة منع من ظهورها ضمّة المشاكلة للمفرد المبني(٤).

وقد دلّ النداء على الحنان والرحمة؛ لأنّ المُنادى (نفس) من الأسماء التي يغلب عليها الإضافة إلى ياء المُتكلّم(٥)، ومجيئه بالأداة (يا) دليل على رفيع مقام النفس وعُلوِّ شأنها، وتنبيهٌ وتأكيد لأمر مهم، وهو الترفّع عن شرب الماء المباح من لدن العبّاس عليه السلام؛ لأنّ أخاه الحسين عليه السلام ظامئ لم يذق برد الماء.

وقال الإمام الحسين عليه السلام مرتجزاً:

يا دهـر أفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بـالإشراق والأصيلِ

استعمل الإمام الحسين عليه السلام أداة النداء (يا)، ونادى بها الدهر، وقد جاء مفرداً نكرة مقصودة، وهو نوع من النداء يكون التعريف فيه عارضاً في النداء؛ بسبب القصد والإقبال. وذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني أنّ من النحاة مَن «**سوّى بين العلم والنكرة في أنّ كلّ واحدٍ منهما قد تعرّف بوقوعه موقع أسماء الخطاب، وبُني لذلك**»(٦). وقد ذهب الأخفش (ت٢١٥هـ) في النكرة المقصودة مذهب الكسائي في المنادى

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٢، ص٢٠٩.
(٢) ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٢، ص٢٨٢.
(٣) أُنظر: الإشبيلي، ابن عصفور، شرح جمل الزجّاجي: ج٢، ص١٠٠.
(٤) أُنظر: الصبّان، علي بن محمد، حاشية الصبّان: ج٣، ص٢٣١.
(٥) أُنظر: الإشبيلي، ابن عصفور، شرح جمل الزجّاجي: ج٢، ص١٠٠.
(٦) الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح: ج٢، ص٧٦٨.

المعرفة على أنّها مُعربة لا مبنية، نحو: (يا رجلُ)[1]، وتبعهما الرياشي (ت٢٥٧هـ)، فزعم أنّ المنادى معرب، والضمّة فيه ضمّة إعراب لا بناء[2].

فالمنادى (دهر) نكرة مقصودة؛ إذ دُلّ بالإقبال والقصد على مفرد معروف، وهو الدهر المقصود منه الزمان النحس، الذي ليس له صاحب؛ لذا بُنيَ على الضمّ.

وقال الأخوان الغفاريان:

يا قوم ذودوا عن بني الأحرارِ بـالمـشرفيّ والقنا الخـطّـارِ[3]

استعمل الغفاريان أداة النداء (يا)، وناديا بها قومهما (قوم)، وهو من نوع نداء المضاف إلى ياء المتكلّم، وقد حذفت ياء المتكلّم على لغة حذف الياء والاجتزاء بالكسرة عنها، قال سيبويه: «**اعلم أنّ ياء الإضافة لا تثبت مع النداء، كما لم يثبت التنوين في المفرد؛ لأنّ ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التنوين... وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء**»[4]، وهذه اللّغة هي الأكثر في كلام العرب والأفصح عندهم[5]. وذهب رضّي الدين الأسترآبادي إلى أنّ هذه اللّغة لا تجوز في كلّ منادى مضاف إلى ياء المتكلّم، وإنّما تكون في الأسماء التي غلبت عليها الإضافة إلى الياء، واشتهرت بها؛ لتدلّ الشهرة على الياء المُغيّرة[6].

وقال خالد بن عمرو الأزدي، وهو يُهنّئ أباه بالشهادة:

يا أبتا قد صرت في الجنانِ في قصر درٍّ حسن البنيانِ[7]

استعمل الراجز أداة النداء (يا)، ونادى بها أباه، فقال: (يا أبتا)، وأصلها (يا أبي)، فحذف الياء وعوض عنها بـ(تاء التأنيث)، وهذه صورة أُخرى من صور نداء

(١) أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع: ج٢، ص٢٩.
(٢) أُنظر: الإشبيلي، ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي: ج٢، ص٩١.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٨.
(٤) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٢، ص٢٠٩.
(٥) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٢، ص١٨١.
(٦) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج١، ص٣٩٠.
(٧) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥١.

المضاف إلى ياء المتكلّم، وهي خاصّة بنداء الأب والأُمّ، نحو قولهم: (يا أَبَتِ، ويا أُمَّتِ)[1]، وفي (يا أَبَتِ)، و(يا أُمَّتِ) لُغاتٌ: منها:

أـ إثبات (التاء) مُحرّكة بالكسر، كقولك: (يا أَبَتِ)، و(يا أُمَّتِ)، والأصل عند البصريين (يا أبي، ويا أُمِّي)؛ فأُبدلت من الياء تاء التأنيث؛ لتناسبهما في كون كلّ منهما من حروف الزيادة، وكُسرت؛ لتدُلّ على الياء المحذوفة، «**وإنّما يلزمون هذه الهاء في النداء إذا أضفت إلى نفسك خاصّة، كأنّما جعلوها عوضاً من ياء المتكلّم**»[2]. أمّا الكوفيُّون، فقالوا: التاء للتأنيث، والياء مُقدّرة بعدها، والأصل (يا أَبَتي، ويا أُمَّتي)[3].

والكسرةُ في (يا أَبَتِ) و(يا أُمَّتِ) زُحْلِقَتْ من الحرف قبل الياء في (يا أبي)؛ لاقتضاء تاء التأنيث أنْ يكون ما قبلها مفتوحاً[4].

ب ـ أن تلحق (التاء) ألفٌ، كقولك: (يا أَبَتا) و(يا أُمَّتا)، وأصل هذه اللّغة هو: (يا أَبَتي) و(أُمَّتي)، ولاستثقالهم ياءً بعد كسرة أبدلُوا من الكسرة (فتحةً)، ثُمّ قلبوا (الياء) ألفاً؛ لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها[5]. وذكر ابنُ جنّي أنّ هذه اللّغة قد جمعت بين العوض والمعوّض منه؛ فالتاء المبدلة من ياء المتكلّم في (يا أَبَتا) قد اجتمعت معها؛ لأنّ الألف مُنقلبة عن الياء[6].

وذهب رضيّ الدين الأسترآبادي إلى جواز هذه اللّغة؛ لأنّها جمعت بين عوضين، ولم يُعَدّ ذلك جمعاً بين العوض والمُعوّض منه[7]، وبها جاء النداء في قول هذا الراجز،

(١) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٢، ص٢١١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي: ج١، ص٣٩١.
(٤) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ج٢، ص٤٢٥.
(٥) أُنظر: ابن جنّي، عثمان، المحتسب: ج٢، ص٢٣٨ـ٢٣٩.
(٦) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٢٣٩.
(٧) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي: ج١، ص٣٩٢.

والنداء بـ(يا أبَتَا) دليلُ الرحمة والشفقة واللِّين والتودّد مع التعظيم والتفخيم[١]، فالمقام اقتضى خطاب الراجز لأبيه بألفاظ تُناسب حاله؛ لذا جاء نداؤه بالأُبوّة لإدخال السُّرور إلى قلب أبيه الشهيد، وهو في جنات الخلد.

٢ـ أُسلوب الأمر

أشار سيبويه إلى أنّ الأمر سياق فعلي لا يكون إلّا بفعل[٢]، وحدّه ابن الشجري (ت٥٤٢هـ) بأنّه: «**استدعاء الفعل بصيغة مخصوصة مع عُلوِّ الرتبة**»[٣]، وعرّفه العلوي بأنّه: «**صيغة تستدعي الفعل، أو قول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء**»[٤]، فمعناه متقارب عند النحويين والبلاغيين، وله أربع صيغ يؤدّى بها، هي: فعل الأمر، والفعل المضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر[٥].

ويرى السكّاكي أنّ الأمر حقّه الفور، والتراخي يُوقف على قرائن الأحوال[٦]، وقد يخرج الأمر من السياق إلى دلالات بلاغية جديدة، كالدعاء، والالتماس، وغيرها، إذا لم يكن فيه معنى الاستعلاء[٧].

يخرج زهير بن القين، فيضع يده على منكب الحسين عليه السلام، وهو يستأذنه بالقتال، قائلاً:

أقـدم هُديت هـاديـاً مهديّا ... فاليوم ألقى جـدّكَ النبيّا
وحـسـنـاً والمـرتـضى عليّا ... وذا الجناحين الفتى الكميّا
وأسد الله الشهيد الحيّا[١]

---

(١) أُنظر: المصدر السابق.
(٢) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج١، ص١٣٧.
(٣) ابن الشجري، هبة الله بن علي، الأمالي الشجرية: ج١، ص٢٦٨.
(٤) العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ص٥٣٠.
(٥) أُنظر: العلامة، محمد بن عز الدين، مصباح الراغب: شرح كافية ابن الحاجب: ص٥٦٦.
(٦) أُنظر: السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص٤٢٩.
(٧) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٢٨.

وقال مثل قوله سويد بن عمرو بن أبي المطاع:

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا وشيخكَ الحبر علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا وعمّكَ القرمَ الهمامَ الأرشدا
حمزة ليث الله يُدعى أسدا وذا الجناحين تبوّأ مقعدا
في جنّة الفردوس يعلو صعدا[٢]

استعمل الراجزان فعل الأمر (أقْدِم) بصورة (أفْعِل)، وقد اختلف النحويون في هذه الصيغة، فذهب البصريون إلى أنّها فعل أمر، وهي قسيم ثالث للفعل؛ إذ إنّ الفعل عندهم ثلاثة أقسام: الماضي والمضارع والأمر[٣]، أمّا الكوفيون فجعلوا الفعل قسمين: ماضياً ومضارعاً، وذهبوا إلى أنّ صيغة الأمر (اِفْعَلْ) مُقتطعة من المضارع، وأصل (اِفْعَلْ): (لِتَفْعَلْ)[٤]، ويخلُص أبو البركات الأنباري بعد عرض حُجج الفريقين إلى «**أنّ فعل الأمر صيغةٌ مُرتجلة، قائمة بنفسها، باقية في البناء على أصلها**»[٥].

وقد ذهب البصريون إلى أنّ فعل الأمر مبنيّ على السكون؛ لأنّ الأصل في الأفعال أنْ تكون مبنيّة، والأصل في البناء أن يكون على السكون[٦]، وذهب الكوفيون إلى أنّه مُعرب، وإعرابه الجزم[٧]، ولا مقتضي لبنائه، لكونه مقتطعاً من المضارع، فأُعرب كأصله[٨].

ويرى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري أنّ ما ذهب إليه الكوفيون فيه نظر، ففعل الأمر: «**أبعد صيغ الأفعال عن موجب الإعراب، وأقربها إلى معنى الحرف،**

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٣٩.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥،ص٢٦.
(٣) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج١، ص١٣٨.
(٤) أُنظر: الفرّاء، يحيى بن زياد، معاني القُرآن: ج١، ص٤٦٩.
(٥) أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف: ج٢، ص٥٤٨ـ٥٤٩.
(٦) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج١، ص١٧.
(٧) أُنظر: الفرّاء، يحيى بن زياد، معاني القُرآن: ج١، ص٤٦٩.
(٨) أُنظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، كتاب اللامات: ص٩٤.

وأحقّها بالبناء؛ لأنّه يؤدّي معنى، والمعاني حقّها أنْ تؤدّى بالحرف، وهو خالٍ من معنى الزمن، مجرد لمعنى الطلب، فهو يشتمل على الحدث مقترناً بالطلب»[1].

ونجد أنّ الفعل (أقْدِمْ) قد بُني آخره على السكون، قال المبرّد: «**فأمّا إذا كان المأمور مُخاطباً ففعلهُ مبنيٌّ وغيرُ مجزوم، وذلك قولك: اذهبْ، وانطلق**»[2]. وهو أمر جاء على غير حقيقته، بل جاء للدعاء والالتماس[3]؛ لأنّه صدر من رتبة أدنى إلى رتبة أعلى، وهو الحسين عليه السلام، يدعوانه ويلتمسانه القدوم على الأعداء الضالين.

قال خالد بن عمرو الأزدي، وهو يهنّئ والده بالشهادة:

صبراً على الموت بني قحطانِ ... كيما تكونوا في رضا الرحمنِ
ذي المجد والعزّة والبرهانِ ... وذي العلى والطول والإحسانِ [4]

وقال سعد بن حنظلة الشبامي:

صبراً على الأسياف والأسنة ... صبراً عليها لدخول الجنّه
وحور عين ناعمات هنّه ... يا نفس للراحة فاجهدنّه
وفي طلاب الخير فارغبنّه[5]

استعمل الراجزان أُسلوب الأمر بصيغة المصدر النائب عن فعل الأمر (صبراً)، وهو استعمال مطرد على حدّ تعبير أبي العبّاس المبرّد[6]، ففي موضع الأمر يجعل المصدر بدلاً من اللفظ بالفعل، ومستعملاً في موضعه[7]. واعتبر سيبويه أنّ المصدر في مثل هذا الموضع جارٍ مجرى فعل الأمر، أو جُعل بدلاً من اللفظ بالفعل، وقد

(١) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو الفعل: ص٥٩.
(٢) المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٢، ص١٣١.
(٣) السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص٣١٩.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٨.
(٥) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥١.
(٦) أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٣، ص٢١٦.
(٧) أُنظر: الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ص١٥٧.

وافقه في هذا بعض النحاة مثل السيوطي[١].

ويبقى الغرض من استعمال الراجزين للمصدر (صبراً) هو الدلالة على الأمر والإغراء بالفعل[٢]، وذهب الزمخشري في كشّافه إلى أنّ إنابة المصدر مناب الفعل فيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد[٣]، وذهب ابن الناظم إلى أنّ المصدر يفيد تأكيد الأمر، ولم يوافقه ابن عقيل في رأيه؛ لأنّه يرى أنّ المصدر واقع موقع الأمر، وليس فيه من التأكيد شيء، بل هو بمثابة فعل الأمر[٤]، ومهما يكن من أمر، فإنّ التوكيد والمبالغة لا تبعد عن روح الرجز الذي جاء مفعماً بروح المبالغة التي أرادها الراجزان من الصبر على وقوع البلاء، واحتمال الأذى في جنب الله، والفوز بالجنة.

٣ـ الاستفهام

ذهب أبو بكر بن السرّاج إلى أنّ الاستفهام هو طلب الإخبار؛ لأنّ معنى الاستفهام معنى الإخبار[٥]، وذهب ابن يعيش إلى أنّ الاستفهام معنى من المعاني يطلب به المتكلّم من السامع أنْ يُعلمه بما لم يكن معلوماً عنده من قبل، فحقيقة الاستفهام هي طلب فهم الشيء[٦]، وقد درج البلاغيون على هذا المعنى، فعرّفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: «**الاستفهام: استخبارٌ، والاستخبار هو طلبٌ من المخاطب أنْ**

(١) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج١، ص٢٧٥، وص٣١٢. الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ص١٥٨.

(٢) أُنظر: ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ص١٩٩. الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ص١٦٣.

(٣) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ج٣، ص٥٣٠. الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ص١٦٣.

(٤) أُنظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل: ج١، ص٤٧٧ـ٤٧٨. الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ص١٦٤.

(٥) أُنظر: ابن السرّاج، محمد بن سهل، الأُصول في النحو: ج٢، ص٣٢٧.

(٦) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٨، ص١٥٠.

يخبرك»[1]، وقد تنزاح دلالة الاستفهام عن حقيقة طلب الإخبار إلى دلالات أُخرى بديلة كالنفي، والإنكار، والتعجب، وهذا ما تناوله البلاغيّون في دراساتهم[2].

برز جون مولى أبي ذر الغفاري، وهو يرتجز قائلاً:

كيف يرى الكفّار ضرب الأسودِ بالسيفِ ضرباً عن بني محمّدِ
أذبُّ عنهم باللسانِ واليدِ أرجو به الجنّة يوم المـوردِ[3]

استعمل جون أداة الاستفهام كيف، وهي بمعنى (على أيّ حال؟)[4]، وتستعمل للسؤال عن حال ينتظم جميع الأحوال، وذهب ابن فارس إلى أنّها تستعمل سؤالاً محضاً عن الحال، وتستعمل حالاً لا سؤال معه[5]، وتنزاح دلالتها إلى معانٍ أُخرى كالنفي والإنكار والتعجب[6].

ورأى الفرّاء أنّ النفي لا يختصّ بكيف فحسب، بل تشترك فيه جميع المعاني الأُخرى[7]. وقد انزاحت دلالتها من معنى الاستفهام إلى معنى الإنكار والتعجب من هؤلاء القوم، الذين ينكرون بسالته وشجاعته وشدّة بلائه في الحرب، حتّى نكّل بهم بسيفه تنكيلاً، وأذاقهم حرارته بعد أن ذاق هو حرارة العشق الحسيني، وجُنّ من أجله جنوناً.

وبرز شاب قُتل أبوه في المعركة، وهو يقول:

أمـيري حسين ونعم الأمير سرور فـؤاد البشير النذير

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص١٤٠. أُنظر: العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ص٥٣٢.
(٢) أُنظر: السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص٣١٣. السبكي، أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ج٢، ص٥١٤.
(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٤٤.
(٤) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٢، ص١٢٨.
(٥) أُنظر: ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة: ص١٣٠.
(٦) أُنظر: المصدر السابق: ص١٣٠ـ ١٣١. الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين: ص٤٠٠.
(٧) أُنظر: الفرّاء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج١، ص٤٢٣.

عــلي وفــاطــمــة والـــداه فهل تعلمون له من نظير[1]

يستعمل هذا الشاب أُسلوب الاستفهام بعد أن شغفه حبّ مولاه الحسين عليه السلام، وبلغ تامور قلبه، وامتلأت روحه من فيض العشق الحسيني، وقد جاء الاستفهام بـ(هل)، وهي حرف استفهام، يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق الموجب لا غير[2]، وذكر الرماني والإمام المالقي أنهّا من الحروف غيُر العاملة؛ لعدم اختصاصها بالأسماء أو الأفعال[3].

وقد اختلف النحويون في الاستفهام الذي تدلّ عليه، فذهب سيبويه إلى أنّها بمنزلة (قد) في أنّها تدلّ على مضي لا على استقبال مثل الهمزة، والاستفهام مُستفاد من الهمزة المقدّرة معها[4]، وذهب المبّرد إلى أنّ الاستفهام فيها أصلّي، وقد تخرج عنه إلى معانٍ أُخرى يدلّ عليها السياق[5]، وهنا في هذا الرجز قد انزاحت دلالتها إلى معنى الإنكار، فهذا الشاب ينكر على أعداء الحسين عليه السلام تغاضيهم عنه، وصرف نظرهم منه، وكأنّهم لا يعلمون مَن الحسين عليه السلام، ومَن جدّه صلى الله عليه وآله، ومَن أُمّه وأبوه عليهما السلام، فليس له نظير في هذه الدنيا؛ لأنّه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثالث: أساليب جمعت بين الخبر والإنشاء

١ـ أسلوب الشرط

عرّف الفاكهي (ت٩٧٢هـ) الشرط بقوله: «(هو تعليق حصول مضمون جملة) ـ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٧.
(٢) أُنظر: المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني: ص٣٤١. السبكي، أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ج١، ص٥٢٩.
(٣) أُنظر: الرماني، علي بن عيسى، كتاب معاني الحروف: ص١٠٢.
(٤) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص١٨٩. الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٤، ص٤٤٦.
(٥) أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج١، ص٤٣ـ٤٤. ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٨، ص١٥٢ـ١٥٤.

هي جملة جواب الشرط ـ (بحصول مضمون) جملةٍ (أُخرى) ـ هي جملة الشرط ـ كـ: إنْ جاء زيد أكرمته، ولو جاء الشيخ لتمثلت بين يديه»[1].

ودلالة هذا المصطلح متأرجحة بين دلالته على أُسلوب الشرط برمته، أو جملة الشرط[2]، وهي جملة مركّبة من جملتين في الغالب، وقد ترتبط كلّ منهما بالأُخرى ارتباطاً وثيقاً؛ إذ تكون إحداهما سبباً لنتيجة تمثّلها الجملة الأُخرى[3]، وهذا يعني أنّ التلازم بين فعل الشرط وجوابه وثيق، فمهمة أداة الشرط ربط الجملة الأُولى بالثانية وبالعكس[4]، كذلك العلاقات المعنوية التي تربط بين الجمل، فتجعلها متضمنة لمعنى الشرط، فجملة الشرط تتألّف من عبارتين لا استقلال لأحدهما عن الأُخرى[5]، فتكون الأُولى جملة الشرط، وهي بمنزلة السبب، وتكون الثانية جملة جواب الشرط، وهي بمنزلة المسبَّب، وتربط بينهما أداة تتصدّرها هي أداة الشرط[6].

قال القاسم بن الحسن مرتجزاً:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سقوا صوب المزن[7]

وقال نافع بن هلال الجملي، وهو يرتجز:

أنـا الـغـلام اليمني الجملي ... ديني على ديـن حسين وعلي
إن أُقتل اليوم فهذا أملي[8]

---

(١) الفاكهي، عبد الله بن أحمد، شرح كتاب الحدود في النحو: ص٢٧٥.
(٢) أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٢، ص٥٠. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص١٦٤ـ ١٦٥.
(٣) أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٢، ص٤٦. الجواري، أحمد عبد الستار، نحو المعاني: ص١١٥.
(٤) أُنظر: ابن السرّاج، محمد بن سهل، الأُصول في النحو: ج١، ص٤٤ـ٥٤.
(٥) أُنظر: المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه: ص٢٨٤.
(٦) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٨٤، وص٢٨٩.
(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٤.
(٨) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام: ج٢، ص٢٢٤.

وقال عبد الله بن عمير الكلبي، وهو يرتجز:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... حسبي بيتي في عليم حسبي

إنّي امـرؤ ذو مـرّة وعصبِ ... ولست بالخوار عند النكبِ

إنّي زعـيـم لـكِ أُمّ وهـبِ ... بالطعن فيهم مقدماً والضربِ

ضرب غلام مؤمن بالربِّ[1]

استعمل الراجزون جميعاً أُسلوب الشرط بـ(إن)، وهو الأصل في حروف الشرط؛ لأنّه يصلح لجميع ضروبه[2]، ويدخل على فعل الشرط وجوابه، سواء كانا ماضيين أم مضارعين[3]، ويستعمل في المعاني المحتملة والمشكوك في وقوعها والموهومة والنادرة والمستحيلة، وغيرها من الافتراضات[4]. وقيل: إنّها ليست للشك، وإنّما هي لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها[5]، ولكثرته في الاستعمال الشرطي جعله يكتسب قيمة دلالية واستعمالية عالية[6].

ونجد أنّ هذه الأداة قد دخلت على الفعل المضارع (تنكروني) في رجز القاسم وابن الكلبي، و(أقتل) في رجز نافع، وهذه جميعها أفعال الشرط، وجوابها على التوالي (فأنا نجل الحسن)، و(فهذا أملي)، و(فأنا ابن الكلبي)، وجواب الشرط في كلّ ذلك مقترن بالفاء، لتكون رابطاً بين فعل الشرط وجوابه، وتدلّ على السرعة في الحدث.

---

(١) المصدر السابق: ص٢١٠.

(٢) أُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٢، ص٣٦٢.

(٣) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص٦٣.

(٤) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصّل: ج٩، ص٤. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج٤، ص٥٩.

(٥) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص٦٣.

(٦) أُنظر: المطلبي، مالك يوسف، في التركيب اللُّغوي للشعر العراقي المعاصر.. دراسة لُغوية في شعر السيّاب ونازك والبياتي: ص٩٢.

٢ـ أُسلوب القسم وجوابه

أكّد سيبويه والمبرّد وغيرهما من النحاة أنّ القسم يُفيد التوكيد في الكلام[١]، وقال أبو علي الفارسي: «**القسم جملة يؤكّد بها الخبر**»[٢]، ويتركّب من جملتين: جملة القسم (الجملة المؤكِّدة)، وجملة جواب القسم (الجملة المؤكَّدة)، وهما كالشرط والجزاء، صارتا بقرينة القسم كجملة واحدة[٣].

وتحدّث عنه أبو الفتح عثمان بن جنّي، فوصفه بأنّه: «**جملة إنشائية يُؤكَّد بها جملة أُخرى؛ فإن كانت خبرية فهو القسم غير الاستعطافي، وإن كانت طلبية فهو الاستعطافي**»[٤]، ونظراً لهذا الاختلاف الحاصل في جملة القسم بين الخبرية والإنشائية اختلف النحاة في أُسلوب القسم، فأدخله ابن عصفور الأشبيلي ضمن الأساليب الخبرية[٥]، في حين عدّه السيوطي من أساليب الإنشاء الطلبي[٦].

وقال العبّاس بن علي عليه السلام بعد أن ضحّى بيمينه:

والله إن قطعتم يميني ... إنّي أُحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقيني ... نجل النبي الطاهر الأمين[٧]

استعمل العبّاس بن علي عليهما السلام حرف القسم الواو، وأدخله على لفظ الجلالة (الله)؛

---

(١) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص١٠٤. المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج٢، ص٣٣٦. ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصل: ج٩، ص٩٠.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج٢، ص٨٦٢.

(٣) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٤، ص٣٠٤. هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ص١٦٦.

(٤) الصبّان، محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ج٤، ص٤٠.

(٥) أُنظر: الإشبيلي، ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي: ج١، ص٥٢٠.

(٦) أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن: ج٢، ص٢٥٩ـ٢٦١.

(٧) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام: ج٢، ص٢٥٧.

ليصل إلى أقصى غايات القسم، والواو من أكثر حروف القسم استعمالاً[١]، ولكثرة استعمالها حُذف فعل القسم معها وجوباً، فلا يُقال: أُقسم والله؛ خلافًا لأبي الحسن ابن كيسان (ت٢٩٩هـ) في تجويز ذلك[٢]، ولا تدخل على الضمير، فلا يقال: وك[٣]، وتدخل على الاسم الظاهر، فيقال: والله لأفعلن[٤].

ونلاحظ أنّ العبّاس عليه السلام قد جمع بين بنيتي القسم والشرط بقوله: (والله إن قطعتموا يميني إنّي أُحامي أبداً عن ديني)، وقد اجتمع القسم مُقدّماً مع الشرط بـ(إنْ)، وجملة (إنّي أُحامي أبداً عن ديني) جملة جواب القسم؛ «**لشدّة الاعتناء بالمُتقدِّم**»[٥]، فالنحويون القدماء وضعوا لنا قاعدة لاجتماع الشرط والقسم، وهذه القاعدة تنصّ على أنّ الجواب للمتقدّم، فإن كان المتقدّم شرطاً، فالجواب للشرط، وإن كان قسماً، فالجواب للقسم، يقول سيبويه: «**فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلّا أن يكون عليه، أَلا ترى أنّك تقول: لئن أتيتني لا أفعل ذاك؛ لأنّها لام قسم، ولا يحسن في الكلام لئن تأتي لا أفعل؛ لأنّ الآخر لا يكون جزماً**»[٦]، فالتعبير الشرطي المقترن بالقسم يكون جواباً للقسم لا للشرط، وعليه يكون جواب الشرط في هذا الرجز محذوفاً؛ لدلالة جواب القسم عليه، ولمجيء فعله ماضياً لفظاً[٧].

---

(١) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه (بولاق): ج٢، ص١٤٣. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج٤، ص١٣٩.

(٢) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٤، ص٣٠٠. السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع: ج٢، ص٣٩.

(٣) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٢، ص٣٠٠. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج٤، ص١٣٩.

(٤) أُنظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج٢، ص٣٦١.

(٥) الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح: ج٢، ص٤١٣.

(٦) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص٨٤.

(٧) أُنظر: الخضري، محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ج٢، ص١٢٥.

ومن استعمال القسم بالفعل قول الإمام الحسين عليه السلام:

أنـــا الحـــسين بـــن علي أحمـــي عـــيـــالات أبي
آلـــيـــت أن لا أنـثـنـي أمـــضي عـلى ديـــن الـنـبـي[1]

فقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام الفعل (آليت)، وهو بمعنى أقسمت وحلفت[2]، والمُقسم به محذوف، وهذا كثير في جملة القسم، فقد ذهب النحاةُ إلى جواز حذف جملة القسم المُركّبة من فعل القسم، وحرفه، والمُقسم به، ويبقى المُقسم عليه دليلاً على القسم المحذوف[3]، وعُلّل ذلك بأنّه: «**لمّا كان القسم مُستطالاً، لتضمُّنه جُملتين، كثُر تخفيفه تارةً بحذف الجملة الأُولى، وتارةً بحذف الجملة الثانية**»[4]، ويُسمّى القسم المحذوفة جملة قَسَمِهِ بالقسم المُقدّر[5]. وأرى أنّ حذف المقسم به إنّما جاء لغرض تعظيمه، فتذهب النفس بتقديره أيّما مذهب، وهذا غاية في التوكيد الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام، وهو منسجم مع سياق النص الذي جاء مفعماً بروح الشجاعة والبسالة في الدفاع عن عياله وأطفاله.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشيقة مع فنّ الرجز في واقعة الطف لا بدّ من ذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي:

١ـ لم يخرج الرجز في واقعة الطف عن الرجز المعهود في الحياة اليومية في عصر صدر الإسلام.

٢ـ تميّز الرجز في واقعة الطف بقصره النسبي، وفقدانه المقدّمات الطللية.

(١) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٨.
(٢) أُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصل: ج٥، ص٣٤٥.
(٣) أُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج٣، ص١٠٦.
(٤) ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية: ج١، ص٢١٥.
(٥) أُنظر: الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي: ج٤، ص٣١٥.

٣ـ معظم الرجز الذي جاء في واقعة الطف كان غير متكلّف، ولا مبالغ فيه، بل جاء عفو الخاطر، سهل المذاق.

٤ـ توشّى بعض الرجز بغريب اللفظ، كما رأينا في رجز نافع بن هلال الجملي، وهو يصف نباله.

٥ـ تميّز الرجز في واقعة الطف بالمديح والافتخار بالنفس وبآل البيت عليهم السلام.

٦ـ إنّ دراسة الرجز في تلك الحقبة أمر مهم للدارسين؛ لأنّه يعدّ من شعر عصر الفصاحة.

٧ـ استعمل الراجزون في بناء رجزهم كافة الأساليب الخبرية والإنشائية، والأساليب التي جمعت بين الخبر والإنشاء.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على رسوله الكريم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ندوة:

شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام في أراجيزه ومضامين زياراته
دراسةٌ في ضوء نظرية السمات الشخصية

م. د. نور الساعدي*

هذا البحث هو عبارة عن محاضرة أُلقيت في ندوة علمية في النجف الأشرف، أقامتها مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، بتاريخ: (٢٥/ ١/ ٢٠١٨)، تحت عنوان: (البعد الفكري في أراجيز الطف).

المقدّمة

يُشير النصّ القرآني إلى أهميّة قراءة الشخصية لمعرفة سماتها ومميّزاتها في أكثر من آية، منها قوله تعالى:

- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ...﴾[1].
- ﴿... يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا...﴾[2].
- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ...﴾[3].

---

* دكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية/ كلّية الفقه/ جامعة الكوفة. باحثة علمية في القسم النسوي في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

(١) الفتح: آية٢٩.

(٢) البقرة: آية٢٧٣.

(٣) الأعراف: آية٤٦.

- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1].
- ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[2].

عُرفت تلك القراءة بنظرية (السيما) أو (العلامة)، وقد بيّن الراغب الإصفهاني أنّ هذا التّوَسُّم يُراد منه التفرّس، إذ قال: «﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، **أي: تتفرّس فيهم أحوالهم، ممّا يدلّ على أنّ للفراسة حكماً صادقاً**»[3]. فالفراسة تعني: قراءة شخصية الفرد من خلال علامات ومواقف ظاهرية أو باطنية. ومن خلال الآيات الكريمة يتبيّن أنّ تلك السمات هي طريق يؤدّي إلى معرفة حقيقة الشخصية وكيفية التعامل معها.

وتطوّرت تلك النظرية، وعُرفت فيما بعد بنظرية (السمات)، أو نظرية (السمة الشخصية)، واحتلّت في علم النفس حيّزاً واسعاً ومهماً.

ولا يخفى أنّ دراسة الرموز الدينية في ضوء تلك النظرية يعطي للنظرية جانبها التطبيقي، ويشخّص مواطن توافقها واختلافها مع المفهوم الإسلامي للنظرية من جهة، ويُظهر عظمة الشخصية الرمز من جهة أُخرى، لا سيّما إذا كانت الآثار والكلمات والمواقف هي التي تحكي عن شخصيته.

والشخصية الرمز (موضوع البحث) هي شخصية أبي الفضل العبّاس بن علي ابن أبي طالب عليهما السلام، وهي الشخصية المحورية الثانية في واقعة الطف بعد شخصية الإمام الحسين عليه السلام، إذ تسعى الباحثة إلى تطبيق قواعد نظرية سمات الشخصية على أراجيز أبي الفضل العبّاس من جهة، وما تضمّنته نصوص زياراته من جهة أُخرى، من خلال اتّباع منهج الاستقراء والوصف والتحليل والاستنتاج.

---

(١) محمد: آية ٣٠.

(٢) الرحمن: آية ٤١.

(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٨٧١.

أمّا المصادر التي اعتمدتها الباحثة في استقراء أراجيز أبي الفضل وزيارته فهي: كتب المقاتل، وكامل الزيارات.

وقد تمّ تقسيم مباحث المقال إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأوّل: نظرية السمات الشخصية وأهمّيتها.

المبحث الثاني: سمات شخصية أبي الفضل عليه السلام في أراجيزه وزياراته.

المبحث الثالث: العوامل المؤثّرة في تكوين سمات شخصية العبّاس عليه السلام.

المبحث الأوّل: نظرية السمات الشخصية وأهمّيتها

نظرية السمة في علم النفس هي نهج لدراسة شخصية الإنسان، فهي تُقدّم وصفاً للفرد من خلال مجموعة كبيرة من السمات المميزة له[1]، إذ يهتمّ أصحاب هذه النظرية في المقام الأوّل بقياس السمات التي يمكن تعريفها بأنّها: مجموعة من الصفات العقلية والجسمية والنفسية التي تظهر على الشخص في موقف معيّن، والتي تميّزه عن غيره من الأشخاص. ويمكن القول: إنّ كلّ ما يصدر عن الإنسان من أقوالٍ وأفعالٍ هو انعكاس لحقيقة شخصيته، فالفرد يمكن أن يُفهم في ضوء سمات شخصيته التي تُعبّر عن سلوكه، أو «**تُعبّر عن استعداد ثابت نسبياً لنوع معيّن من السلوك**»[2].

نظرية السمات ظهرت ملامحها الأُولى مع عالم النفس الأمريكي (جوردون ألبورت) (١٨٩٧م-١٩٦٧م)، فقد عمل على تطوير نظريته-نظرية سمات الشخصية- التي تمزج بين دراسة السلوك والتحليل النفسي، بعيداً عن الغوص عميقاً في اللاوعي والمبالغة في التحليل، وبعيداً عن الاقتصار الحصري على دراسة السلوك الظاهر، ومن خلالها عرّف السمة بأنّها: «**نظام نفسي مركزي عام... يعمل على جعل المثيرات**

(١) أُنظر: سفان صائب، الموهبة العقلية والإبداع من منظور علم نفس الشخصية: ص١٦.

(٢) زهران، حامد عبد السلام، التوجيه والإرشاد النفسي: ص١١٩.

المتعدّدة متساوية وظيفياً، كما يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفي والتعبيري»[1].

وقد عمل علماء آخرون على تطوير تلك النظرية، وذلك باقتراح عدد من السمات لتحليل الشخصية في إطار عامّ من السمات الرئيسة، من خلال أُسلوب إحصائي لتحليل العوامل، فقدّم (ريموند كاتيل) نظرية السمات الشخصية، وأشار فيها إلى ست عشرة سمة[2]، وعرّف السمة بأنّها: «**مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد، ومعالجتها بنفس الطريقة في معظم الأحيان**»[3]، وجعل من السمة وحدة بناء الشخصية في نظريته، أو أنّها تمثّل العنصر الأساسي في بناء الشخصية[4].

بينما اقترح (هانز ايزينك) ثلاث سمات مسؤولة عن تكوين شخصية الإنسان، هي: الانبساط ويقابله الانطواء، والانفعال ويقابله الاتّزان، أمّا المكوّن الثالث فهو ما ينتج عن تقاطع سمتي الانبساط والاتّزان، أو الانطواء والانفعال، وبعبارة أُخرى: إنّ السمات المسؤولة عن تكوين شخصية الفرد هي سمة القدرة الاجتماعية، والفعّالية، والحيوية[5].

وجاء نموذج العوامل الخمسة الذي قدّمه (لويس جولد بيرج) ليقدّم دعماً كبيراً من قِبل واضعي نظرية السمات الشخصية[6].

تُدرس هذه النظرية ضمن علم نفس الشخصية، الذي يختصّ بدراسة الأنماط

(١) عبد الستار جبار، علم النفس الرياضي: ص٤٢.
(٢) أُنظر: سامي محسن، وفاطمة عبد الرحيم، علم النفس الاجتماعي: ص٤٧.
(٣) عبد الستار جبار، علم النفس الرياضي: ص٤٢.
(٤) أُنظر: سفان صائب، الموهبة العقلية والإبداع من منظور علم نفس الشخصية: ص٢٠.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٢.
(٦) أُنظر: سامي محسن، وفاطمة عبد الرحيم، علم النفس الاجتماعي: ص٤٧.

السلوكية والفكرية والانفعالية الثابتة لدى الأفراد، ويُشار إليها عادةً بالشخصية، ويُختلف في تعريفها تبعاً لاختلاف المدارس والاتجاهات النفسية[١]، وتُعدّ نظرية السمات الشخصية هي الأساس النظري الذي تقوم عليه طريقة الإرشاد الموجّه أو الإرشاد الممركز حول المرشد، ويراد بها مساعدة الفرد القادر على توجيه ذاته ببصيرة وذكاء وكفاية لتحقيق الصحّة النفسية، والتوافق في مجالات الحياة المختلفة[٢].

أنواع سمات الشخصية

اختلف علماء النفس في تقسيم السمات الشخصية للأفراد من حيث الكم والنوع، فمنهم مَن قسّمها إلى سمات رئيسة وأُخرى مركزية، ومنهم مَن جعل السمات تنتظم وفق أبعاد معرفية ووجدانية وجسمية، ومنهم مَن جعلها على نوعين: سمات سطحية كالإيثار والواقعية، وأُخرى مصدرية، وهي الأعمق في شخصية الفرد الدافعة للسمات السطحية للظهور على سلوك الفرد المعلن[٣]، وقد قُسّمت السمات التي يحملها الفرد بشكل هرمي إلى ثلاثة أقسام، هي[٤]:

١ـ السمات الأساسية: وهي السمات التي يتّسم بها الفرد ـ تقريباً ـ طول حياته، ويكون مشهوراً بها، فيصير اسمه بحدِّ ذاته لقباً يُطلق على حاملي صفته، فنحن ـ مثلاً ـ عندما نقول: (ستالين) نقصد شخصاً ديكتاتورياً، أو نقول ـ مثلاً ـ هذا الشخص (فرعون)، أي: أنّه شخص متجبّر ظالم، أو نقول: إنّ فلاناً (أينشتاين)، أي: إنّه عبقري، وهؤلاء الأشخاص (ستالين، فرعون، أينشتاين) صارت أسماؤهم بحدِّ ذاتها لقباً يُشير إلى السمة، أي: إنّ الصفة صارت لصيقة بهم، ومقترنة باسمهم الشخصي.

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٦.
(٢) أُنظر: حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي: ص١٢.
(٣) أُنظر: العاني، نزار، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي: ص٩٥.
(٤) أُنظر: سفان صائب، الموهبة العقلية والإبداع من منظور علم نفس الشخصية: ص١٨.

٢ـ السمات المحورية أو المركزية: وهي السمات التي تكون لصيقة أيضاً بالشخص، لكنّها ليست بحدّة السمات الأساسية، مثلاً: ذكي، غبي، عصبي، لطيف، شرير، وغير ذلك.

٣ـ السمات الثانوية: وهي السمات التي تظهر في ظروف معيّنة لا يمكنك اكتشافها في الشخص دائماً، كأن يكون الشخص لطيفاً وذكياً واجتماعياً، كسماتٍ ملازمة له طول الوقت، لكنّه في وقت الشدّة يصير عصبياً جدّاً، يثور على كلّ مَن حوله، فهذه السمة لا يمكن اكتشافها إلّا في ظرف الشدّة، كسمة ثانوية له لا تلازمه كلّ الوقت.

وممكن أن تقسّم السمات الشخصية بصورة عامة على النحو الآتي[١]:

١ـ سمات مشتركة: يتّسم بها الأفراد جميعاً، أو على الأقل جميع الأفراد الذين يشتركون في خبرات اجتماعية مُعيّنة.

٢ـ سمات فريدة أو جوهرية: لا تتوافر إلّا لدى فرد معيّن، ولا توجد على نفس الصورة بالضبط لدى الآخرين.

٣ـ سمات سطحية: وهي السمات الواضحة الظاهرة.

٤ـ سمات مصدرية: وهي السمات الكامنة التي تُعدّ أساس السمات السطحية.

٥ـ سمات مكتسبة: تنتج عن فعل العوامل البيئية، وهي سمات متعلّمة.

٦ـ سمات وراثية: وهي سمات تكوينية تنتج عن العوامل الوراثية، ولا تحتاج إلى تعليم.

٧ـ سمات دينامية: تهيّئ الفرد وتدفعه نحو الأهداف.

٨ـ سمات قدرة: تتعلّق بمدى قدرة الفرد على تحقيق الأهداف.

وهذه الأنواع جميعها تتّسم بمجموعة من الخصائص منها[٢]:

---

(١) حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي: ص١١٩.

(٢) أُنظر: عبد الستار جبار، علم النفس الرياضي: ص٤٢.

أ ـ أنّ السمة تقوم بدور دافعي في سلوك الفرد، بمعنى أنّها تدفع الفرد لسلوك مُعيّن دون غيره.

ب ـ أنّ تلك الأنواع أو السمات ليست مستقلّة عن بعضها، بل ترتبط فيما بينها ارتباطاً موجباً؛ لأنّها تنبع من مصدر عام وهو شخصية الفرد، بل إنّ بعضها تجتمع معاً، لتكوّن السمات العامّة أو السمات المشتركة.

وبذلك فإنّ السمات هي أبعاد للشخصية، يمكن تحديدها لمعرفة خصائص تلك الشخصية وإمكاناتها التي تؤهّلها أن تكون نموذجاً في المواقف المناظرة من جهة، ومدى تأثيرها في المحيط من جهة أُخرى، ولعلّه من هنا تتّضح أهمّية القدوة أو الرمز الذي يمكن الاقتداء به واتّباعه، وكيفية تأثيره في الآخر سلباً أو إيجاباً؛ ولذلك فإنّ «**نظرية السمات الشخصية ركّزت على شخصية القائد، وخصائصه وقيمه، والطباع التي تميّزه**»[1].

المبحث الثاني: سمات شخصية أبي الفضل في أراجيزه وزياراته

باستقراء كلمات أبي الفضل العبّاس عليه السلام في أراجيزه ووصفه في زياراته، يتبيّن أنّ سمات شخصية أبي الفضل عليه السلام هي السمات الآتية: (فريدة، مكتسبة، وراثية، دينامية، قدرة)، ولكلّ سمة من هذه السمات مصداقها الذي يتجلّى من خلال تحليل كلمات أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وهي:

أ. شخصية دينامية هادفة

يُقصد بالدينامية: مجموعة الانفعالات والاستجابات التي تدفع الفرد في موقف معيّن لسلوك محدّد الأهداف مُسبقاً، فشخصية أبي الفضل كان لها استجابات في مواقف عدّة، حتّمت عليه اتخاذ إجراء آني لا يتحمّل التأخير، إلّا أنّ ذلك الإجراء

(١) أبو العلا، ليلى محمد، مفاهيم ورؤى في الإدارة والقيادة التربوية بين الأصالة والتحديث: ص٦٠

أو السلوك كان يصبّ في مجال تحقيق أهدافه الأساسية، وهي: حماية الدين، ونصرة الإمام الحسين عليه السلام. وتحقيق أهدافه الفرعية، كسقاية العيال، أو دفع الأذى عنهم، فعندما قال:

أقسمت بالله الأعـزّ الأعظم ... وبالحجون صـادقـاً وزمـزم

وبالحطيم والفنا المحـرّم ... ليُخضَبن اليوم جسمي بدمي

دون الحسين ذي الفخار الأقدم ... إمام أهل الفضل والتكرُّم[1]

فقد حدّد غايته الأسمى، وهي فداء الإمام الحسين عليه السلام بأغلى ما يُفدى به، وهو التضحية بالنفس. ولتحقيق ذلك الهدف هناك مجموعة من الاستجابات أو السمات التي دفعته إلى تحقيق أهدافه، منها:

١ـ **عدم الخوف من الموت**: عندما مضى يطلب الماء، فحمل على الأعداء وحملوا عليه، ففرّقهم، وجعل يقول:

لا أرهبُ المـوتَ إذا المـوتُ زقـا ... حتى أوارى في المصاليتِ لقى

نفسي لنفسِ المصطفى الطهرِ وقى ... إنّي أنا العبّاس أغدو بالسقا

ولا أخافُ الشرَّ يوم الملتقى[2]

ومعنى الأُرجوزة: أنّه عليه السلام لا يهاب الموت حين يُعلن عن وجوده، حتّى يكون عند اللقاء مقتولاً مُلقى بين الشجعان[3].

٢ـ الإقدام على الموت: فالعبّاس عليه السلام لا يهاب الموت، بل أقدم عليه كالنّسر منقضّاً على فريسته، فعندما ضُرِبت يمينه أخذ السيف بشماله.

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٨٠. الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٠٧.

(٢) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٣٣.

(٣) أُنظر: الجلالي، محمد رضا، أبو الفضل العبّاس سيرته وسماته: ص٢٠٩.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الإنسان عادةً عندما يُصاب بألم ينشغل بألمه عن مواصلة أيّ عملٍ آخر كان يقوم به، فكيف بألم قطع اليمين، بل المشهد نفسه كفيل بأن ينشغل الإنسان به عن متابعة القتال، ولكنّ شخصية العبّاس بما أنّها تتّسم بالفاعلية الهادفة التي تحرّكه نحو أهدافه، تناسى حجم الألم أو طبيعة الصعاب التي تنتظره، بل في حال وجود العقبات فإنّ شخصيته تعمل على إيجاد البدائل في أصعب الظروف؛ لتحقيق هدفها الأسمى، فعندما قُطعت يمينه أخذ السيف بشماله، وحمل على الأعداء، وهو يرتجز:

والله إن قطعتموا يميني ... إنّي أحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقين ... نجل النبيّ الطاهر الأمين[1]

وهنا يتجدّد إعلانه عن أهدافه الآنية، وهي: حماية الدين، وحماية الرمز الذي يتجلّى فيه الدين بصورة كاملة، وهو الإمام الحسين عليه السلام، ويعلن عن أهدافه الاستراتيجية بعد قطع يساره، وهو الفوز برضا الله سبحانه، بواسطة الالتحاق بالمصطفى وأهل بيته عليهم السلام، فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفّار ... وأبشري برحمة الجبّار

مع النبيّ السيّد المختار ... قد قطعوا ببغيهم يساري

فأصلهم يا ربِّ حرَّ النار[2]

فإنّ تهوين ما وقع على النفس، وتذكيرها بما ينتظرها من نعيم، يُعطي زخماً معنوياً قادراً على تحمّل ألم العطش ونزف الدم، وتحمّل مشاقّ القتال من جهة، ويعكس حجم الخزين المعرفي بأبعاد حركة الإمام الحسين عليه السلام من جهة أُخرى، وهنا تأتي سمة شخصية أُخرى تتّسم بها شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وهي سمة القدرة.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١١٧.

(٢) المصدر السابق.

ب ـ شخصية قادرة مريدة

سمة القدرة ترتبط بشكل كبير بمدى استعداد الفرد وقدرته على تحقيق أهدافه، وشخصية أبي الفضل من أهمّ سماتها أنّها شخصية لها قدرة على تحقيق أهدافها؛ لما تتّصف به من الشجاعة، لكونه لا يهاب الموت، بل أقدم عليه، وذلك يحكي عن شجاعة وراثية ومكتسبة.

فالوراثية كونه ابن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف عنه بأنّه قتّال العرب من المشركين. وأمّا المكتسبة، فهو ربيب بيت البطولة والشجاعة، ولكنّ الشجاعة بمفردها لا تكفي، بل لا بدّ من دافع وراءها يحرّك تلك الشجاعة باتجاهها الصحيح، بواسطة مجموعة من الإمكانات الذاتية التي تؤهّله لتحقيق تلك الأهداف، وقد بيّنتها مضامين الزيارة التي زاره بها الإمام الصادق عليه السلام، والتي تدلّ على سموّ منزلة العبّاس عليه السلام، وعظيم مكانته، قائلاً: «**وأشهد لك بالتسليم، والتصديق، والوفاء، والنصيحة، لخلف النبيّ المرسل، والسبط المنتجَب، والدليل العالم، والوصي المبلّغ، والمظلوم المهتضَم...**»[1].

وتلك الإمكانات هي:

١ـ التسليم: وهو الانقياد والطاعة المطلقة، بتجرّدٍ كامل عن إرادة كلّ شيء سوى نصرة الإمام الحسين عليه السلام، وحماية الدين، فإيمانه العميق بقضية الإمام ـ الذي خرج طالباً الإصلاح ـ أوصلته إلى مرحلة لا يرى فيها الحقّ إلّا من خلال نصرة الحسين عليه السلام، ولعلّ ذلك أحد أهم أسباب نجاح الثورة الحسينية، وهو إيمان رجالاتها بحقّانيتها.

٢ـ التصديق: وهو تارةً يكون من دون قناعة بمصداقية العمل وصحّته، وهو ما يُعبّر عنه بالتصديق الأعمى، وتارةً يكون عن بصيرة وقناعة تامّة وإدراك واعي. التصديق الثاني هو الأكمل والأرقى، ونفاذ البصيرة التي أوجدت التصديق والتسليم

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٤٠.

في شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام، جعلت منه شخصية قادرة على تحقيق أهدافها بوعي ودراية؛ ممّا منحها سمة شخصية جديدة، وهي سمة التفرّد، أو ما يُعبّر عنها بالسمة الجوهرية.

ج ـ سمة التفرّد

وهي سمة «**لا تتوافر إلّا لدى فرد معيَّن، وإذا وجِدَت فلا توجد على نفس الصورة بالضبط لدى الآخرين**»(١)، ويمكن القول: إنّ كلّ السمات التي ذُكرت سابقاً في شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام، هي سمات فريدة، ولكن هناك سمات عُرف بها، وأصبحت عنواناً له، فإذا ذُكرت تبادر الذهن إلى شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام، منها:

١ ـ نفاذ البصيرة: حيث وصف الإمام الصادق عليه السلام عمّه العبّاس بقوله: «**كان عمّي العبّاس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً**»(٢). ونفاذ البصيرة يعني قوّة الفراسة، وشدّة المراس، وقوّة الحنكة، والقدرة على تخطّي العقبات الحالية بالخبرات السابقة، وتطويعها وترويضها، والاستفادة منها في إيجاد حلول لمشاكل جديدة، وهو نوع من الإدراك الحسّي الخارج عن نطاق الحواس، يتفرّد به أشخاص قلّة، يتمتّعون بشفّافية روحية، تمدّهم بقوّة إدراكية تمكّنهم من رؤية بعيدة المدى، يتجاوزون فيها حدود الزمان والمكان؛ ليصلوا إلى عواقب الأُمور قبل وقوعها(٣).

من هنا فإنّ سمة نفاذ البصيرة في شخصية أبي الفضل عليه السلام، تعني أنّه أدرك حقيقة حركة الإمام الحسين عليه السلام ومقامه، وعرف جيّداً مَن هو الخصم، وما هي أهدافه، واستقرأ دوافعه، فرأى عاقبة ما سيؤول إليه الأمر منذُ البداية؛ ولذلك صدّق وسلّم،

(١) حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي: ص١١٩ـ١٢٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢١٨.
(٣) اُنظر: نجاتي، عثمان محمد، القرآن وعلم النفس: ص١٢٩.

فاستطاع بذلك تحقيق أهدافه الآنية والاستراتيجية من خلال الرؤية الثاقبة التي جعلت جهاده مع الإمام الحسين عليه السلام جهاداً منقطع النظير، وهو ما عبّرت عنه الزيارة على لسان الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**أشهد أنّك لم تهنْ ولم تنكلْ، وأنّك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيين**»(١).

٢ـ الوفاء: وهو من السمات التي تفرّدت بها شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وشهد له بها المعصوم عليه السلام حتّى بيّن جزاءه بقوله: «**فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحدٍ ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره**»(٢). وسمة الوفاء في الشخصية، تعني حفظ العهود والمواثيق وأداءها على أتمّ وجه، وهي من السمات النادر تواجدها في الأفراد، حتّى ضربت العرب المثل بندرتها، فقالوا: «**هو أعزّ من الوفاء**»(٣).

وتتجلّى صور الوفاء في سلوك أبي الفضل عليه السلام ومواقفه، منها: أنّه لم يترك نصرة الإمام الحسين عليه السلام عندما عرض عليه الشمر الأمان من القتل في حال تركه لمعسكر الحسين عليه السلام، وفداؤه لأخيه بنفسه حتّى قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**رحم الله عمّي العبّاس بن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتّى قُطعت يداه**»(٤).

٣ـ المواساة: سمة أُخرى بيّنتها الزيارة لأبي الفضل العبّاس عليه السلام، والمروية عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي**»(٥). ووردت صفة المواساة في شخصية أبي الفضل العبّاس في زيارة الناحية المنسوبة للإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف في قوله: «**السلام على العبّاس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٤٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص٢١٠.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢١٨.
(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٤٠.

بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي له، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه»[1].

والمواساة في اللغة هي: «**المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق**»[2]، فالمواساة: مشاركة الآخر في كلّ ما يشعر به من مشاعر سلبية أو إيجابية، وهي من السمات نادرة الوجود في الأفراد؛ لذا نرى العبّاس قد رمى الماء من يده بعد أن أحسّ ببرودته وهو عطشان؛ لأنّه تذّكر عطش الإمام الحسين عليه السلام وعياله، وهنا تتجلّى المواساة بأبهى صورها، إذ ارتجز قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هُوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين واردُ المنون ... وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين[3]

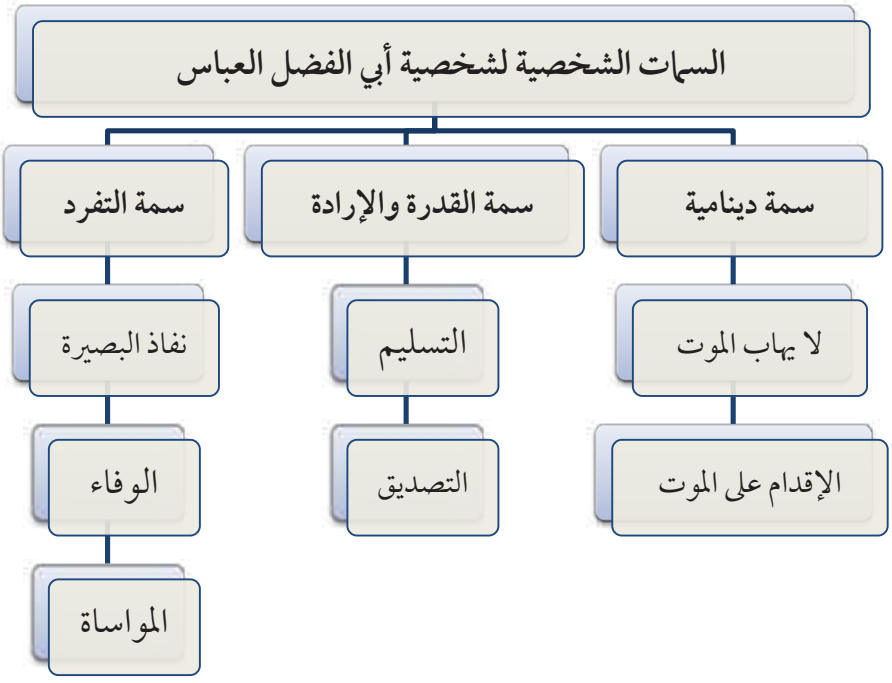

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦٥.

(٢) ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب: ج١٤، ص٣٥.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٦٧.

وهنا ربط العبّاس سلوكه هذا بالمنظومة القيمية التي يؤمن بها وينتمي إليها، فلا مجال أن يُشكِل أحدهم بأنّه سلوك أدّى به إلى التهلكة، أو أنّه آذى نفسه بالعطش، وهو القادر على دفعه بعد أن وصل إلى الماء، فسمة المواساة ضمن المنظومة القيمية في الإسلام تُترجم حجم الترابط والتآزر بين الأفراد، بمعنى أنّ ذلك السلوك لم يكن ميلاً عاطفياً، أو انفعالاً وانحيازاً نسبياً بحكم رابطة الإخوّة النسبية بين أبي الفضل والإمام الحسين عليهما السلام، بل الأمر متعلّق بالدين، فهو عليه السلام رفع ذلك التبادر بقوله: «**تالله، ما هذا فعال ديني**».

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين سمات شخصية العبّاس عليه السلام

المواقف تحمل السمات الشخصية الخاصّة بصانعيها؛ وتحمل طابع أهدافهم، وأمزجتهم، وعواطفهم، وأخلاقياتهم، وطريقة فهمهم للحياة، وقد تنعدم هذه السمات الشخصية المميّزة مع أصحابها، ولن تعود على الإطلاق، فالمواقف بهذا المعنى لا تعود ولا تتكرر، فإنّ ما حدث في الماضي قد حدث مرةً واحدةً، أمّا إذا أردنا من هذه القضية أو ذلك الموقف أن يتكرر وفق مظاهره العامّة وآثاره النفسية والاجتماعية في المجتمع، فيجب أن تتوفّر في الحاضر، وفي نسيجه الاجتماعي وعلاقاته الإنسانية، الأسباب الموضوعية التي أدّت إلى نشوء ذلك الموقف في الماضي[1]، بمعنى أنّه لا بدّ أن تُدرس العوامل التي ساهمت في صناعة ذلك الموقف، الذي لن يتكرر إلّا بتكرر صاحبه، أو العوامل التي كوّنت شخصيته، فالموقف هو العنصر الأساسي في تحديد طبيعة السلوك، ويتوقّف أداء الفرد على طبيعة ذلك الموقف، وكيفية فهم الفرد له، بما يمتلكه من مهارات ذهنية وعقلية واجتماعية[2]، وبما أنّ الأشخاص لا يتكررون وإنّما سماتهم هي التي قد تتكرر، فلا بدّ من بحث العوامل المكوّنة للسمات

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام: ص٩٥.
(٢) أُنظر: رائد يوسف، إدارة السلوك الإنساني والتنظيمي: ص٣٩.

الشخصية لدى الأفراد، لمعرفة كيفية استعادة مواقفهم من الماضي إلى الحاضر.

فعندما نقرأ زيارة أبي الفضل العبّاس عليه السلام التي يستهلها المعصوم بقوله: «**سلام الله وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين، والزّاكيات الطيّبات، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين... السلام عليك يا أبا الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن سيّد الوصيين، السلام عليك يا بن أوّل القوم إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، وأقومهم بدين الله، وأحوطهم على الإسلام**»[1]، نجد أنّ نسبة أبي الفضل لأمير المؤمنين بالبنوّة، وذكر مناقب أمير المؤمنين حاضرة في الزيارة، أي: إنّ الإمام عليه السلام استدعى ما كان لأمير المؤمنين من مواقف مع النبيّ الأعظم في خطاب الزيارة لأبي الفضل، وهو أمر يستدعي التوقّف لأسباب، منها:

أولاً: معروف أنّ العبّاس عليه السلام هو ابن علي بن أبي طالب، فما هي مناسبة ذكر النسب هنا؟

ثانياً: المرء في ميادين الفخر تُذكر مناقبه لا مناقب آبائه؛ إذ ينسب لأمير المؤمنين قوله:

كن ابن مَن شئت واكتسب أدباً ... يُغنيك محموده عن النسب

فليس يُغني الحسيب نسبته ... بلا لسانٍ له ولا أدب

إنّ الفتى مَن يقول ها أنا ذا ... ليسَ الفتى مَن يقول كان أبي[2]

فما وجه ذكر نسبة العبّاس لأمير المؤمنين عليهما السلام مع كل ما ذكرته الزيارة من سمات لشخصية العبّاس؟ وما علاقة مواقف أمير المؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وآله بموقف أبي الفضل مع أخيه الحسين عليهما السلام؟

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٢٨٩ـ٢٩١.

(٢) المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ج٧، ص٢٧٠.

الإجابة عن تلك التساؤلات تكمن في أنّ تلك السمات العظيمة التي اتّسمت بها شخصية العبّاس عليه السلام لم تأتِ من فراغ، بل هناك عدّة عوامل اجتمعت على تكوينها؛ إذ تتكوّن الشخصية من مجموعة مكوّنات عقلية وجسمية واجتماعية، ولكلّ مكوّن منها تأثير على المكوّن الآخر من جهة، وكلّ مكوّن يتأثّر بمجموعة من العوامل الخارجية التي تُسهم في تكوين الشخصية من جهة أُخرى[1]، ومن العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية أبي الفضل هي:

أ ـ العوامل الوراثية

يُقصد بالعامل الوراثي: ما ينتقل من صفات وراثية إلى الفرد من آبائه وأجداده، ويُسهم في تكوين ملامحه الخلقية والخُلقية، مثل: الذكاء، والشجاعة، والكرم، وغيرها[2]، والزيارة تذكر أنّ أمير المؤمنين هو أوّل القوم إسلاماً، أي: أوّلهم نصرة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وكذلك العبّاس عليه السلام، هو أوّل مَن نصر أخاه، وبقيَ معه إلى آخر محطّة من محطّات واقعة الطفّ.

ب ـ العوامل المكتسبة

العوامل الوراثية لا تظهر من دون تفاعلها مع العوامل البيئية[3]، ولا يخفى أنّ العامل الأساسي في تكوين سمات الشخصية لدى أيّ فرد هو التربية، وتُعرّف بأنّها: «**مجموعة المؤثّرات المعيّنة التي تمتدّ إلى إحداث تغيّرات لدى الأفراد؛ حتّى يكتسبوا سمات الشخصية التي تزودت بالخصائص التربوية**»[4]، ويصحب عملية التربية طبقاً لهذا المفهوم مجموعة من المؤشّرات التي تُسهم بشكل فعّال في نجاح عملية التربية

(١) أُنظر: النصر، مدحت، الإعاقة النفسية: ص٦٢.
(٢) أُنظر: العاني، نزار، الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي: ص٦٣.
(٣) أُنظر: رائد يوسف، إدارة السلوك الإنساني والتنظيمي: ص٣٧.
(٤) نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي: ص١٨.

وتكوين سمات الشخصية، وتتمثّل فيما يأتي[1]:

١ـ مجموعة المعارف والمهارات والاتجاهات.

٢ـ مجموعة القيم والمُثُل العُليا التي تبتني عليها وتتضمّنها العملية التربوية.

٣ـ مجموعة الطرق والأساليب المستعملة لإمداد المتعلّم بالمجموعتين السابقتين.

بمعنى أنّ البيئة المحيطة لها أثرها في تكوين شخصية الفرد، والتربية هي وسيلة من وسائل انتقال معارف البيئة المحيطة من المهارات والسلوكيات والخبرات والقدرات إلى الفرد، وهي إمّا أن تؤثر سلباً أو إيجاباً في تكوين الشخصية بحسب كمّها ونوعها.

وأمير المؤمنين عليه السلام كان مربّياً لأبنائه على قيم الإسلام التي تمثّل جانب المعارف والمُثُل العُليا من جهة، وكان قدوةً لهم من جهة أُخرى.

أهمّية القدوة الحسنة في تكوين الشخصية

أكّد النصّ القرآني أهميّة القدوة في تكوين معالم شخصية الفرد أو المجتمع، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[4].

والقدوة هنا تعني المثال الذي يتشبّه به غيره، فيعمل مثلما يعمل، ويحذو حذوه في كلّ صغيرةٍ وكبيرة، فالاقتداء بالرجل في كلام العرب يعني اتّباع أثره والأخذ بهديه، فيقال: «**فلان يقدو فلاناً: إذا نحا نحوه واتّبع أثره**»[5]، والاتّباع لا يكون إلّا بعد التأثّر بشخصية المقتدى به الذي يمثّل قدراً من المثالية والرقي والسمو عند أتباعه ومحبّيه،

(١) عفيفي، محمد الهادي، الأُصول الفلسفية للتربية: ص٥٥.

(٢) الأحزاب: آية٢١.

(٣) الممتحنة: آية٤.

(٤) الممتحنة: آية٦.

(٥) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٧، ص٣٤٦.

والقدوة تنطوي في داخلها على نوع من الحبّ والإعجاب الذي يجعل المقتدِي يحاول أن يُطبّق كلّ ما يستطيع من أقوال وأفعال، وبذلك فإنّ القدوة مدرسة تُقدّم للأشخاص والأفراد نماذج واقعية عن الكمالات والبطولات، وما يريد أن يصل إليه الفرد، فيتأثّر بها على نحو السلوك العملي، فلا يمكن لأيّ شيء أن يترك آثاره على الشخصية كما يتركه العمل[1].

وبذلك فإنّ القدوة الحسنة تؤثّر على الشخصية في مجموعة أُمور يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ـ إنّها تعطي منهجاً عملياً للسلوك الصحيح.

٢ـ تقدّم مثالاً واقعياً عن نجاح ذلك السلوك والمنهج.

٣ـ تُخرج القيم والمُثُل العُليا من إطارها النظري إلى بعدها التطبيقي.

وبمراجعة سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجد أنّه كان قدوةً في تربيته، وكونه قدوةً يعني أنّه يمثّل الجانب التطبيقي في التربية التي تتجسّد فيها المهارات والأساليب التربوية، فالمربّي إن لم يترجم القيم التي يربّي عليها الآخرين من خلال سلوكه العملي، فتربيته قد لا تُثمر بالشكل نفسه فيما لو كان متحلّياً بتلك القيم.

وهذا ما يفسّر ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام في زيارة العبّاس عليه السلام؛ لما يوجد هنالك من ترابط قيمي على نحو الوراثة والاكتساب، فالمنهج الذي نهجه أمير المؤمنين عليه السلام في نصرة الرسول صلى الله عليه وآله، وتثبيت أركان دعوته، هو ذات المنهج الذي سلكه العبّاس عليه السلام في نصرة الإمام الحسين عليه السلام؛ لذا تشهد له الزيارة في أهمّ فقراتها بعبارة: «**أشهد وأُشهِد الله أنّك مضيت على ما مضى به البدريّون والمجاهدون في سبيل الله**»، والبدريون هم الخطّ الأوّل الذين نصروا الإسلام يوم كان في أوّل طريقه لإحقاق الحقّ وإبطال

(١) أُنظر: محمد عبد المنعم، الإسلام وبناء المجتمع: ص٥٠.

الباطل، ومنهجهم كان حاضراً في سلوك أبي الفضل العبّاس، ممّا يدلّ بوضوح على أنّ الجانب المعرفي والقيمي والتربوي كان له أثره في تكوين تلك الشخصية العظيمة.

وبالإجمال، فإنّ دراسة العوامل المؤثرة في تكوين السمات الشخصية لأبي الفضل العبّاس عليه السلام تُسهم في بيان خصائصه وسماته وسلوكه ومعتقده واتجاهاته وميوله، وهي بمجموعها تسمّى الشخصية، أو المكوّنات التي جعلت من تلك الشخصية رمزاً يُقتدى به، ويخلّده التاريخ.

الخاتمة

من خلال ما تقدّم يمكن القول:

١ـ إنّ قراءة الشخصية الرمز من خلال ما تتّصف به من صفات يعطي زخماً معنوياً للمتلقّي من جهة، ويسلّط الضوء على عظمة تلك الشخصية من جهة أُخرى، لا سيّما إذا كانت تلك القراءة في ضوء النظريات العلمية المعاصرة التي لها جذور إسلامية؛ إذ تجعل القراءة أكثر تأثيراً في متلقيها لعصرنتها.

٢ـ أراجيز أبي الفضل العبّاس عليه السلام والمضامين الواردة في زيارته تؤكّد المواقف المعرفية التي وقفها مع أخيه الحسين عليه السلام وهي نابعة عن أصالة اعتقاد، وليست ميولاً وعواطف نَسَبية ـ أي: حمية الأخ لأخيه ـ وإنّما كانت تلك المواقف نتيجة لترجمة السلوك القيمي الإسلامي الحنيف.

٣ـ سمات شخصية أبي الفضل عليه السلام جعلته رمزاً تاريخياً يُقتدى به في سوح الوغى والوفاء والغيرة على الدين.

٤ـ الجانب التطبيقي في شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام، أعطى للقيم المعرفية زخماً واقعياً من جهة التطبيق، بمعنى أنّها ليست مجرّد مُثل لا مجال لتطبيقها، فالفرد عند معرفته لشخصية أبي الفضل، وما تحمله من سمات، يصل إلى قناعة أنّ المُثل

العُليا لا بدّ أن تأخذ حيّزها الواقعي، بعيداً عن المثالية التي لا واقع لها.

٥ـ هذا ما استطاعت الباحثة الوقوف عنده، من خلال تحليل سمات شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام في ضوء نظرية السمات الشخصية، ويبقى البحث جهداً بشرياً يتّسم بالنقص مهما بلغ.

والحمد لله ربّ العالمين.

أراجيز المعسكر الحسيني

قراءةٌ في ضوء بلاغة الجمهور[1]

أ. م. د. علي مجيد البديري*

مقدمة

بقيت الأُرجوزة بوصفها فنّاً من فنون الشعر حبيسة الدراسات النقدية والأدبية التي تُعنى بجمالياتها الفنّية المحدودة، ومضامينها المقيّدة بسياقها الخاص (ساحة المعركة ومواجهة العدو)، وهو ما يمثّل استجابة تقليدية موجّهة ـ غالباً ـ بطبيعة هذا الفنّ وشرائطه وغاياته التي لا تخرج عن كونه وسيلة من وسائل التعبئة القتالية، وهجوماً استباقياً يقوم به الراجز لمواجهة الخصم، وإحداث التأثير النفسي المتوخّى فيه، فهي أداة من أدوات الحرب النفسية أو الإعلامية باصطلاحنا المعاصر.

وقد حجبت هذه الرؤية النقدية جانباً هامّاً من جوانب الأُرجوزة، يتعلّق بارتباطها بسياقها العام، وصلتها بالخطاب المهيمن الذي تمارسه سلطة ما بشكلٍ كبير على المتلقّي، فلم تُدرس بوصفها استجابة مضادّة لخطاب سلطوي، مقرونة بتمظهرات الرفض الأُخرى غير الكلامية التي يمارسها الراجز (الرافض) في ساحة المعركة.

ستحاول هذه الدراسة المتواضعة مقاربة الأُرجوزة عبر هذه الزاوية المهملة، مفيدةً من اتجاه جديد في الدراسات البلاغية الحديثة، يُعنى بمعاينة أشكال التفاعل

---

(١) محاضرة أُلقيت في الملتقى الفصلي الثاني الذي أقامته مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية بالاشتراك مع كلّية الآداب/ جامعة الكوفة، وذلك في تاريخ (٢١/ ٢/ ٢٠١٨)، والذي حمل عنوان: (الأُرجوزة وآفاقها في واقعة الطف).

* جامعة البصرة/ كلّية الآداب، من العراق.

التي يبديها المتلقّي تجاه خطابٍ سلطويٍّ ما، رفضاً أو قبولاً، على نحوٍ سنبيّنه بإيجاز، لنشرع في محاولة قراءة الموضوعة الرئيسة للبحث.

بلاغة الجمهور.. تعريفٌ موجز

تهدف بلاغة الجمهور إلى نقل عناية الدراسة البلاغية من (المخاطِب) الذي استحوذت خصائصُ خطابه على موضوعات البلاغة عبر تاريخها الطويل، إلى الطرف الثاني (المخاطَب) في العملية الخطابية؛ لترصد نمط استجابته، وتحلّل خطاب المقاومة الذي ينتجه.

فهي بذلك جاءت لتُعنى بالطرف المهمل عادة في هذه العملية، وتسلّط الضوء على نمط تفاعله مع الخطاب الموجّه إليه، ناظرةً في أدوات هذا الخطاب وطرائقه التي يسلكها للتأثير في المخاطَب، وتبحث «**في العلاقة بين الظواهر اللُّغوية المكوّنة لخطابٍ ما والاستجابة الفعلية التي ينتجها المستهدفون بهذا الخطاب، والعلاقة بين السلطة واستجابات الجمهور وأساليب التلاعب بها**»[1]، وهو ما يعني تأمل هذه الاستجابة مهما كانت بسيطةً أو مرتجلة؛ لأنّها في حقيقتها موقف الجمهور من نصّ المتكلّم، وإعادته تشكيل هذا النصّ على وفق فهمه وموقفه من مضامينه، «**لكنّ الغاية الأهمّ لهذه البلاغة هي تدريب الإنسان العادي على إنتاج استجابات بلاغية فعّالة تجاه كل ما يتلقّاه، تمكّنه من مقاومة الخطابات المتلاعبة التي تستهدف تضليله والسيطرة عليه، وفضحها، وإنتاج خطاب بديل يخلو من أشكال التلاعب والتضليل، بالإفادة من إمكانيات الاستجابة التي يتيحها عصر استجابات الجماهير**»[2].

وفي ضوء ذلك يقترح هذا الحقل البلاغي الجديد في جانبه الإجرائي إعادة قراءة المأثور من الخطابات المتنوعة التي هي شديدة اللصوق بحياة الفرد أياً كان، وفي

(١) عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث: ص٥٤.
(٢) عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية (معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة): ص٦٢.

أيّ زمن عاش، ومنها الخطابات التي يجري تداولها نقدياً بطريقة ينقصها النظر في استجابات المتلقّي لها.

وتكمن أهميّة هذه الاستجابات في كونها وعاءً يستوعب مقاصد المتلقّي في كشف ما تحت بلاغة خطاب السلطة من غاية في قمع حرية المخاطب أو ترويضه واستدراجه، فضلاً عن ذلك: تمثّل استجابة المتلقّي لصورته الذاتية التي تنزع نحو التخلّص من هيمنة السلطوي والوقوع تحت تأثيره؛ ولذا فهي تسجيل لموقف مختلف ورؤية خاصّة وهوية مستقلّة، يفرز تحقّقها خنوع الخطاب الجماهيري السلبي المستجيب طوعاً أو كرهاً لخطاب السلطة.

الأُرجوزة بوصفها استجابة

تتأتّى مناسبة دراسة الأُرجوزة من وجهة نظر بلاغة الجمهور من جانب أنّ الأخيرة تهدف إلى «**تأسيس بلاغة للحياة اليومية، تُعنى بدراسة الأبعاد البلاغية لنصوص البشر العاديين، وكلامهم، واستجاباتهم في شتّى مناحي الحياة**»[1]؛ إذ إنّ ناظم أُرجوزة الحرب ليس بالضرورة أن يكون شاعراً، فهو أحد الجنود أو قائد من قادتهم، وربما يكون ناظماً ليس له شأن مباشرٌ بالحرب، وهو ما نجده في بعض النماذج الحديثة في شعر الحرب الحديث.

لقد دُرست الأُرجوزة ضمن إطار تقليدي في الدراسات النقدية القديمة منها والحديثة، إذ تعرّض الباحثون إلى السمات الأُسلوبية والخصائص الفنّية لبناء الأُرجوزة، مع عناية بالموقف وسياق الحال الذي ترتجل فيه الأُرجوزة عادة، وهي مسائل لا شكّ في أهمّيتها، وأنّها تغطّي أبعاداً هامّة من هذا الفنّ وجمالياته ومضامينه.

غير أنّ الغائب عن هذه الدراسات عدم العناية بما تفعله اللغة في مقابل التركيز على ما تقوله، بمعنى أنّها تمرّ سريعاً أو ربما لا تفعل بحقيقة كون الأُرجوزة استجابة لخطاب سابق، وتفاعلاً معه من نوع خاص، فمن الممكن أن تقرأ بمصاحبة

(١) صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور(مفاهيم وتطبيقات): ص٣١.

حال منشدها وهيئته وحركته، فضلاً عن ملامح سياقه المختلفة، إذ تُعدّ كلّ هذه المصاحبات علامات خطابية تُسهم في إثراء الدلالة وفهم الموقف.

من جانب آخر تحافظ الأُرجوزة على حضور ضمني معيّن فيما ينتج من خطابات منذ ما بعد واقعة الطف وحتّى يومنا هذا، تنسجم في مضمونها ودلالاتها وأهدافها مع ما حملته الأُرجوزة من ذلك؛ فنرى في الشعارات الحديثة والرايات الملوّنة المختلفة التي يرفعها الجمهور اليوم في إحيائه للشعائر عمليةَ ترهينٍ لخطاب الأُرجوزة، وإعادة إنتاجٍ له في سياقات أُخرى جديدة غير سياقه الأصلي، مع تحوّل شكلي واضح في طبيعة الخطاب، غير أنّ المكوّن الجوهري له ظلّ محافظاً على طبيعته، فالشعار الحديث كالأُرجوزة تلك؛ يؤكّد ابتداءً الهويةَ (هوية الولاية)، ويجسّد استجابة لنداء النهضة الحسينية، فضلاً عن أبعاده الاجتماعية والعقدية الأُخرى.

يمكن أن نحدّد في النهضة الحسينية وما يتعلّق بها وجود خطابين كبيرين:

الأوّل: الخطاب الحسيني

وهو خطاب الإصلاح الذي يُختزل في جملة محورية مثّلَتْ شعاراً وهوية للنهضة، وهي: «**مثلي لا يبايع مثله**»؛ قالها الإمام الحسين عليه السلام، ضمن ردِّه على طلب الوليد ابن عتبة والي المدينة البيعة منه ليزيد بين معاوية، فكان الردّ واضحاً، كاشفاً بقوّة وحزم موقف الإمام عليه السلام: «**إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجلٌ فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس، مُعلن بالفسق، فمثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة**»[1].

أراد النصّ هنا أن يحقّق مقابلة بين صور ومفاهيم تتعلّق بالولاية والإمامة وشروط الأهلية لذلك، في مقابل واقع الخطّ الأُموي المنحرف عن الدين، والمستولي على الخلافة بطريقة غير شرعية، فضلاً عن ذلك، فالخطاب صريح بالدعوة إلى القيام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٥.

والنهوض بوجه الخرق والانحراف، فالأمر أمرُ أُمّة لا فرد؛ ولذا جاءت إجابة الإمام عليه السلام على طلب الوليد البيعة ليزيد بأن تكون الدعوة أمام الجمهور؛ ليستثمر الإمام قوّة تأثير العامل الإعلامي والتبليغي، وسعته في الحضور الجماهيري العامّ[1] الذي ستسهّل كثافته وتنوّع أفراده تحقيق ما يريده الإمام عليه السلام لجوابه من سعةٍ وسرعةٍ كبيرتين في الانتشار، وسيوفّر أيضاً سياقاً مناسباً لإعلان القيام، وكشف الزيف والألاعيب التي توسّل بها الخطاب الأُموي في تولية يزيد، تحت غطاء جمع الأُمّة على كلمة واحدة.

وسيكون من السهل أن يمارس الخطاب الحسيني تأثيره في الجمهور، ويضمن تفاعله مع مقاصده الواضحة، وهو ما يجسّد وعياً بالفارق الكبير بين استجابة الجمهور لخطاب يتلقّاه بشكلٍ مباشر، يُثري مضامينه ما للمتكلّم من منزلة وخصوصية وقوّة حضور، وبين استجابة لخطاب يصل عبر وسيط، في سياق مختلف، وبطريقة ربما تكون مغايرة للأصل بمقدار معيّن.

في ضوء ذلك نلاحظ أنّ حضور جمهور المتلقّين يشكّل ركناً هامّاً في الخطاب الحسيني، وقد اختزلت جملة: «**مثلي لا يبايع مثله**» موقف المجابهة، واستحالة القبول بالواقع الفاسد الذي يراد تثبيت بقائه وتأمين امتداده.

وما يجسّد عمق دلالة هذه الجملة هو قابليتها للانتقال من مستوى الموقف الخاصّ والتجربة الذاتية إلى مستوى التجربة الجماعية والموقف المشترك، وتحوّلها من جملة قيلت ضمن كلام للإمام عليه السلام إلى شعار جماهيري، وإطار يحيط حركات الرفض وثوراته التي تلت النهضة الحسينية في الكوفة وغيرها.

أمّا ما يمكن أن نعدّه البيان الأوّل للنهضة الحسينية، فهو الكتاب الذي قُرئ في الكوفة على الملأ، وكان يمثّل جواب الإمام عليه السلام عن كتب الكوفيين، ونصّه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن علي، إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فإنّ هانئاً**

(١) أُنظر: الشاوي، علي، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ج١، ص٣٥٨.

الهمداني وسعيداً التميمي قَدِما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر مَن قَدِم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثتُ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليَّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليَّ به رسلكم وقرأت في كتبكم؛ أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[1].

من الواضح أنّ الخطاب حافظ على التدرّج في طرح الحجج وإقامتها على المتلقّي، فليس الكتاب مجرّد تلبية بلا ملامح أو رؤية واضحة، فهو يؤكّد أنّ قدوم الإمام عليه السلام مشروط بطبيعة واقع أهل الكوفة، لا بما تضمّنته كتبهم من كلمات استغاثة وادّعاء نصرة، فضلاً عن أنّ الخطاب في سطره الأخير جاء ليؤكّد مفهوم الإمامة، ويُعيد صياغته أمام الجمهور الذي ما زالت تطرق مسامعه مغالطات الخطاب الأُموي، ويتأثر أفراده بأساليبه وغاياته.

وقد جاء انسجام الجملة متضافراً مع سياقيها الداخلي (الجملة في الكتاب)، والخارجي (طلب النهضة وتصحيح المسار)، فكان طرح الولاية بهذا التكثيف والإيجاز مقصوداً لتعميق المطلب الحقيقي من النهضة، ومُشعراً على نحو ضمني بما عهده أهل الكوفة فيما سبق من مظاهر الحكم الإلهي أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، ومذكّراً بمواقفهم إزاءه، فالتجربة التي سيقبل المجتمع الكوفي على خوضها لا تختلف عما عرفوه في الإمامة الحقّة، وكأنّه سؤال خفي: أتطيقون ذلك؟

الثاني: الخطاب الأُموي

وهو الخطاب المضادّ للخطاب الأوّل، وتتعدّد أشكاله أيضاً بين ما هو نصّي على شكل خطب أُلقيت في مسجد الكوفة أو في دار الإمارة، أو ما جاء على شكل إعلان

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٥٣.

شبيه بقانون يشرّع، ويتضمّن حكماً (وَعْدَاً أو وعيداً، أو الاثنين معاً)، وبين ما هو عملي تجسّد في ممارسات السلطة القمعية تجاه مَن عُرِف بالولاء لآل البيت عليهم السلام من المجتمع الكوفي، في تفاصيل امتلأت بها كتب التاريخ وهي تدوّنها عبر رصدٍ دقيق.

وتشكّل الخطبة الأُولى لابن زياد في الكوفيين، صورة واضحة تختزل أنماط الخطاب الأُموي، وتجسّد سياسة الاحتواء وفرض السيطرة بأيّة وسيلة كانت؛ ولذلك يختار ابن زياد لبيانه الأوّل أنسب الأوقات (وقت صلاة الظهر)، وأفضل الأمكنة (مسجد الكوفة)، فاجتمع الناس، وخرج ابن زياد، فصعد المنبر، وقال: «**أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله، ولّاني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنفّذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على مَن ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصّدق يُنبئ عنك لا الوعيد**»[1].

لقد وقف ابن زياد على جوهر ما يتمنّاه أغلب الكوفيين من سلامة النفس بقوله: «**فليُبق امرؤٌ على نفسه**»، واختار ما يقلقهم ويشغل بالهم؛ ليكون محور التخيير إمّا السلامة، وسبيلها الطاعة والبيعة، وإمّا المخالفة، وعاقبتها السوط والسيف، قارئاً عبر ذلك الأحداث والأزمات التي مرَّ بها الكوفيون، وكان خيارهم فيها الركون إلى السلامة وإن كان في ذلك الذلّ، وهم وإن لم يفصحوا عن تراجعهم عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ولم يظهر ذلك في كلامهم، وجاءت كتبهم المرسلة إلى الإمام عليه السلام بخلاف ذلك، فإنّ ابن زياد قرأ ما تستبطنه نفوسهم؛ ولذا لم يستغرق في ذكر تفاصيل عقوبة المخالف، واكتفى بالوجيز، مكتفياً بقوّة دلالة المثل «**الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد**»[2]،

(١) المصدر السابق: ج٤، ص٢٦٧.

(٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب: ج١، ص٥٦. الجملة جزء من خطبة لأكثم بن صيفي، سرت مثلاً يُقصد منه: أنّ ما يُخبِر عن قوّة الشخص فعلُه، لا وعيده وتهديده من غير إقدام.

وهو أشدّ وقعاً وتأثيراً من الإفصاح، معوّلاً في ذلك على صورته في مخيال الجمهور، تلك الصورة التي سبقته في الوصول إلى الكوفة.

البُعد السيكولوجي والمعرفي للجمهور

إنّ ما يعطي الخطاب الأُموي خصائصه وسماته يتمثّل بالمحور الذي قام عليه بنيان دخولهم إلى الحكم وتنفّذهم فيه، فتمحْوَر الخطاب حول منطق القوّة وبسط النفوذ بأيّة طريقة كانت (منطق الغاية تبرر الوسيلة)، وأصبح المجتمع الذي سعى بنو أُمية إلى تكوينه في الكوفة مهيأً لتقبّل رفض عودة منهج أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم، ومن ثمّ صارت خصوصية العلاقة بين أغلب عناصر المجتمع الكوفي وبين الولاة موجّهة بسطوة هذا المحور، ولا شكّ في أنّ ذلك لا يعني خلوّ هذا المجتمع من معارضين ورافضين لهيمنة الأُموي ثقافة وحكماً ونفوذاً، وهذا لا يتعارض مع الفكرة الأساسية التي أشرنا إليها من قيام الخطاب الأُموي على بناءٍ خاصّ، واعتماده عليه في تحقيق حضوره، والتمهيد لتأمين استمراره.

يقع في مقدّمة هذه الأركان الأساسية التي ارتكز عليها هذا الخطاب: القوّة العسكرية، فهي أداة بسط السيطرة على الشأن الداخلي، وتأمين التوسّع الخارجي؛ لتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادّية؛ ولهذا كانت عناية الأُمويين بإعداد الجيوش الضخمة عدداً وعدةً لمواجهة أيّ تهديد، سواء كان هذا التهديد بسيطاً أم معقداً ومهماً؛ ويؤيد ذلك ما عمد إليه ابن زياد من تضخيم خطاب القمع والتهديد قولاً وعملاً في حشده الأعداد الضخمة لجيش بلغ عدده عشرات الألوف على اختلاف الروايات، لمواجهة المعسكر الحسيني الذي لا يتجاوز تعداده المائة فقط. وغير خاف ما يوفّره هذا التحشيد من شحنٍ أيديولوجي، سيوجّه الجمهور غير المتوازن عقدياً نحو إعادة النظر في ثوابته، فضلاً عن سهولة وقوعه تحت هيمنة مركزية العنف والقوّة.

إنّ من وسائل خطاب السلطة في تحقيق الشحن الأيديولوجي التأكيد على أنّ

محاولات الخروج من أيّ شخص أو جهة كانت على وحدة الحكم، وتهديدها ليس سوى تهديد لاستقرار ووحدة الأُمّة مهما كانت هوية القائمين بهذه المحاولة وخصوصيتهم، ولو كان ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هنا تكون سمة الحدّة في الخطاب مُبرَّرة، فإن عجزتْ أدواتُ الإقناع عن تحقيق الغرض، فإنّ وسائل الضغط والتهديد والترويع ستحسم الأمر؛ ذلك أنّ «**الأيديولوجيا التي تشيع في مجتمع ما هي التي تجعل الفرد متقبّلاً لخطاب ما دون آخر، وتغييب هذا البُعد يحول دون الفهم السليم لمسألة الاستجابة، ولعملية التأثير الإيجابي أو السلبي في الآخر**»[1].

وغير خافٍ ما يُحدثه هذا الفعل من أثر نفسي عميق في الجمهور الكوفي، فكانت المسألة المحورية في الخطاب الأُموي هي تأكيد كون الإمام الحسين عليه السلام خارجياً، أراد شقّ وحدة المسلمين، وهي مغالطة واضحة، وكذب أُريد له أن يكون متداولاً بشكلٍ واسع في الوسط الكوفي وغيره؛ لضمان تحشيد الجيش الذي سيواجه الخارجين، ولتقبُّل ما سيقع من غير إنكار أو رفض.

خصوصية الفضاء البلاغي للأُرجوزة

يُقصَد بالفضاء البلاغي المجال الذي يدور فيه الصراع البلاغي بين بلاغات السلطة وخطاباتها من جهة، وبين الجمهور من جهة أُخرى، وقد يحتدم الصراع ويتطوّر إلى اقتتال بالسلاح، يسيطر فيه الأقوى فاعلية وحضوراً على الفضاء البلاغي[2].

ومن هنا؛ فإنّ فضاء الأُرجوزة متّسع لا يقف عند حدود فضاء المعركة، بل يتجاوزه ليشمل فضاء الخطابين اللذين يقوم بينهما الصراع (الخطاب الأُموي والخطاب الحسيني)، فهو فضاء رسَّخ بُعدَه النفسي تلازمُ مكوّناته، وهي الأمكنة

(١) صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور(مفاهيم وتطبيقات): ص٧٠.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ١٣٢.

المتعدّدة ذات التأثير المحوري في حياة الفرد آنذاك، حيث تحسم فيها العديد من أُموره وشؤونه المصيرية، كالمسجد، وقصر السلطة، والثغور، ومنها (سوح المعارك).

ولا تنفصل مكوّنات هذا الفضاء البلاغي عن لغة الخطاب وطبيعته، وشخصية المخاطِب وصورته القارّة في ذهن الجمهور ووعيه، فكان للخطابين ما يؤمّن لهما الديمومة والأثر النفسي العميق، ودليل ذلك استمرار الصراع بينهما حتّى وقتنا الراهن، مع تحوّلات طبيعية في أنماط الخطاب وأشكاله لتغير ملامح السياق، فلم يكن وعي أغلب أفراد الجمهور الكوفي فيما قبل عاشوراء وبعدها مرتفعاً إلى مستوى وجوب الوقوف المشترك إلى جانب النهضة والثورة، الأمر الذي تجسّد في خذلان الجمهور المتجدّد للثورات التي توالت بعد الطف، على الرغم من تماثل خطاب هذه الثورات مع النهضة الأُم (النهضة الحسينية)، ويُعدّ هذا الجانب علّة العلل في امتداد خطاب السلطة وهيمنته لعقود عاشها الحكم الأُموي، وتجدّد بشكل مماثل مع السلطة العبّاسية، ليأخذ امتداده سعة أكبر من سابقه، ويمتدّ لقرون عدّة.

وهكذا يجدر بقارئ الأُرجوزة (موضع الدراسة) أن يتأمّلها في ضوء ارتباطها بفضائها البلاغي الخاصّ هذا، فهي شكل من أشكال استجابة الجمهور للخطاب الأُموي، استعملها المحارب عتبةً لقتاله، يعلن فيها عن نفسه وموقفه وعقيدته وفهمه لعدوه، فدلالاتها تجيء مناكفة للدلالة الأُحادية الضيّقة التي وضِعت فيها الأُرجوزة من أنّها مقدّمة للقتال، وإعلان عن هوية المحارب فحسب.

حركية الاستجابة وفاعليتها

لقد حرصت الأُرجوزة بوصفها استجابة مغايرة ورافضة على تأكيد معنى المواجهة، بكلّ ما تتضمّنه من دلالات على التعب الشديد والمكابدة، فلن يكون مشروع المصلح جادّاً أبداً إن لم يأخذ في حسبانه بأنّه سيواجَه بالحصار والضغوط والتهديد، ثمّ الحرب في حالة تقدّمه ونجاحه، الأمر الذي يفرض عليه أن يجعل في

صلب مشروعه إشكالية المواجهة العسكرية مع عدوّ متفوّق في العدد والعدّة المادّية، ومصمّم على الحسم من خلال الحرب.

ولذلك نقرأ إصراراً على ذكر خوض المعركة والدفاع عن عترة النبيﷺ في أكثر من أُرجوزة لأصحاب الإمام الحسينعليه السلام، من ذلك أُرجوزة عمرو بن قرظة الأنصاري التي يقول فيها:

قد علمت كتائب الأنصارِ أنّي سأحمي حوزة الذمارِ

فعل غلام غير نكس شاري دون حسين مهجتي وداري[1]

من جانب آخر يمكن أن نرى في الشطر الأخير من البيت الثاني، معنى مركزياً أراده الراجز علامة فارقة لأُرجوزته، مؤكّداً شجاعة النفس في محاربة الهوى، بوصف ذلك المحكّ الكبير الذي تُختَبر فيه عزيمة المحارب وثباته، فليس هناك ما هو أغلى عند الرجل من نفسه وداره التي تأوي أهله وعياله، وتقديمهما فداءً لقضيته، وشاهداً على ولائه وبسالته.

ويؤدّي هذا الجزء من الأُرجوزة مهمّة ربطها بفضائها، فهو يعمد إلى استدعاء صورة أُخرى غير التي يجسّدها، لا تخرج عن فضاء الأُرجوزة، متمثّلة بموقف عمر ابن سعد من النهضة، «**لمّا التمس منه الحسينعليه السلام المهادنة، قال: تهدم داري**»[2]، وهو ما قرأه المؤرّخ (ابن نما) في نهاية الأُرجوزة من أنّه يتضمّن تعريضاً خفياً بهذا الموقف[3].

وهكذا تختزل خاتمة الأُرجوزة صورة الاستجابة برمّتها، فهي تحرّض المتلقّي على استحضار الصورة النقيضة لها، التي هي جزء من الرصيد الخطابي أو الذخيرة الخطابية الأُموية، وتدعوه إلى المقارنة بينهما، فالنصرة في موقف الراجز تنبسط لترسّخ صورتها التي لا تقبل التعدّد أو المراوغة، وستكون عاقبتها من سنخها، فالبيت الذي

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٢٤.

(٢) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٦١.

(٣) اُنظر: المصدر السابق.

ضحّى فيه الأنصاري بوجوده المادّي والمعنوي، مسجّلاً فرادة الموقف، ووعياً بتضليلات الخطاب الأُموي، سرعان ما ينال مكافأته؛ إذ يبشّره الحسين عليه السلام بقوله: «**أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ رسول الله عنّي السلام، وأعلمه أنّي في الأثر**»[1]، فيكون المكان في الجنّة تعويضاً، وجائزة لا مثيل لها في الوقت ذاته.

وشبيه بذلك أُرجوزة سعد بن حنظلة التميمي:

صبراً على الأسياف والأسنّهْ ... صبراً عليها لدخول الجنّهْ
وحور عين ناعمات هنّهْ ... لمن يريد الفوز لا بالظنّه
يا نفس للراحة فاطرحنّه ... وفي طلاب الخير فارغبنّه[2]

تجسّد الأُرجوزة هنا شكلاً من أشكال التفاعل ما بين استجابتين مختلفتين، فيستحوذ عليها هاجس تكبيت جمهور العدو المتقبّل لخطابه، والواقع تحت هيمنته، فكثيرة هي أصوات الجنود التي كانت تدعو على المعسكر الحسيني بالنار والعذاب الأُخروي لأنّهم خوارج.

ونلاحظ تأثير الفضاء البلاغي لهذا التفاعل فيما ينتج من استجابات متقاطعة في تفاصيلها، وقد تظهر تجلّيات هذا التأثير في لغة الاستجابة، إذ يصل التوتّر بين الجمهورين إلى حدّ الشتم واللعن، وهو أمر طبيعي في فضاء متشنّج كساحة المعركة.

وتندرج أبيات التميمي ضمن أراجيز أُخرى مماثلة في كونها ردّاً على جمل الدعاء بالويل والنار التي يتلفظها جمهور العدو؛ ولذا جاء وصف الجنّة شبه تفصيلي، واختار الراجز البدء بالحور العين، نكاية بالعدو وما يصير إليه قتلاه.

وتسلك أُرجوزة عمرو بن مطاع الجعفي مساراً مماثلاً، إذ يقول:

اليومَ قد طاب لنا القراع ... دون حسين الضرب والسطاع
نرجو بذاك الفوز والدفاع ... من حرّ نار حين لا امتناع[3]

(١) المصدر السابق.
(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص١٧.
(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٢.

هنا يكون خطاب الأُرجوزة بمثابة ردّ بتفسير مضاد لما أشاعه خطاب السلطة، من أنّ الحرب حربٌ مع خوارج، إذ حرصت السلطة على أن تستعين بكلّ الوسائل التي تقوّي خطابها، وتعزّز من قوّة تأثيره في الجمهور، فإمعاناً في مجابهة خطاب الرفض كان النفير عامّاً لممارسة ضغط نفسي يُشعِر المعسكر الحسيني بأقلّيته، وخروجه عن الجماعة، وبأنّه ذليل مخذول، إذ لا نصير له ولا معين.

فتأتي الاستجابة مصاحبة لعلامات خطابية تُثري مشهد الرفض والمواجهة، فالقراع وهو المطاولة والمنازلة والاعتداد الباذخ بالشرف هو مطلع أُرجوزة عمرو، والسطاع وهو رفع الرأس ومدّ العنق والانتشار، يجسّد استجابته البليغة؛ إذ لا ذلّ بل عزّة تشرئب.

وفي تنويع آخر لمضامين الاستجابة وتفاعلها مع فضائها البلاغي، نقرأ أُرجوزة عبد الرحمن بن عبد الله اليزني، التي قالها أثناء نزوله للمبارزة:

أنا ابن عبد الله من آل يزن ... ديني على دين حسين وحسن

أضربكم ضرب فتىً من اليمن ... أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن (١)

يجسّد النصّ هنا خلاصة ردّ قويّ، وتكون بؤرة قوّة هذا الردّ في جملة (فتىً من اليمن)؛ إذ تُعرِّض بالخذلان الكوفي، وتسعى إلى إضعاف الخطاب الأُموي وتوهينه، وتجسّد في الوقت ذاته خلاصها من تشويه الفهم الذي أراد هذا الخطاب نشره بين الجمهور وترسيخه، وهي بهذا تؤكّد اختلافها عن استجابة جمهور معسكر العدو التي اتّسمت بالخضوع، لتناغم الخطاب مع وعيهم وفكرهم ومطامعهم.

ومثل ذلك ما نقرؤه في أُرجوزة نافع بن هلال الجملي:

أنا الغلام اليمني الجملي ... ديني على دين حسين بن علي

إن أُقتل اليوم فهذا أملي ... وذاك رأيي وأُلاقي عملي (٢)

(١) المصدر السابق: ص١٠١ـ١٠٢.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٥.

وعلى نحو متّصل يمكن أن نقرأ أغلب الأراجيز التي ابتدأت بالتعريف النّسبي لأصحابها، بطريقة مختلفة ترتبط بسياقها الخاصّ، ومنها أُرجوزة علي الأكبر عليه السلام:

أنـا علي بن الحسين بن علي — نحن وبيت الله أَولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي — أطعنكم بالرمح حتّى ينثني
أضربكم بالسيف حتّى يلتوي — ضرب غلام هاشمي علوي[1]

على الرغم من أنّ الأُرجوزة هنا جاءت على وفق البناء التقليدي المعروف في هذا الفنّ، من الاستهلال بإبراز الذات والتعريف بهوية المبارز، نجد خروجاً ذا مغزى عن هذا النسق، فالتعريف بالنسب يسعى إلى تكريس ضربات موجعة للسلطة النكرة، التي هي بلا نسب، فهو تعريض مستتر، ورسالة مزدوجة يهتف بها الراجز بوجه الجيش الأُموي، وهو في الوقت ذاته ينعطف بعد التعريف بنفسه إلى القول بالتمسّك بدينه، وانتمائه إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، والتشرّف بالدفاع عنهم، فهو مرتبطٌ بمَن خُلِقت الأفلاك لأجلهم، ومَن ثبتت الأرض بهم، وهو خطاب يمارس ضغطاً نفسياً على الجيش، فإن كان بعض أفراده من أعلام الكوفة فإنّهم بانقيادهم لسلطة (ابن الدّعي)[2] وارتباطهم به ينزلقون إلى درجة وضاعة السلطة نفسها.

لا شكّ في أنّ لذلك دلالته المرتبطة بالواقع الكوفي آنذاك، وهو ما لاحظنا بعض ملامحه في البُعد السيكولوجي للمجتمع الكوفي، فضلاً عن أثر المتغيّرات الثقافية الكبيرة التي طرأت على المجتمع الكوفي بفعل سياسة القمع المنهج الذي عمدت إليه السلطة الأُموية تجاه الشيعة، ومحاولة تغيير بنيتها الاجتماعية، ولذا نقرأ كيف بلغ التعجّب حدّاً كبيراً لدى الإمام الحسين عليه السلام من هؤلاء الذين غدروا ونكثوا وكذبوا،

(١) المصدر السابق: ص٣٤.

(٢) أخرج الطبري في تاريخه بإسناده عن أبي اسحاق: «إنّ زياداً لما قدم الكوفة قال: قد جئتكم في أمرٍ، ما طلبته إلّا لكم. قالوا: ادعنا إلى ما شئت. قال: تلحقون نسبي بمعاوية. قالوا: أمّا بشهادة الزور فلا. فأتى البصرة فشهد له رجل». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٢٣.

إذ يقول: «**أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون؟! أجل والله، الغدر فيكم قديم، وشجت إليه أُصولكم، وتآزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجى للناظر، وأكلة للغاصب**»[1].

يضاف إلى ما سبق أنّ من أبعاد خطاب الرفض والمواجهة في الأُرجوزة أنّها مساحة لبيان منهج في التفكير والنظر إلى الدين والدنيا، فأراد الراجز أن يقول للجمهور الواقع تحت هيمنة سلطة مضلِّلة ظالمة: إنّ هناك خللاً في منهجيتك، فاضحاً بذلك مغالطات الخطاب الأُموي، فالقول بالالتزام بالقرآن والسنّة من غير عمل يطابقهما، وبصيرة تميّز العدو الحقيقي وماهيته، هو محض ادّعاء ونفاق لا غير.

وهذا تعريض بالذين أسقطوا أفكارهم وأمانيهم وتعلّقهم بالدنيا على موقف السلطة الأُموية، وهي تقمع رافضيها، وتَعِدُ مؤيّديها بالعطايا والسلامة، وكأنّ مثل هذه النهضات المعارضة محكّ يُكشف من خلاله الفرد الدنيوي من الجمهور في استجابته المتخاذلة، وتُحرِّك استجابة الفرد الأُخروي، وتكثّفها، وتصعِّدها، وترفعها إلى مرتبة أعلى.

وكانت النتيجة أن أكثرَ عليٌّ الأكبر فيهم القتل حتّى ضجَّ أهلُ الكوفة لكثرة مَن قتل منهم، ويعود إلى المخيّم، ثمّ بعد ذلك يرجع إلى القتال، وهو يرتجز هذه المرّة قائلاً:

الحرب قد بانت لها حقائق ... وظهرت من بعدها مصادق

والله ربّ العرش لا نفارق ... جموعكم أو تغمد البوارق[1]

تضع الأبيات الجمهور الآخر أمام انكشاف زيف ادعاءات الخطاب الأُموي من أنّ الأحقّية والشرعية لهم في خلافة النبي صلى الله عليه وآله، وإدارة شؤون الأُمّة وقيادتها. وتكاد أُرجوزتا الأكبر عليه السلام تنفردان في تأكيد ذلك، فنلاحظ في الأُولى اكتظاظها بأسماء

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٢.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٥.

الأعلام في كلّ بيت من أبياتها الثلاثة، في مقابل (ابن الدّعي) النكرة على مستوى الدلالة، وهي تعرية لهوية الخطاب الأُموي، فكان محور تأثيرها قائماً على العلامة الفارقة بين الطرفين التي تختصر الحقّ في تجلٍّ واضح.

أخيراً نقول: حاولت الأُرجوزة بوصفها استجابة أن تمارس تأثيراً أوسع من الخطاب المتخصّص من خلال طبيعة تركيبها وتداولها، فهي لصيقة بالحدث وأهمّيته (الحرب ونتائجها على المدى البعيد)؛ إذ لا يحدّ مديات حضورها سياقها الخاصّ الذي تشكّلت فيه، ونتيجة لذلك يمكن أن تتّسم بانفتاحها على المتلقّي؛ الأمر الذي يفسح مجالاً أوسع وفرصة أكبر أمام مزيد من التفاعل، وهكذا تجيِّر الأُرجوزة بناءها التقليدي لتحقيق غرض حيوي، لا يفقد دلالته حتّى ونحن نقرؤه الآن بعد مضي أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمن.

دراسةٌ دلالية تحليلية
في أراجيز الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

تغريد حسون السيلاوي*

مقدمة

إنّ أيّ دراسة تحتاج إلى تقصٍّ للحقائق من قبل الباحث حتى يصل إلى ما يصبو إليه، فموضوع الرجز من موضوعات الأدب العربي القديمة التي شغلت أذهان الشعراء منذ القدم؛ لما له من تأثير نفسي واجتماعي في نفوس سامعيه، ويعدّ الرجز مظهراً من مظاهر الشعر الحماسي النابع من صميم الحياة والبيئة العربية.

وقد تناول الرجَز كثيرٌ من الدراسات في الجامعات العربية، سواء على الصعيد الأدبي أو اللُّغوي أو في إطار المراحل الأدبية، ولكن لم يتطرّق الباحثون لدراسة محاورالرجز عند الإمام الحسين عليه السلام، وفي واقعة الطف.

فبدأتُ بتتبّع الأراجيز التي ارتجزها الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، وقد حاولت جمع الأراجيز من مصادر تاريخية وأدبية مختلفة.

فكانت أراجيز كربلاء نموذجاً متكاملاً لما تحتويه في معانيها من مفاهيم رائعة، مثل الشوق إلى الشهادة، والدفاع عن العقيدة، والصمود أمام الظلم، وهذا النوع من الرجز نابع من صميم الثقافة الشيعية.

فاحتوى البحث على تمهيد، وكان مخصصاً لبحث نشأة الرجز، وسماته، والمراحل التي مرّ بها، وبعد ذلك تضمن البحث رجز الإمام الحسين عليه السلام وأنواعه،

---

* باحثة إسلامية من العراق.

فإنّ الإمام عليه السلام لم يرتجز على بحر الرجز فحسب، بل كان له رجز من حيث المضمون على بحور أُخرى، ثم ذكرت الشواهد التي تدلّ على ذلك، وبعد ذلك بيّنت الأشعار التي ارتُجزت ضمن تفعيلة (مستفعلن).

وختمت البحث بخلاصة أبرزت فيها أهم ما انتهى إليه هذا البحث.

الرجَز لغة

«أصل الرَّجَزِ في اللغة: تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها، ومن هذا رجز الشعر؛ لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقال من بيت إلى بيت سريع، نحو قوله: صبراً بني عبد الدار»[1].

وقد بيّن الخليل في معجمه اشتقاق كلمة رجز حيث قال: **«فأمّا الرَّجَزُ فمصدر رَجَزَ يَرْجُزُ، ويَرْتَجِزُ الأراجيزَ، الواحدةُ أُرجُوزَة، وهو الرَّجّازَةُ والرَّجّازُ والرّاجز، والرَّجْزُ الفِعْلُ، والرِّجازةُ: شيءٌ يُعدَلُ بِهِ مَيْلُ الحِمْل، وهو شيءٌ مِنْ وِسادةٍ أو أدَمٍ، إذا مالَ أحَدُ الشِّقَّيْنِ وُضِعَ في الشِّقِّ الآخَر ليَسْتَوِيَ، تُسَمَّى رِجازَةَ المَيْل»**[2].

ولا يبتعد ابن فارس في (مادّة رجز) عن الاشتقاقات السابقة بقوله: **«الراء والجيم والزاي أصلٌ يدل على اضطراب، من ذلك الرجز: داء يصيب الإبل في أعجازها، فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها»**[3].

وقد امتزجت مشتقات من الرجز مع حياة بعض الناس باستخدامها في حياتهم اليومية، فقالوا كما ذكر الزمخشري: **«ارتجز الرّعدُ: إذا تدارك صوته، كارتجاز الراجز؛ قال:**

كـــثـيـر الـمـاء مـرتـجـز الـرُّعُـود

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (رجز)، ج٥، ص٣٥٢.
(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: باب الراء، ص١٠٠.
(٣) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: ج٢، ص٤٨٩.

وترجّز السحاب؛ قال الراعي:

تَــرجّــز مــن تــهــامــةَ فــاســتــطــارَا

وسحابة رجّازة؛ قال الفرزدق:

أنــاخــت بــهِ كــلُّ رجّــازةٍ وســاكــبــة الــمــاء لــم تَــرعُــدِ

أي كلّ راعدة وغير راعدة»[1].

وهذه الاشتقاقات من المعاجم السابقة تدلّ على أنّ الرجز يشترك مع هذه المعاني بالشدة والحركة والاضطراب، ويشترك بالإيحاء في التتابع والخُطى والصوت.

الرجز اصطلاحاً

«**والرجز: بحر من بحور الشعر معروف، ونوعٌ من أنواعه، يكون كلّ مصراع منه مفرداً، وتسمّى قصائده أراجيز، واحدتها أُرجوزة، وهي كهيئة السجع، إلّا أنّه في وزن الشعر، ويسمّى قائله (راجزاً)، كما يسمّى قائل بحور الشعر شاعراً**»[2].

ونستدل من التعريف السابق أنّ الرجز كان على شكل منظومات أو أبيات قليلة لاتتعدّى ثلاثة أبيات، لهذا سمّي قائله (راجزاً)، ثم تطوّرت الأُرجوزة، وأصبحت قصائد طوالاً تنظم على بحر الرجز، وعدّ هذا البحر من بحور الشعر، ويتضح هذا من مقدمة شرح ديوان رؤبة بن العجاج: «**يُعدّ بحر من بحور الشعر العربي الصافية، ونعني بهذا اللفظ البحور التي تقوم على تكرار تفعيلة واحدة لا تعدوها إلى غيرها**»[3].

(١) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة : مادة (رجز)، ص٣٣٨.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (رجز)، ج٥، ص٣٥٠-٣٥١.
(٣) لعالم لغوي قديم، شرح ديوان رؤبة، (مقدمة التحقيق): ج١، ص (هـ).

«ووزنه:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن»[1]

وهذا ما يسمّى بـ(الرجز التام)، ويكون الرجز تاماً عندما يكون عدد تفعيلاته ستاً، وإذا لم تكن بهذا العدد فهو مختصر، والمختصر يكون على أنواع، ويمكن توضيح هذا من خلال ما جاء به الدكتور عبد العزيز عتيق: «**بحر الرجز يستعمل تاماً ومختصراً:**

أ ـ فالتام: هو ما كانت تفاعيله ستاً.

ب ـ والمختصر: ثلاثة أنواع، هي:

١ ـ مجزوء الرجز: وهو ما بقي البيت منه على أربع تفاعيل.

٢ ـ مشطور الرجز: وهو ما بقي البيت منه على ثلاث تفاعيل.

٣ ـ منهوك الرجز: وهو ما بقي البيت منه على تفعيلتين»[2].

وهذا يوافق ما ذهبت إليه الدكتورة (هنية) بقولها: «**إنّ الرجز وزن واحد في عروض الخليل، قياسه (مستفعلن) مكرّرة ستّ مرّات في شطري البيت مناصفةً في حال تمامه، ويقلّ عددها في حال جزئه وشطره ونهكه، وهو في وضعه هذا يتساوى مع الأوزان الخليلية الأُخرى، كالطويل والوافر والكامل والبسيط والهزج والخفيف وغيرها، أما الذين رأوا في الرجز أكثر من وزن، فيكاد ينحصر أمرهم في الأخفش الأوسط [ت:٢١٥هـ]، وفي أبي نصر الجواهري [ت:٣٩٣هـ] من القدامى، وفي المستشرق جويار [ت: ١٨٨٤]، وفي عزّ الدين التنوخي الذي قدّم لكتابه (إحياء العروض) سنة (١٩٤٦م)، وفي الدكتور عبد المنعم الزبيدي من المعاصرين»**[3].

(١) المطيري، محمد بن فلاح، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية: ص٦٠.

(٢) عتيق، د. عبد العزيز، علم العروض والقافية: ص٧٢.

(٣) الكاديكي، هنية علي، الرجز تطوره وعلاقته بالقصيد في العصر الأُموي: ج١، ص١٣٤.

فيتضح لنا أنّ الرجز له أكثر من نوع واحد، فالنوع الأوّل يجري على تفعيلة (مستفعلن)، وهذا عندما يكون الرجز تاماً ومختصراً بأنواعه.

وأما النوع الثاني فيقع ضمن دائرة عروضية تتضمّن مجموعة من البحور، تكون طبيعة الإيقاع فيها مشابهة لطبيعة الرجز، بحيث يشتبه بأنها من بحر الرجز، فقد قسم العروض إلى ثلاث مجموعات إيقاعية متجلية، وذلك بقول الدكتورة هنية: «**فإنني أعدّ أوزان الشعر العربي كلّها تندرج في مجموعات إيقاعية ثلاث، هي الأُصول في الغناء العربي القديم كما أسلفت، أولها مجموعة الرجز التي تعتمد تفعيلة (مس تف علن) في بدايتها، وتشمل: الرجز التام، والرجز المشطور، والمنهوك، والمجزوء، والرجز الكامل، والرجز السريع، والرجز البسيط، والرجز المنسرح، والمقتضب منه، والمتدارك أيضاً، على اعتبار أن تفعيلة (فاعلن) ما هي في حقيقتها إلّا (مس تف علن) التي سقط مقطعها الطويل الأوّل منها، فبقي منها (تف علن)**»[1].

المراحل التي مرّ بها الرجز

سنتتبّع مراحل الرجز وموضوعاته من العصر الجاهلي حتى العصر الأُموي الذي تميز بوجود أراجيز لأهل البيت عليهم السلام.

«**الرجز من البحور القديمة في الشعر العربي، فقد كان يستخدم بكثرة في العصر الجاهلي، وهي كثرة تؤكّد أنه كان الوزن الشعبي العام الذي يدور على كلّ لسان، ومن ثمّ قلّما وجدنا شعراءهم المبرزين ينظمون فيه، وكأنّما تركوه للجمهور يتعهّده ويرعاه، وليس ذلك كلّ ما نلاحظ في شعبيته الجاهلية، فقد دخلت فيه صور كثيرة من الزحاف، لا تلقانا في أيّ وزن آخر، فكثر فيه المشطور والمنهوك، وأيضاً فإنه لم يطل، إذ كان لا يتجاوز البيتين والثلاثة إلّا نادراً، فهو مقطوعات قصار ينظمها كثيرون معروفون**

(١) المصدر السابق: ص١٤٠.

ومجهولون حين يحدون ببعير، وحين يجولون في ميادين الحروب، وحين يتناولون أيّ عمل، كحفر بئر، أو مَتْح منها»[1].

وهذا يدل على أنّ الرجز كان ممزوجاً بحياتهم، كثير التداول على ألسنتهم، فيحدون به إبلهم، ويتعاطونه في المبارزات والأعمال اليومية، فاستخدموا المشطور والمنهوك، لقصره وسرعة ارتجاله، وهذا ما ذكره مؤرّخو الشعر بقولهم:

«ويذكر مؤرّخو الشعر العربي أنّ العرب في الجاهلية لم يكونوا ينظمون في الرجز إلّا البيتين أو الثلاثة، وأنّ موضوعات ما نظموه من رجزٍ كان فيما يمارسه البدو من أعمال يومية، مثل الاستقاء من الآبار، أو رعي الإبل والحداء بها في قوافلهم عبر البوادي، أو في المفاخرات، أو المبارزات في المعارك. وهذا الارتباط الوثيق بين الرجز وما كان العرب في الجاهلية يزاولونه من أعمال في حياتهم اليومية يرجّح ما نرى صحته من أنّ ذلك النظم يمكن أن يمثل أولية الشعر العربي ونماذجه البدائية الأُولى»[2].

أما في العصر الإسلامي فيمكننا أن نلاحظ مكانة الرجز في قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحراً**»[3]، وعندما خلع بردته الشريفة على الشاعر كعب بن زهير، وخاطب أرباب الكلام طالباً منهم أن ينصروا الإسلام بألسنتهم كما نصروه بسيوفهم، فإنّ هذا النداء النبوي كان إيذاناً بأن يقوم الشعر بدوره في نصرة الدين الحنيف، حيث أصبح الشعر سلاحاً فتاكاً ضدّ خصوم الرسالة السماوية الخاتمة، ولا سيّما الرجز الذي تجلّى بأنصع صورة.

فعرف الشعراء أنّ الشعر في الجاهلية لم يكن يمثل حياتهم وشؤونهم الاجتماعية، وأنّ القرآن هو مَن يمثّلها، فأصبح الراجز بعد الإسلام لا يفتخر بعشيرته وطائفته، بل كان يفتخر بإيمانه وإسلامه، مرتجزاً الشعر وفق معانٍ مستوحاة من القرآن

(١) شوقي ضيف، العصر الإسلامي: ج ٢، ص٣٩٤-٣٩٥.
(٢) لعالم لغوي قديم، شرح ديوان رؤبة بن العجاج: ج١، ص (و).
(٣) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٧٩.

ومفاهيم الدين الجديد، فكانت هذه هي بدايات تطوّر لهذه الموضوعات الجديدة، وتغلغلها في الشعر.

كما استخدموا الرجز في كثير من الحروب والفتوحات الإسلامية؛ لكونه موافقاً لذلك، لما فيه من حركات تقلقل، «**فجاء أكثر شعر الفتوح في هذا العصر على بحر الرجز، ليعكس بتفعيلاته السريعة المتكرّرة الرتيبة تتابع ضربات السيوف والرماح، وجريانها هكذا خاطفة سريعة، ولينقل لنا صورة معبّرة تمثل كرّ المقاتلين وفرّهم وسائر حركاتهم، مستخدماً بحر الرجز لما فيه من حركة واضطراب**»[1].

«**لم يكن الراجز بعد الإسلام يباهي بعشيرته وطائفته، بل كان يباهي بإيمانه وإسلامه... لكن نرى هناك تراجعاً في هذا التعالي بعد زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وبعد تصدّي الحكومة الأموية الحكم، نرى نفس المعاني السائدة على الأراجيز الجاهلية، تأتي وتسود على سائر المضامين، ونرى العصبية الطائفية التي ناهضها الإسلام، وجعلها مقابل القيم الإسلامية مثل التقوى، كيف تموج في أراجيز المعارك التالية، مثل وقعة صفين**»[2].

لكن لم يبق الشعر تقليدياً في هذه المرحلة، وقد تطور بسبب المفاهيم الدينية، فظهر الرجز التعليمي، والرجز الديني، ورجز المذاهب الدينية، مثل رجز الخوارج في زمن الإمام علي عليه السلام.

«**هناك في نفس الزمان أراجيز تنبع من أصل كريم في وقعة كربلاء، وتعلو هذه الأراجيز القيم الإسلامية في أعلى درجاتها، وباستطاعتنا أن نعدّ هذه الأراجيز مصداقاً بارزاً لأراجيز الصمود والمقاومة، فهذه الأراجيز خالية عن أيّ عصبية جاهلية، وكأنها كفيلة فقط عن طرح موضوعات مثل الدفاع عن الإسلام، وعن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3].

(١) مغنية، حبيب يوسف، الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي: ص١٦٤.
(٢) مصطفوي نيا، محمد رضا، دراسة الرجز في العصر الإسلامي، إضاءات نقدية (مجلّة فصلية): العدد الرابع، ص٨٢.
(٣) المصدر السابق: ص٨٣.

نبذة مختصرة عن الإمام الحسين عليه السلام

«كان مولده لخمسٍ خلون من شعبان، سنة أربع من الهجرة، وقُتل يوم الجمعة لعشرٍ خلون من المحرم، سنة إحدى وستين من الهجرة، وكانت سنّه يوم قتل ستاً وخمسين سنة وشهوراً»(١).

«كان الإمام صاحب فكر هاشمي موروث، دافع عن الحق، ورفع راية الإسلام السمحاء، ناهجاً منهج الآباء والأجداد، متميزاً بلغة جميلة، وبأُسلوب بليغ، انتقل إلى أبنائه وأحفاده من بعده»(٢).

وللإمام الحسين عليه السلام أثر كبير في مسيرة الإسلام الاجتماعية والفكرية، ومحاربة الفكر الجاهلي الذي وقف في وجه الإسلام منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله، وحروب بدر وأُحد والأحزاب، والإمام علي عليه السلام، وحروب الجمل والنهروان وصفين.

«وأهم فترة في تاريخ الإسلام السياسي هي الفترة التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام، فقد حفلت بأحداث رهيبة تغيّرت بها مجرى الحياة الإسلامية، وامتُحن المسلمون بها امتحاناً عسيراً، وأُرهقوا إرهاقاً شديداً، قد أخلت لهم الفتن والمصاعب، وجرّت لهم الخطوب والكوارث، وألقتهم في شر عظيم»(٣).

«فصوّر الإمام الحسين عليه السلام فساد الأُمويين بأبشع الصور، حين وقف مخاطباً قوماً، مثيراً فيهم الحماسة والحمية، عندما اعترض طريقه إلى الكوفة الحرّ بن يزيد التميمي، داعياً إلى رصّ الصفوف، وإحقاق الحق، ومعاقبة المجرم المخطئ»(٤).

«فلم يعرف المسلمون ولا غيرهم من القيم الإنسانية مثل ما ظهر من الإمام على صعيد كربلاء، فقد ظهر منه من الصمود، والإيمان بالله، والرضا بقضائه، والتسليم

(١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٥١.
(٢) العبدلي، عمّار ناظم، الخطاب الفكري والأدبي لدى الهاشميين: ص١٥.
(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص١٤.
(٤) الجميلي، سجيع جميل، البيت السفياني في الشعر الأُموي: ص٣٠٩.

لأمره، ما لم يشاهده الناس في جميع مراحل تاريخهم، وكان هذا الإيمان الذي لاحدّ له هو الطابع الخاص الذي امتاز به أهل بيته وأصحابه على بقية الشهداء»[1].

فالإمام عليه السلام من بيتٍ هو مهبط الوحي والملائكة، تمثلت فيه القيم الإنسانية والإسلامية والأمانة والعفة والشرف، وقد ثبتت دعائم الإسلام من خلال أهل هذا البيت.

لقد كانت واقعة كربلاء موقفاً برز فيه الحق المتمثل في الإمام عليه السلام أمام الظلم والطغيان المتمثل في بني أُمية الذين عاثوا في الأرض فساداً، وكانت النتيجة قتل الحسين عليه السلام بأرض كربلاء، دفاعاً عن بيضة الإسلام.

رجز الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف

بالإضافة إلى السيوف قد استُخدم الرجز في هذه الواقعة كسلاحٍ بوجهه الأعداء، فكان كالرعد المرتجز عليهم، فجاءت أراجيز الإمام الحسين عليه السلام متنوعة المعاني، بما يناسب الموقف، فقد استخدم عليه السلام معهم لغة سهلة التغلغل في النفوس، سريعة الفهم، قريبة من واقع الحياة، يريد بها إفهام الناس ما يريد، وإطلاعهم على العقاب الإلهي الذي سيلحق بهم بمحاربتهم أهل البيت عليهم السلام، كانت الخطب تتدفق على لسانه دون حاجة إلى تفكير، أو تأمل لاختيار الكلمات، كان ينطلق مهاجماً إياهم، أو مفتخراً بنسبه، أو راثياً للشهداء، فجاء رجزه على محورين.

المحور الأوّل: الرجز من حيث المضمون

استخدم هذا النوع كثيراً في الحروب والمعارك منذ العصور الجاهلية، حيث كان الشاعر يرتجز لبيان شجاعة شخص، أو التفاخر بقبيلته، أو وصف الصحراء، وغيرها من المواضيع التي يُرتَجز بها على بحور مختلفة قريبة من دائرة بحر الرجز، مثل: الكامل، والوافر، والهزج، وغيرها من البحور التي نجدها في أشعار الإمام

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ص١٧.

الحسين عليه السلام في واقعة الطف، حيث كان عليه السلام يرتجز من حيث المعنى على بحور مختلفة، ولقرب تفعيلة هذه البحور من الرجز ربما يتبادر إلى الأذهان أنها على بحر الرجز، وعند التقطيع الشعري لهذه الأبيات يُعرف أنها رجز من بحور مختلفة قريبة من تفعيلة (مستفعلن)، وهذا ما سنعرفه من خلال الأراجيز التي حملت في داخلها كلّ معاني الكمال والشجاعة والقوة التي تتحلّى بها شخصية الإمام عليه السلام، والتي أبت أن تخضع لما يتنافى مع أيمانها.

بعدما رأى الإمام عليه السلام عزم القوم على قتاله، وإصرارهم على تنفيذ أوامر الطغاة، وقف بإزاء القوم، وبعد أن خطب فيهم، أنشد أبيات فروة بن مسيك[1] مرتجزاً:

فإن نهزم فهزامون قدماً ... وإن نغلب فغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفع عن أُناس ... كلاكله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكم سروات قوم ... كما أفنى القرون الأوّلينا
فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقي الكرام إذن بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا[2]

إنّ التتابع في الحركات والشدة والموسيقى الإيقاعية جعلت الأبيات قريبة جداً من بحر الرجز، وهذا بدوره يؤدّي إلى أن يلتبس الأمر على القارئ، فيخيّل إليه أنها على بحر الرجز، في حين أنها تعتبر رجزاً على البحر الوافر.

«ويبدو أن توظيف الإمام الحسين عليه السلام للشعر في خطابه ناتج عن إحساسه بالأثر الذي يتركه الشعر في نفس المتلقّي، فالبيئة العربية بيئة شعرية، تستسيغ الشعر وتجلّه، فضلاً عن ذلك أنّ هذه الأبيات توضح حفظ الإمام عليه السلام للشعر، وحسن توظيفه، فهناك

(١) الأبيات لفروة بن المسيك المرادي، قالها مفتخراً ومتوعداً في يوم الردم، وهو اليوم الذي نشبت فيه الحرب بين مراد وهمدان قبيل الإسلام، فأصابت همدان من مراد حتّى أثخنوهم. أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٣٩١.

(٢) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٤٠.

تعالق بين سياق الخطبة، وحالة فروة بن مسيك، وما نتج عنها من رفض للذلة»[1].

فيحس القارئ من خلال كلام الإمام الحسين عليه السلام بالصورة مجسدة أمام ناظريه، فالحركة واضحة، تبدو فيها السرعة مضطربة، عندما يقهر الإمام عليه السلام العدو مفتخراً بأمجاده في هزم أعداء الدين سابقاً، وكأنه يذكّرهم بالحروب التي قادها الإمام علي عليه السلام، وكيف حققوا النصر وهزموهم سابقاً.

«ولايقف التوظيف الشعري عند تعزيز معالم الصورة السابقة في خطابه عند هذا الحد، بل تجلّت قدرة الإمام الحسين عليه السلام بجعل آخر هذه الأبيات إيذاناً لمعنى آخر، يعزّز صورته القادمة، فحين يردّد البيت:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ترى التعالق في دلالة البيت والخطاب الحسيني في قوله: أمَا والله، لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس»[2].

أما النواحي المعنوية فتتجلّى بوصفه الشجاعة والفخر والموت، وليس هناك من هو مخلّد، ويبدو الجانب الإنساني متجلياً في الانتصار للمظلومين، والدفاع عن الدين، وهزم الباطل.

ومن المواقف التي ارتجز عليه السلام فيها عندما قُتل الحرّ بن يزيد الرياحي، فأتاه الإمام عليه السلام، «**فقال: بخٍ بخٍ يا حرّ، أنت حرّ كما سمّيت في الدنيا والآخرة، ثمّ أنشأ الإمام الحسين عليه السلام شعراً:**

لنعم الحرّ حرّ بني رياحِ ... صبور عند مختلف الرماحِ

ونعم الحرّ إذ ساوى حسينا ... فجاد بنفسه عند الصياحِ»[3].

---

(١) هادي سعدون هنون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة: ص٥٨.

(٢) المصدر السابق: ص٥٩.

(٣) السيد علي عاشور، موسوعة أهل البيت عليهم السلام: ج١٠، ص١٨ـ١٩.

يظهر أُسلوب المدح من خلال فعل المدح (نعم)، وهذا النوع هو مدح مؤكّد من خلال القسم المحذوف، وتقديره (والله، لنعم الحرّ...)، وكذلك إيقاع اللفظ، بتكرار هذا الفعل؛ لما في تكراره من تأثير عجيب في نفوس سامعيه، وهذا التكرار لم يفد المعنى شيئاً، وإنما هو جرس الألفاظ، وتقرير لإرادة التعبير، وليرسخ جرسها في الأذهان.

وعندما قُتل العبّاس عليه السلام، و«**رآه الحسين مصروعاً على شط الفرات، بكى وأنشأ يقول:**

تعدّيتم يا شرّ قوم بفعلكم ... وخالفتم قول النبيّ محمدِ
أما كان خير الرسل وصّاكم بنا ... أما نحن من نسل النبيّ المسدّدِ
أما كانت الزهراء أُمّي دونكم ... أما كان من خير البرية أحمدِ
لُعنتم وأُخزيتم بما قد جنيتمُ ... فسوف تلاقوا حرّ نار توقدِ»[1].

فنجد البيت الأوّل يتضمن هجاء الإمام عليه السلام للقوم، لينتقل من الهجاء إلى الفخر بنسبه عليه السلام، ثم التذكير بجدّه وقربه من النبي صلى الله عليه وآله، وأخيراً يدعو عليهم باللعن والخزي بما فعلوه، ويتوعّدهم بنار جهنم.

وعندما قتل أنصار الإمام الحسين عليه السلام «**توجّه نحو القوم، وجعل ينظر يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً من أصحابه وأنصاره إلّا من صافح التراب جبينه، ومن قطع الحمام أنينه... ثم أنشأ يقول:**

قوم إذا نودوا لدفع ملمّة ... والقوم بين مدعّس ومكردسِ
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا ... يتهافتون على ذهاب الأنفسِ
نصروا الحسين فيا لها من فتية ... عافوا الحياة وألبسوا من سندسِ»[2]

ما يلفت النظر في هذه الأبيات الحزينة هو بقاء الإمام وحيداً، ووصفه مَن قُتل

(١) ابن شهرآشوب، محمد، مناقب آل أبي طالب: ص١١٧.
(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٨١.

في هذه الواقعة بكلمات تميّزهم عن غيرهم، فكان الوصف في مقام الرثاء، من خلال ذكر محاسنهم وشجاعتهم، وأنهم لو كانوا أحياء فلا يتردّدون في نصرته، وبهذا الأُسلوب ذكر المحاسن الحقيقية لهم، ويعتبر الرثاء فناً من فنون الشعر العربي، وأحد موضوعات الرجز.

«ثم تقدّم الحسين حتّى وقف قبالة القوم، وسيفه مصلت في يده، وأنشأ من نفسه عازماً على الموت، وهو يقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخر حين أفخرُ
وجدّي رسول الله أكرم مَن مشى ... ونحن سراج الله في الخلق يزهرُ
وفاطمة أُمّي سلالة أحمد ... وعمّي يُدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي والخير يذكرُ
ونحن أمان الأرض للناس كلّهم ... نصول بهذا في الأنام ونفخرُ
ونحن ولاة الحوض نسقي ولاتنا ... بكأس رسول الله ما ليس ينكرُ
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسرُ»[1].

فلهذه الكلمات دلالات لغوية واضحة في التعبير عن نسبه عليه السلام، فهو يفتخر بنسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الفخر يقيم الحجّة على مَن يقاتله، وكذلك يذكّر السامعين بنسبه الطاهر المعروف للقاصي والداني، وأنه ابن علي عليه السلام، وهو من نسل بني هاشم، وأُمّه فاطمة عليها السلام التي هي سيدة نساء العالمين، وهم أعرف بكتاب الله؛ لأنه مُنزل في منازلهم، وولايتهم هي امتداد للرسالة المحمدية، ومن يشايعهم فله الحسنى، والمبغض لهم هو الهالك في الآخرة.

وبعد أن حمل الإمام الحسين عليه السلام على الأعداء، وقتل منهم ألفاً وخمسمائة فارس، ورجع إلى الخيمة، قال قصيدته المشهورة التي يدخل معنى الرجز ضمنها، والتي

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١١٦ـ ١١٧.

تضمّنت جميع الأغراض، من فخر ووصف ومديح وهجاء ورثاء، يقول عليه السلام في بعض أبياتها:

كَفَرَ القَومُ وَقِدْماً رَغِبُوا ... عَنْ ثَوابِ اللهِ رَبِّ الثَّقَلَين
حَنَقاً مِنْهُمْ وَقالُوا إنَّنا ... نَتْبَعُ الأوَّلَ قِدماً بِالحُسَين
يا لَقَومي مِنْ أُناس قَدْ بَغَوا ... جَمَعُوا الجَمْعَ لأَهْلِ الحَرَمَين
ثُمَّ سارُوا وَتَواصَوا كُلُّهُمْ ... بِاحْتِياجي لِرِضاءِ المُلْحِدَيْن
لا لِشَيءٍ كانَ مِنِّي سابِقاً ... غَيْرَ فَخْري بِضِياءِ الفَرقَدَين
بِعَلِيٍّ الطُّهْرِ مِنْ بَعْدِ النَّبِي ... وَالنَّبِيِّ الهاشِمِيِّ الوالِدَين[1]

فقد بدأ عليه السلام الرجز بوصفه القوم الذين ابتعدو بمحاربته عن الإسلام بكلمات ذات وقع شديد، عندما قال عليه السلام (كفر القوم...)، وكأنّ هذه الكلمات تعبّر عن مشاعر الإمام عليه السلام وغضبه عليهم.

ويتعجّب منهم عليه السلام بأُسلوب الاستغاثة بقوله: (يا لقومي...)، وهذا نوع من التعجّب السماعي الذي يبين استغراب الإمام عليه السلام من محاربتهم للدين والعقيدة المتمثلة بآل الرسول صلى الله عليه وآله، وقتلهم أهل بيته الذين لم يصدر منهم شيء سوى أنهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله.

ثم يرتجز مفتخراً بأبيات تبين نسبه وقربه من النبي صلى الله عليه وآله، وأنهم صفوة الله من الخلق بقوله:

خَيْرَةُ اللهِ مِنَ الخَلْقِ أبي ... بَعْدَ جدِّي فَأَنَا ابْنُ الخَيْرَتَين
والِدي شَمْسٌ وَأُمِّي قَمَرٌ ... فَأَنَا الكَوكَبُ وَابْنُ القَمَرَين
فِضَّةٌ قَدْ صُفِّيَتْ مِنْ ذَهَبٍ ... فَأَنَا الفِضَّةُ وَابْنُ الذَّهَبَين
ذَهَبٌ مِنْ ذَهَبٍ في ذَهَبٍ ... وَلُجَينٌ في لُجَينٍ في لُجَين
مَنْ لَهُ جَدٌّ كَجَدِّي فِي الوَرى ... أوْ كَشَيْخي فَأَنَا ابْنُ العَلَمَين

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٩٣ـ٥٩٤.

أُمِّـــيَ الـــزَّهْـــراءُ حَـقّـاً وَأبي ... وارِثُ العِلْمِ وَمَـولَى الثَّقَلَين
جَدِّيَ الْمُرْسَلُ مِصْباحُ الدُّجى ... وَأبِي المُـوفى لَـهُ بِالبَيْعَتَين
خَـصَّـهُ اللهُ بِـفَـضْـلٍ وَتُقى ... فَأنَا الزاهرُ وَابْـنُ الزاهِرَين
أَيَّـــدَ اللهُ بِـطُـهْـرٍ طـاهِـرٍ ... صاحِبَ الأمْـرِ بِبَدْرٍ وَحُنَين
ذاكَ وَاللهِ عَـلِيٌّ المُـرتَـضى ... سادَ بِالفَضْلِ جَميعَ الحَرَمَين[1]

نجده عليه السلام قد ارتجز مؤكّداً ذلك باستخدام طرائق التوكيد المختلفة، من التوكيد بالحروف، مثل: (قد ـ أنّ)، والتوكيد بالمصدر: (حقاً)، والتوكيد بالقسم: (والله) في قوله: (ذاك والله...).

كما استخدم عليه السلام أُسلوب التشبيه، خصوصاً عندما شبّه والده بالشمس، وأُمّه بالقمر، وشبه نفسه بالكوكب بين القمرين.

وقوله عليه السلام: (فأنا الفضة وابن الذهبين)، (فأنا الزاهر وابن الزاهرين) تشبيهات مستمدّة من الظواهر الواقعية، وقد وردت تلك الصور بسهولة حيوية، مقيدة بالواقع الملموس.

فوازن الإمام الحسين عليه السلام في هذا المشهد بين الإحساس والفكر، وبين العاطفة والصورة، بالإضافة إلى الروعة الفنية في أُسلوبه بتذكيرهم بالرسول صلى الله عليه وآله وبالإمام علي عليه السلام والحروب التي انتصروا فيها.

ثم يقول:

نَحْنُ أصْحابُ العَبا خَمْسَتُنا ... قَـدْ مَلَكْنا شَرْقَها وَالمَغْرِبَين
ثُـمَّ جِـبْرِيـلُ لَنا سادِسُنا ... وَلَنَا البَيْتُ لَنا وَالمَشْعَرَين
وَكَـذَا المَجْـدُ بِنا مُفْتَخِرٌ ... شامِخاً نَعْلُو بِـه فِي الحَسَبَين
فَـجَـزاهُ اللهُ عَـنّـا صـالِحـاً ... خالِقُ الخَلْقِ وَرَبُّ الحَرَمَين[2]

(١) المصدر السابق: ص٥٩٤.
(٢) المصدر السابق.

وجعل عليه السلام من الأبيات السابقة وصفاً لـ(أصحاب العبا)[1]، ويشير كذلك إلى قضية الكساء، وما ذكره الإمام عليه السلام كان كافياً ليكون دليلاً على صدق دعوته، للحفاظ على الدين والرسالة المحمدية، وليسوا هم مَن يفتخرون بالمجد، وإنما المجد يفتخر بهم، شامخاً بمنزلتهم عند الله.

فجاءت هذه العبارات كاملة الصياغة، قوية المعنى، عميقة الدلالة، لا نقص ولاعجز فيها، متضمنة ألفاظاً مميزة في التعريف لتقوية المعنى المرتجز.

وقد رأينا في القصيدة الرائعة التي اقتبست منها الأبيات السابقة تعدد الموضوعات التي تناولها الإمام الحسين عليه السلام، وكانت اللغة سهلة قريبة من لغة التخاطب؛ لأنّ هدفه عليه السلام إفهام عامّة الناس ما يريد، أما المعاني المرتجزة فقد كانت كثيرة؛ لتعبّر عن العواطف والأفكار والأحاسيس في ساحة الحرب.

فابتعد عليه السلام عن الألفاظ الغريبة، ولم يأت بلفظة غير واضحة، وامتازت القصيدة بدقة الوصف، وجمال التعبير، وإصابة التشبية، والمتانة في المبنى.

فالرجز متضمّن في البناء الفني للقصيدة وفي معانيها، والقارئ يحس به من سهولة ألفاظه وبعدها في الغالب عن الغريب، وهذا النوع من الرجز ـ كما أشرنا سابقاً ـ يكثر استخدامه فى الحروب لبيان الشجاعة أو الفخر أو لإثارة الخوف بين صفوف الأعداء.

المحور الثاني: رجز الإمام الحسين عليه السلام ضمن تفعيلة بحر الرجز

إنّ بحر الرجز ـ كما علمنا ـ من البحور الصافية، وتفعيلته (مستفعلن)، ويكون تاماً ومختصراً، وقد نظم الإمام الحسين عليه السلام على هذه التفعيلة لما فيها من سمات مشتركة في تتابع الحركات التي كانت تلائم أهوال الواقعة وضربات السيوف المتتالية، فكان رجزه على البديهة والارتجال، شديد الوقع في النفوس، ذا طابع مميز وواضح، ويتجلّى هذا في الأراجيز التالية:

(١) يقصد بهم: الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام علياً، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين عليهم السلام.

ارتجز الإمام الحسين عليه السلام عندما عطش أصحابه، وشكوا إليه العطش، فأمرهم أن يحفروا بئراً، فلما خرج ماؤها طمّها ابن سعد، فحفروا بئراً أُخرى فطمّها، ووقف العسكران ساعات من النهار، فأنشأ يقول:

الحمد لله العلي الواحدِ ... نحمدهُ في سائر الشدائدِ
يا ربّ لا تغفل عن المعاندِ ... قد قتلونا قتلة المُناكِدِ
فأصله يا ربّ نار السرمد ... وأنت بالمرصاد غير خائدِ[1]

فهو عليه السلام يحمد الله ويشكره، ثم يشكو إليه ما أصابهم من العطش، ويبين مدى تأثره من أعدائه.

و«**عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إني والله لجالس مع أبي في تلك الليلة وأنا عليل، وهو يعالج سهاماً له، وبين يديه جون مولى أبي ذر الغفاري، إذ ارتجز الحسين عليه السلام:**

يا دهر أُفٍّ لك من خليلِ ... كم لك في الإشراق والأصيلِ
من صاحب وماجد قتيلِ ... والدهر لا يقنع بالبديلِ
والأمر في ذاك إلى الجليلِ ... وكلّ حيّ سالك السبيل»[2].

ارتجزها عليه السلام في ليلة الواقعة، يخاطب فيها الدهر، وهو يعاتبه، ويقصد بالدهر الدنيا، فقد أطلقت كلمة (الدهر) على أهل الدنيا، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهو النداء الذي لا يكون في حقيقته إلّا للعاقل، ولعلّ الإمام أشار إلى الثورة من خلال هذه الصورة المجازية، فيبين ضجره وحزنه من العدو، وأنه اختارالقتل والشهادة في سبيل الهدف الأسمى، وهو طريق الحق، وتفويض الأُمور إلى الله تعالى.

وارتجز عليه السلام بعد أن ذُبح ولده الرضيع بين يديه، حيث «**قالت أُم كلثوم : يا أخي، إنّ ولدك عبد الله ما ذاق الماء منذ ثلاثة أيام، فاطلب له من القوم شربة تسقيه. فأخذه**

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٥٩.
(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٥.

ومضى به إلى القوم، وقال: يا قوم، لقد قتلتم أصحابي وبني عمي وإخوتي وولدي، وقد بقي هذا الطفل، وهو ابن ستة أشهر، يشتكي من الظمأ، فاسقوه شربة من الماء. فبينا هو يخاطبهم إذ أتاه سهم فوقع في نحر الطفل فقتله... يقول الحسين عليه السلام: اللّهم إنّك شاهد على هؤلاء القوم الملاعين، إنّهم قد عمدوا أن لا يبقوا من ذرية رسولك صلى الله عليه وآله. وهو يبكي بكاء شديداً، وينشد ويقول:

يـا ربّ لا تتركني وحيدا ... قد أظهروا الفسوق والجحودا
وصـيرونـا بينهم عبيدا ... يـرضـون في فـعـالهـم يـزيـدا
أمّـا أخـي فقد مضى شهيدا ... مجـدّلاً في فـدفـد فـريـدا
وأنت بالمرصاد يا مجيدا»[1].

ابتدأها عليه السلام بـأُسلوب النداء (يا ربّ)، وهو أُسلوب إنشائي طلبي، وقد دفعته العاطفة الحزينة إلى أن يناجي ربّه، ويذكر له عصيان القوم له، وما فعلوه بهم.

وقال عليه السلام: «**موت في عزّ خير من حياة في ذلّ، وأنشأ عليه السلام يوم قُتل:**

الموت خير من ركوب العار ... والعار أَولـى من دخـول النار
والله ما هذا وهذا جاري»[2].

وقد استخدم عليه السلام هذا البحر لحركاته الإيقاعية المنتظمة المتعاقبة، التي تلائم الموقف الذي ارتجز فيه في الواقعة.

«**فلم يزل يقتل كلّ مَن دنا منه من عيون الرجال، حتّى قتل منهم مقتلة عظيمة، ثم حمل عليه السلام على الميمنة، وقال: (الموت خير من ركوب العار)، ثم على الميسرة، وهو يقول:**

أنـا الـحـسـين بـن علي ... آلـيـت أن لا أنـثـنـي
أحمـي عـيـالات أبي ... أمـضي عـلى ديـن الـنـبـي»[3].

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٧٨ـ٧٩.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص ٢٧٩ـ٢٨١
(٣) المصدر السابق: ج٤٥، ص٤٩.

يذكرهم عليه السلام بدين جدّه صلى الله عليه وآله، وأنه يسير على نهجه في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وحماية الأُمة من فساد الطغاة، والدفاع عنها، وأنه تارك في سبيل ذلك كلّ غالٍ وثمين، فلم يبخل بأيّ عطاء، ولم تؤثّر فيه الإطماع والأهواء، ولم يغرّه سلطان ولا جاه ولا مال، بل آثر نعيم الآخرة على نعيم الدنيا الفاني.

وأشار الدكتور الشوشتري إلى قول الإمام الحسين عليه السلام السابق بأنه يتألّف كلّ بيت منه من تفعيلتين؛ لأنه من المنهوك المقفّى أحد أنواع (الرجز المنهوك)، وعروضه ضربه صحيحة، ويكتب بالشكل الاتي:

أنا الحسين بن علي
آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي
أمضي على دين النبي(١)

فيكون كلّ بيت من تفعيلتين، ويعدّ من المنهوك المقفّى.

وارتجز عليه السلام قائلاً:

أنا الحسين بن علي بن أبي ... طالب البدر بأرض العربِ
ألم تروا وتعلموا أنّ أبي ... قاتل عمرو ومبير مرحبِ
ولم يزل قبل كشوف الكربِ ... مجلّياً ذلك عن وجه النبي
أليس من أعجب عجب العجب ... أن يطلب الأبعدُ ميراث النبي
والله قد أوصى بحفظ الأقربِ(٢)

شبه عليه السلام (آل أبي طالب) بالبدر المكتمل الذي يملأ الأرض بنوره، فبنورهم، وبشجاعتهم، وكرمهم، وقيمهم، وإقدامهم على الحرب، استطاعوا الحفاظ على الدين، هذا جليّ وليس خفياً على أحد، فوضوحه مثل القمر، ثمّ بدأ يذكّرهم

(١) أُنظر: شوشتري، محمد إبراهيم خليفة، الجامع في العروض العربي بين النظرية والتطبيق: ص٣٧٨.
(٢) ماريني، عبد الرحيم، ديوان الإمام الحسين بن علي وصاياه وحكمه وكرمه: ص٨٢.

بحروب أبيه ضدّ مرحب وعمرو بن ودّ العامري، عندما كان الإمام علي عليه السلام يدفع الأذى في الحرب عن الرسول صلى الله عليه وآله.

وفي البيت الأخير يتعجّب عليه السلام من بني أُميّة؛ إذ يطلبون أمراً لا يستحقونه، وإنّ في تكرارهذه اللفظة توكيداً لتعجبه منهم، لما فيها من وقع للمعنى داخل نفوس الأعداء.

فكان للشعر يومذاك حضور فاعل في ميدان المعركة، متمثلاً في اقتناص المشاهد المؤثرة، فجاء الرجز بتداعياته المؤلمة يرسم لنا صوراً مشحونة بالتضحية والإيثار والبطولة، ترافق ذلك قوة الموقف العقائدي، لتبقى الكلمة الشجاعة سيدة في ميادينها، وهي تتحدّى شراسة السيف. كانت الدماء الزكية على رمال الشهادة دليل انتصارالدم على السيف، وبقاء نور العقيدة يبعث بشعاعه إلى يومنا هذا، من خلال تجسيد الشعائر الحسينية التي تزداد تألقّاً يوماً بعد يوم.

الخاتمة

اتضح مما تقدم أنّ الرجز مجموعة عروضية إيقاعية تضمّ كلاً من أوزان الرجز والبسيط والكامل والمقتضب والسريع، وقد كان رجز الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف على محورين:

المحور الأوّل: تضمّن الرجز من حيث المضمون أو المعنى.

والمحور الثاني: تضمّن الرجز على تفعيلة (مستفعلن).

فيظهر الجمال التركيبي في الأراجيز، فالخصائص العروضية بارزة، ودلالاتها الفنية مميزة في انتقاء المفردات، فكانت اللغة سهلة، واضحة المعاني، سلسلة الألفاظ، شديدة في وقعها داخل نفس السامع، أما التكرار في الألفاظ فهو لتقوية الإيقاع الموسيقي داخل نفس المتلقّي، فكانت الأراجيز واضحة، خالية من التعقيد اللفظي، وتعدّدت موضوعاتها، مثل الفخر بانتمائه إلى آل هاشم، والدفاع عن العقيدة، وهجاء

الأعداء وغيرها من المواضيع التي تطرقنا لها.

إنّ استخدام هذا اللّون من الشعر في الواقعة يعكس بتفعيلاته السريعة وقعة كربلاء، وما فيها من تتابع ضربات السيوف، وجريانها بصورة خاطفة، مستخدماً بحر الرجز؛ لما فيه من حركة واضطراب، لا سيما الرجز الذي سجّل رقماً مدوياً في سماء العزّة والبطولة.

فكان الرجز في هذه الوقعة متجلياً في انتصاره للمظلومين، والدفاع عن العقيدة الإسلامية وهزم الباطل.

أسباب ارتجاز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطّف وعدم ارتجاز الأعداء

الشيخ إسماعيل الشويلي*

المقدّمة

اشتهر العرب منذ القدم بالشعر، واعتبروه فنّاً من الفنون الأدبية، يتفاخرون به في محافلهم وأنديتهم الشعرية، فحافظوا عليه، وتناقلوه في صدورهم على مرّ العصور، جيلاً بعد جيل؛ فمن خلاله يعبّر الإنسان عن أحاسيسه ومشاعره وتجاربه، وما يحيط به من ظروف وأحوال، وهو إحدى الوسائل الإعلامية التي اهتمّ بها العرب اهتماماً كبيراً، والتي تفيض حكماً وكرماً وشجاعة، وغيرها من الصفات الحميدة.

ومن ضروب الشعر (الرجز) الذي يعتبر من المواضيع المهمّة التي كانت متداولة في العصر الجاهلي والإسلامي، حيث ذهب نقاد العرب القدماء والجدد إلى أنّ أوّل بحر استخدمه العرب في شعرهم هو الرجز، يقول الدكتور شوقي ضيف في ذلك: «**يذهب نقّاد العرب القدامى إلى أنّ أوّل وزن ظهر من تلك الأوزان هو (الرجز)، الذي كانوا ينشدونه في أثناء حدائهم للإبل، وكأنّهم يحاكون بما فيه من صلصلة وأصوات وقع أخفاف الإبل على بساط الصحراء الواسع**»[1].

وهو من أرقى الفنون المتبعة في الحروب؛ فهو يمدّ المقاتل بقوّة القلب، ويشجّع النفس، ويحركّها لمعالجة الأُمور الصعبة، ولم تقع معركة من المعارك في الجاهلية أو في

---

* باحث إسلامي، من العراق.

(١) أحمد شوقي ضيف، في النقد الأدبي: ص١٠٠.

صدر الإسلام إلّا وللرجز فيها دور بارز، كما أنّ له أدواراً أُخرى في غير الحروب، كتحريك الهمم، والشوق، والتحفيز على العمل الصالح، ومن ذلك ارتجاز أمير المؤمنين عليه السلام عند بناء مسجد النبي صلى الله عليه وآله في بدء الهجرة، إذ يقول:

لا يستوي مَن يعمر المساجدا إن بـات فيها قائماً وقاعدا

ومَن غدا عن الغبار حائدا[1]

وللرجز أهداف كثيرة يبتغيها الراجز في ساحات القتال، منها: التعريف بنفسه ودواعي مشاركته في الحرب، وبيان العقائد الحقّة التي تُقال بصورة مضغوطة جدّاً ـ كما سيأتي في بعض الأراجيز التي أُلقيت في معركة الطف الخالدة ـ والتفاخر بالحسب والنسب والشجاعة، أو الانتماء إلى القبيلة ـ كما هو متعارف في أراجيز الجاهلية ـ أو التفاخر بالإسلام الحنيف، والإيمان والتقوى، والشوق إلى الجنة، كما هو متعارف في أراجيز المسلمين.

ولم يكن الرجز مقتصراً على القيم الإسلامية فحسب، بل امتزج بالأراجيز الجاهلية التي يُتباهى فيها بالقوم والعشيرة والطائفة، وهذا ما جرى في بعض الوقائع التي حصلت بين المسلمين[2].

وأبرز صورة ظهر فيها هذا الأدب، ودخل الميدان بكلّ ثقله، هي واقعة كربلاء، حيث كان للأُرجوزة فيها دور كبير في بيان الكثير من الحقائق والأسرار.

انطلاقاً من ذلك سنتعرّض في هذه المقالة لتحليل أراجيز أصحاب سيد الشهداء عليه السلام، وما تعنيه الأُرجوزة من دلالات ظاهرة، وما تخفيه من معانٍ اشتملت عليها، وما قصده أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته الكرام بأراجيزهم، والأسباب الداعية إلى عدم ارتجاز أصحاب عمر بن سعد في يوم العاشر من المحرم، كلّ هذا سنناقشه بعد وقفة قصيرة نتعرّف من خلالها على معنى الرجز لغة واصطلاحاً.

(١) الطبري، محمد بن جرير، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ص٦٥٨.
(٢) اُنظر: الأراجيز التي أُنشدت في معركة صفين من قبل جيش معاوية بن أبي سفيان.

أوّلاً: الرجز لغة واصطلاحاً

أ ـ في اللغة: «الرَّجَز: داء يصيب الإبل في أعجازها، والرَّجَز: أن تَضْطَرب رِجلُ البعيرِ أو فخذاه إذا أراد القيام، أو ثار ساعة، ثمّ تنبسط»[1]، «كما أنّ الرجزاء أرادت النهوض فلم تكد تنهض إلّا بعد ارتعاد شديد، ومنه سُمّي الرَّجز من الشعر؛ لتقارب أجزائه وقلّة حروفه، وقول الراعي، يصف الأثافيّ:

ثلاثٌ صَلَيْنَ النّار شهراً وأرْزَمَتْ عليهنّ رَجْزاءُ القيام هَدُوجُ»[2].

و«الرِّجز (بالكسر والضم) القذر، وعبادة الأوثان، والعذاب، والشرك، وبالتحريك: ضرب من الشعر، وزنه: مستفعلن ستّ مرّات، سمّي لتقارب أجزائه وقلّة حروفه. وزعم الخليل أنّه ليس بشعر، وإنّما هو أنصاف أبيات وأثلاث. والأُرجوزة: القصيدة... وقد رجز وارتجز ورجز به ورجزه: أنشده أُرجوزة»[3].

و«الرِّجْز: القذر، مثل الرجس، وقرئ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[4]، بكسر الرّاء وضمّها، قال مجاهد: هو الصنم، وأمّا قوله تعالى: ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[5] فهو العذاب. والرَّجَز (بفتحتين) ضرب من الشعر، وقد رجز الراجز من باب نصر»[6].

ب ـ في الاصطلاح: من البحور الشعرية المعروفة في الشعر العربي التي اكتشفها الفراهيدي، ويرتفع الصوت في بحر الرجز ارتفاعاً خفيفاً وسريعاً، وذلك طبيعي في الرجز؛ لأنّه يقوم على التفعيلة الواحدة، وهي تقوم بدورها على الحركة الذاتية.

ويمتاز الرجز بقلّة أبياته وقصرها، وقلّة الحروف والأصوات، وكلّ هذه الصفات

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٣٤٩. أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٣، ص٨٧٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٣٥٠.

(٣) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص١٧٦.

(٤) المدثر: آية٥.

(٥) البقرة: آية٥٩.

(٦) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص١٢٩.

تؤدّي إلى الخفّة والسرعة؛ ولذلك كان الرجز أخفّ على اللسان، واللسان به أسرع، وينبع الرجز من تفعيلته الرئيسة والمتكرّرة بنظام موسيقي متميّز، وهذه التفعيلة هي (مستفعلن)[1]، وهذه التفعيلة تعاد عادةً ستّ مرات أثناء البيت الواحد:

دارٌ لسلمى إذ سُليمى جارةٌ	قَـفْـراً تُـرى آياتُها مِثلَ الزُّبُرْ
دار لسل ـ ما إذ سلي ـ ما جارتن	ـ قفرن ترى ـ آياتها ـ مثل زبر
مستفعلن مستفعلن مستفعلن	مستفعلن مستفعلن مستفعلن[2]

ويكون على مصراع منه منفرداً بيتاً، أي: يعود كلّ شطر فيه بيتاً، وتسمّى قصائده أراجيز، واحدتها أُرجوزة، وصاحبها راجزاً أو رجّازة[3].

إذن؛ المعنى اللُّغوي إذا أخذناه بإطلاقه، فهو يختلف عن المعنى الاصطلاحي، أمّا إذا أخذنا كلمة (الرَّجَز) بفتحتين، فستعني ضرباً من الشعر، وهذا المعنى لا يختلف عن المعنى المصطلح عليه.

دراسة تحليلية لعدم ارتجاز أصحاب عمر بن سعد في العاشر من المحرم

لم يذكر التاريخ وأصحاب المقاتل أنّ رجلاً من أصحاب عمر بن سعد ارتجز يوم عاشوراء، وهذا ما استغربه المحقّقون في واقعة كربلاء، فهل يعقل أن تستمر معركة ساعات طوالاً، ويسقط فيها عشرات القتلى والجرحى من جيش عمر بن سعد ولا تسمع فيها مَن ارتجز؟! علماً بأنّ الصحفيين الذين عاشوا الأحداث، سلّطوا الضوء على كلّ تفاصيل المعركة، فما هو السبب من وراء ذلك؟ وهل هناك تفسير لعدم ارتجاز القوم؟

(١) أُنظر: دحاني، عبد الهادي، مصطلحات فنية ـ الرجز، رحلتي مع الأراجيز بصحبة الأُستاذ أمجد طرابلسي، بحث منشور في الشبكة العنكبوتية. (www.odabasham.net).

(٢) أُنظر: قدري مايو، المعين في العروض والقافية: ص١٠١. الخطيب التبريزي، يحيى بن علي، الكافي في العروض والقوافي: ص٧٧.

(٣) أُنظر: دحاني، عبد الهادي، مصطلحات فنية ـ الرجز، رحلتي مع الأراجيز بصحبة الأُستاذ أمجد طرابلسي، بحث منشور في الشبكة العنكبوتية: (www.odabasham.net).

من خلال الاستقراء والمطالعة يمكن أن نقف على بعض الاحتمالات والأسباب لتوجيه هذا الأمر، نذكر منها:

أوّلاً: عدم ذكر التاريخ لأراجيزهم

لعلّ هذا الاحتمال وارد، وأنّ الكتب التاريخية لم تنقل أراجيزهم لسبب من الأسباب، ولكنّه احتمال بعيد جداً؛ حيث ذكرت الكتب التاريخية والتراجم سيرة كلّ شخص شارك مع الحسين عليه السلام، وكلّ قتيل من جيش عمر بن سعد، وعندما ظهر قاتلُ أعداء أهل البيت المختار الثقفي (رضوان الله عليه) واقتصَّ منهم، لم يذكروا له أيّ أُرجوزة للذين شاركوا في قتال الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فمن البعيد جداً أن تكون هناك أراجيز قد أُنشدت من قبل أصحاب عمر بن سعد في يوم عاشوراء ولم يذكرها التاريخ[1].

ثانياً: عدم ارتجازهم أصلاً

والاحتمال الثاني ـ وهو الأقرب إلى الواقع ـ أنّهم لم يرتجزوا أصلاً، وهذا الاحتمال له عدّة أسباب، نذكر أهمّها:

أ ـ مَن كان على الباطل لا يرتجز

إنّ صوت الحق يعلو ولا يُعلى عليه، مهما كانت أدوات ووسائل صوت الباطل، ومهما حصل على أتباع أو مطبلين، وإنّ صاحب الباطل لا يعلو صوته أبداً، لا في ميدان حرب ولا غيره، فإذا كان كذلك، فكيف يعلو صوت الباطل المتمثّل بجيش عمر بن سعد ـ الذين رجّحوا اجتناب سخط الخلق على سخط الله، ورضا الخلق على رضوان الله، فأراقوا دم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهتكوا الأعراض، ونشروا الفساد في

(١) كلامنا على النحو الغالب، وربما ارتجز نفرٌ واحد كما يذكر التاريخ، لكنّ هذا لا يعدّ بالحسبان، كما أنّنا سلّطنا الضوء على الأراجيز التي ذُكرت في اليوم العاشر من المحرّم فقط، أمّا غيرها فلا يشملها الكلام.

الأرض ـ على صوت الحقّ المتمثّل في الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ؟! فلا يمكن صاحب الباطل أن يذكر في أُرجوزته المواعظ ولا يتّعظ، ويصف العبرة ولا يعتبر.

ولو سلّمنا أنّهم قد ارتجزوا في ساحات القتال ـ وهم على باطلهم ـ فما عساهم أن يقولوا، فهل يدافعون عن باطلهم بالباطل ظنّاً منهم أنّهم على شيء، وهم ليسوا على شيء؟! أم يمتدحون في أراجيزهم قائد الجيش عمر بن سعد ولفيفاً من الأوباش واللّئام وسفلة أهل الكوفة، الذين ساروا على نهج حكم بني أُميّة، أم يُثنون على عبيد الله بن زياد قاتل الأوّلياء والصالحين، والأسوأ من ذلك أن يعرّجوا في أشعارهم على صفات يزيد بن معاوية المخزية التي بيّنها الإمام عليه السلام بقوله: «**ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق**»[1]، وهي صفات لا تقبل التغطية والطلاء، أو يفتخرون بخروجهم على إمام زمانهم الحسين عليه السلام، أو بجرائمهم التي ارتكبوها، أو بأي شيء آخر؟! إذن؛ ليس عندهم أيّ مزيّة يستطيعون من خلالها التعبير عن أفكارهم إلّا أن يلزموا الصمت.

ب ـ الأُرجوزة تعبير عن مكنون الإنسان

الأُرجوزة فنّ وإبداع وجمال، وهي لغة يستخدمها الإنسان لترجمة التعابير التي ترد في خاطره، وتُستخدم أحياناً في المعارك؛ للتعبير عن أعمال الخير، أو لبيان مثالب الأعداء، وهتك أستارهم، وذكر مساوئهم، وأشباه ذلك من الأغراض. وإذا رجعنا إلى أعداء الحسين عليه السلام في كربلاء، فأيّ مثالب يمكن أن يذكروها في أراجيزهم؟! مثالب الحسين عليه السلام وهو إمام المتّقين، وسيّد شباب أهل الجنة، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه، وثمرة فؤاده، وقرّة عينه، وابن سيّد الوصيين أمير المؤمنين عليه السلام، أو يُشنّعون في أراجيزهم على أهل بيته عليهم السلام الذين وصفهم الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «**ما لهم في الأرض شبيهون**»[2].

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٢٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٦٨.

وبالجملة: فإنّ الذين حضروا مع أبي عبد الله عليه السلام يوم الطفّ، لم يكن في زمانهم وعصرهم مَن هو أشدّ منهم قوّة وبطولة وتضحية، وما من علم من العلوم الدينية إلّا وهم أصله وفرعه، وما من فنّ من الفنون الإسلامية إلّا وهم معدنه، أصحاب الجباه السود، وأهل البصائر، حَمَلة الكتاب والسنّة، وقد قال عليه السلام في حقّهم: «... **لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي**»[1].

بعد هذا لا يوجد طريق للخصم يمكن أن يعوّل عليه في أُرجوزته.

ج ـ الأمراء كانوا ينهونهم عن الأراجيز

إنّ هؤلاء القوم وإن جاءوا بحجّة أنّهم مُكرَهون على الخروج، أو لطلب الدنيا، أو طاعة لعبيد الله بن زياد مثلاً، فقد ذكر التاريخ أنّ عبيد الله بن زياد انتهج خطاباً إرهابيّاً توعّد فيه أهل الكوفة بالسوط والسيف، ورغّبهم في الانقياد، إلّا أنّ حقيقة ما جاءوا لأجله كان أعظم وأدهى، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[2]، وقد أعلنوها صراحةً في ميدان القتال: «**إنّما نقاتلك بُغضاً منّا لأبيك**»[3]، وهي ثارات يطلبونها ببدر، وحنين، والجمل، والنهروان، وغيرها. نعم، ربّما يكون لهم هدف غير هذا أيضاً، وهو الغنيمة والجائزة، كما صرّح بذلك الشمر: «**دانق من جائزة يزيد أحبّ إلى الشمر من شفاعة جدّك**»[4]، أو قول سنان في أُرجوزته التي ألقاها أمام مسامع عبيد الله بن زياد:

امـلأ ركـابي فـضـة وذهـبـا ... إنّي قتلت الملـك المحجّبا

قتلت خير الناس أُمّـاً وأباً ... وخيرهم إذ يُنسبون نسباً[1]

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١.

(٢) آل عمران: آية١١٨.

(٣) الأحمدي الميانجي، علي، مواقف الشيعة: ص١٢٥ـ١٢٦.

(٤) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٨٣.

فكان دافعهم القتل بالدرجة الأُولى، ومحاولة صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام بكلّ وسيلة، وبغضهم لهم، ومن ثمّ تتوالى الأسباب؛ من الخوف والطمع وغيرها، فهذه المؤامرة الضخمة، وهذا المخطّط الكبير ليس له أساس غير القتل والتشفّي من الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه.

وهؤلاء الطغاة عبيد الشيطان والجاه والمال والشهوات، لا يرتدعون عن عملٍ حرّمه الله، ولا ينزجرون عن قبيح ولا يرجعون عنه، وقد وبّخهم سيد الشهداء عليه السلام بقوله: «**يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون**»[٢]، فقد أنكر الإمام عليه السلام عليهم أن يكون لهم دين، أو قِيم إنسانية، أو صفات عربية يتحلّون بها ؛ من النخوة والشهامة وحماية الجار والدفاع عن النزيل، وأمرهم بالرجوع إلى أحسابهم والسير على ما يلائم فطرتهم وطبائعهم، ولكنّهم كما قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمَن تنادي[٣]

لأنّهم صمّموا منذ البداية أن لا يستمعوا إلّا إلى أنفسهم الأمّارة بالسوء، أو إلى أئمّتهم وسادتهم وكبرائهم من رؤساء الكفر والنفاق، فكانوا لأوامر ساداتهم أطوع من الأُمة لسيدها، ولدعوتهم أسرع من طرفة العين، فإذا كان هذا ديدنهم فمن الممكن أنّ أُمراءهم كانوا ينهونهم عن الارتجاز، كما كانوا ينهونهم عن مقابلة أصحاب سيد الشهداء عليه السلام وجهاً لوجه.

دراسة للتعرّف على بعض أراجيز أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام

إنّ الأراجيز التي أنشدها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام في يوم

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٧.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٧١.
(٣) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٥، ص٨٢.

عاشوراء تحمل في طيّاتها أسراراً وحقائق عديدة وعميقة، نتوصّل إليها ـ إن شاء الله ـ من خلال هذه الدراسة الموجزة. والبحث في هذه الأراجيز، هو بحث قلّما تطرّق إليه الباحثون أو أشاروا إليه من قريب أو بعيد، ولأهمّيته سنتطرق إلى بعض تلك الأراجيز، منها:

أوّلاً: الذود عن الولاية والإمامة

انصبّ اهتمام الأصحاب في كربلاء على مسألة الإمامة والذود عنها بالغالي والنفيس، وكانت أحد المواضيع المهمّة التي تناولوها في أراجيزهم الحماسية، وتكمن أهمّية هذه الأراجيز في كونها رسالة للمسلمين، وإنذاراً وتحذيراً لجيش عمر بن سعد الذين نسوا أو تناسوا أمر الإمامة التي نصّ عليها الكتاب والسنة في مواضع مختلفة؛ لذا أشار الإمام الحسين عليه السلام في أوّل خطبة له في العاشر من المحرم إلى الوصية؛ تنبيهاً وتذكيراً لجيش عمر بن سعد بحقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسبطي الرسول صلى الله عليه وآله في الحكم، فكان عليه السلام يقول: «**أمّا بعد، فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي؟! أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟! أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!**»[1].

إنّ هذه الكلمة رغم قصرها ـ حيث إنّ الظرف لا يسمح له بإلقاء خطبة مطوّلة ـ كانت من أفضل وأكمل وأنجع ما دافع به الإمام عليه السلام عن حياض الولاية والإمامة، وقد ذكر في هذه العبارات القصيرة نسبه الشريف، ومباحث هي غاية في العمق، وقمّة في إعطاء العبر والإنذار، لكلّ مَن سمع واعية الحسين عليه السلام في كلّ عصر وزمان.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧.

ومن أمتن هذه الأراجيز التي تصبّ في هذا الباب هي أُرجوزة أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام، عندما قطع الأعداء يمينه وشماله، وهو يلهج باسم الدين والإمام عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله والدفاع عن العقيدة:

والله إن قطعتم يميني ... إنّي أُحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقين ... نجل النبي الطاهر الأمين[1]

فهذه الأُرجوزة الخالدة تبيّن العقيدة الراسخة التي دعامتها المعرفة والإيمان الصحيح، فالذي ينزف دماً من قطع يمينه لا يتمكّن أن يفكّر جيداً، فكيف بأن يتمكّن من إنشاء أُرجوزة مليئة بالإيمان والعزم والجد، وكأنّه لم يحدث شيء!

كما ارتجز عليه السلام عند خروجه إلى المعركة قائلاً:

أقسمت بالله الأعزّ الأعظمِ ... وبالحجون صادقاً وزمزمِ

وبالحطيم والفنا المحرّمِ ... ليخضبنَ اليوم جسمي بدمي

دون الحسين ذي الفخار الأقدمِ ... أمام أهل الفضل والتكرّمِ[2]

ومن بين تلك الأراجيز التي تبيّن أحقّية أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، هو رجز الحجاج بن مسروق، مؤذن الإمام الحسين عليه السلام:

أقدم حسيناً هادياً مهدياً ... فاليومَ تَلقى جدّكَ النبيّا

ثمّ أباكَ ذا النَّدى عليّاً ... ذاكَ الذي نعرفه وصيّاً[3]

والمثال الآخر: هو رجز سعيد بن عبد الله الحنفي، الذي يقول في أُرجوزته:

أقدمْ حسينَ اليومَ تلقَ أحمدَا ... وشيخَكَ الحبرَ علياً ذا الندَى

وحسناً كالبدرِ وافى الأسعدَا ... وعمَّك القرمَ الهمامَ الأرشَدا

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٦.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٩ـ٣٠.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٢.

حمـزةَ ليثَ الله يُدعى أسـدَا وذا الجنـاحين تـبـوّأ مقعدَا
في جنّةِ الفردوسِ يعلو صُعُدا[1]

والجدير بالذكر أنّ ما بيّنوه في أراجيزهم من تضحيات ومواساة ونصرة لابن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن بدافع العاطفة والنسب والحسب، أو غيرها من الاعتبارات؛ وإنّما كانت من أجل الذبّ عن دين الله، وبيان أحقّية أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، والدفاع عن إمام من أئمّة المسلمين الذين أوصى بهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وفرض طاعتهم وولايتهم على جميع المسلمين.

ثانياً: الأُرجوزة تعبّر عن الإيمان الكامل بالله

لا يمكن أيّ فرد أن يحيط بالأُرجوزة ويتقنها؛ فإنّها لا تخلو من العواطف، والأخيلة، والأفكار الواسعة، وقد تكون في بعض الأحيان غامضة وعميقة في معانيها، فالعارف بالأُرجوزة يكون أقرب للابتكار والإبداع من غيره، وقد تشير إلى القوة الإلهية، فإذا رجعنا إلى أُرجوزة أُمّ عمر القائلة:

إنّي عجوزٌ في النسا ضعيفه خـــاويـــةٌ بـالـيةٌ نـحيفه
أضـربكم بـضربةٍ عنيفه دونَ بـني فاطمةَ الشريفه[2]

وقارنّا بين البيتين، نكون حينئذٍ أمام معنيين متناقضين؛ إذ لا تناسب بين كونها ضعيفة خاوية، ناحلة الجسم، منهدّة الركن من المصيبة؛ وبين ضربتها القوية، فالقوّة والضعف لا يجتمعان، وهذا يعني أنّ هناك تسديداً إلهياً لتلك الضربة، وأنّ هذه المرأة رغم ضعفها وما ألمّ بها من مصاب، أخذت برأس ابنها وقبّلته، ومسحت التراب والدم عنه، ورمت به ـ وهو رأس ثقيل ـ أحد الأعداء فقتلته؛ وذلك لأنّها كانت مستمدةً عزمها من الله تعالى، ومستندةً إلى الإيمان الذي يتزايد وينمو من قوّة الله

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٦.
(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٢.

المطلقة، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1].

إذن؛ فهذه الأُرجوزة تكشف لنا أنّ الإيمان بالله يحقّق النصر، ويزيد في قوّة المؤمنين وثباتهم وصمودهم في مواجهة الأعداء مهما بلغوا.

ثالثاً: دفاعهم عن الحسين وأهل بيته عليهم السلام

وقف أبطال كربلاء وقفة الأُسود في نصرة إمامهم الحسين عليه السلام، والدفاع عن حرم أهل البيت عليهم السلام، وهو دفاع عن الشريعة المقدسة، والعقيدة الصحيحة، وبذلوا الجهود المضنية والكبيرة، واستماتوا في نصرة سيد الشهداء وأهل بيته عليهم السلام، وقد ورد هذا المعنى في أراجيزهم، منها:

أرجوزة زهير بن القين، يقول فيها:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ ... أذودكم بالسيفِ عن حسينِ

إنّ حسيناً أحدُ السبطينِ ... من عترةِ البرِّ التقيّ الزينِ

ذاكَ رسولُ الله غيرُ المينِ ... أضربكم ولا أرى من شينِ

يا لَيت نفسي قسّمت قسمينِ[2]

وأُرجوزة أبو الشعثاء، وهو يزيد بن زياد الكندي، وكان رامياً، فجثا بين يدي الحسين عليه السلام يرمي بسهامه، والحسين عليه السلام يقول: «**اللّهمّ سدّد رميته، واجعل ثوابه الجنّة**»[3]. ولمّا نفدت سهامه هجم على الأعداء مرتجزاً:

أنا يزيدٌ وأبي مهاصرُ ... أشجعُ من ليثٍ بغَيلٍ خادرُ

يا ربِّ إنّي للحسينِ ناصرُ ... ولابنِ سعدٍ تاركٌ وهاجرُ[4]

(١) الأنفال: آية١٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٠.

(٤) المصدر السابق.

ومنها: أرجوزة جون مولى أبي ذر الغفاري:

كيفَ يرى الكفّارُ ضربَ الأسودِ ... بالسّيفِ ضَرباً عن بني محمَّدِ
أذُبُّ عنهم باللِّسانِ واليدِ ... أرجو بهِ الجنّةَ يومَ المـوردِ[1]

ورجز أنيس بن معقل الأصبحي:

أنا أنيسٌ وأنا ابنُ معقلْ ... وفي يميني نصلُ سيفٍ مصقلْ
أعلو به الهامات وسطَ القسطلْ ... عن الحسينِ الماجدِ المفضّلْ[2]

وهذا الأمر (وهو الدفاع عن الحسين وأهل بيته عليهم السلام) ممّا لا شكّ فيه، فقد كانت لهم مواقف محمودة في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، تُنبئ عن نصرهم وذوبانهم في الحسين عليه السلام، فكان الرجل منهم يتمنّى أن يُقتل ويُنشر ثمّ يعاد، ويُفعل به ذلك ألف مرّة، ليدفع الله بذلك الفتنة عن الحسين عليه السلام وولده وإخوته وأهل بيته عليهم السلام، وقد نُقل هذا المعنى عن الصحابي زهير بن القين[3].

رابعاً: معرفة الحق

إن لم يتمكّن أصحاب الحقّ من بيان حقّهم، ولم يمتلكوا طريقة مجدية لإثباته وتمكينه وإقناع الآخرين به؛ فحينئذٍ سيأتي أهل الباطل ويُوهموا الناس أنّهم على حقّ؛ ولذلك سعى أصحاب الحسين عليه السلام لاستغلال كلّ الوسائل المشروعة من أجل بيان أنّ الحقّ معهم، ومن هذه الوسائل هي الأُرجوزة، لذلك كانت الأراجيز صرخة مدوية في وجه الظالمين تبين الحق والحقيقة للحاضر والغائب، ومن هذه الأراجيز هي أُرجوزة حبيب بن مظاهر الأسدي:

أنا حبيبٌ وأبي مظاهرُ ... فارسُ هيجاءٍ وحرب تسعرُ
أنتم أعدّ عدّةً وأكثرُ ... ونحن أوفى منكم وأصبرُ

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٤، ص٢٩٧.
(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٢.
(٣) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٢.

ونـحنُ أعلى حجّةً وأظهرُ حـقّاً وأتقى منكم وأعــذرُ[1]

وأُرجوزة مسلم بن عوسجة:

إن تـسألوا عنّي فإنّي ذو لبدْ من فرعِ قومٍ من ذُرى بني أسدْ

فـمَنْ بـغانا حايدٌ عن الرَّشدْ وكـافرٌ بـدينِ جـبّارٍ صَمَد[2]

فهاتان الأُرجوزتان موضوعهما واحد، وهو معرفة الحقّ والكشف عنه.

إذن؛ فالتعامي والتغافل عن معرفة الحقّ، وعدم بيانه للناس وتبليغه لهم؛ سيؤدّي إلى قلب الحقائق رأساً على عقب، وهو موضوع جليل وخطير، فكم من فئة تعرف الحقّ لكن لا تستطيع أن تجهر به، إمّا خوفاً من بطش ظالم، أو طمعاً في حطام دنياً فانية، فتحجب كلمة الحق أن تصل إلى الآذان، وتقف حاجزاً أمامها.

ولإصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء الدور الأساسي في بيان الحقّ، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا سطوة جبارٍ ظالم، ولا تخدعهم زخارف الحياة، يسعون وراء الحق وإن بَعُد، ويصطادونه وإن هرب، لن يحيدوا عنه طرفة عين أبداً.

خامساً: الانتساب إلى بيت النبوة

والشيء الذي لا يُنسى في هذه الأراجيز، هو انتساب بني هاشم إلى جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله، فذكر قرابتهم النسبية إليه صلى الله عليه وآله كان أحد المواضيع المهمّة التي تناولها بنو هاشم في أراجيزهم، فإنّها تعدّ وعظاً وتذكيراً وتوجيهاً لإيقاظ جيش عمر بن سعد، الذين غفلوا أو تغافلوا عن أنّ هؤلاء الذين بين أظهرهم، والذين يريدون قتلهم وسبيهم هم عترة نبيهم صلى الله عليه وآله، فكانت أبيات أراجيزهم حجّة دامغة وموعظة بالغة على مَن يحيد عن طريق الحق أو يحتال عليه، ومن تلك الأراجيز هي أُرجوزة

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣٥.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥١.

علي الأكبر عليه السلام التي يُعرّف فيها نفسه وانتسابه إلى النبي صلى الله عليه وآله، قائلاً:

أنـا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أَولى بالنبي

والله لا يحكم فينا ابن الدعي ... أطعنكم بالرمح حتّى ينثني

أضربكم بالسيف حتّى يلتوي ... ضرب غلامٍ هاشميّ علوي[1]

وكذا أُرجوزة القاسم بن الحسن عليه السلام:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا الحسينُ كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سُقوا صوب المزن[2]

وكذلك عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأُمه رقية بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول في رجزه:

اليوم ألقى مسلماً وهـو أبي ... وفتيةً بـادوا عـلى ديـن النبي

ليسوا بقوم عُرفوا بالكذبِ ... لكن خـيـارٌ وكـرام النسبِ

من هاشم السادات أهل الحسبِ[3]

وكذلك أُرجوزة عون بن عبد الله، الذي صحب خاله الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، فلمّا كان يوم العاشر من المحرم، تقدّم إلى الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام، وعرّف نفسه برجزه المشهور الذي انتسب فيه إلى جدّه الشهيد العظيم جعفر، الذي قُطعت يداه في سبيل الله، فبرز إلى حومة الحرب وهو يرتجز:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر ... شهيد صـدق في الجنان أزهر

يطير فيها بـجـناح أخضر ... كفى بهـذا شرفـاً من محـشر[4]

---

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٨٧.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٥.

(٣) المصدر السابق: ج٣، ص٢٥٤.

(٤) المصدر السابق.

والدروس المستفادة من هكذا أراجيز، هي:

١ - إنّ الارتباط بالنسب والعائلة مقدّس في الإسلام، وهو من القيم الأساسية التي نص عليها الدين في الكتاب والسنة، وإنّ الدفاع عن الأهل والعِرض واجب شرعي، كما جاء عن المصطفى صلى الله عليه وآله: «**مَن قُتل دون ماله فهو شهيد، ومَن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومَن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومَن قُتل دون أهله فهو شهيد**»(١).

٢ ـ المفخرة العظمى والدرجة العليا في الانتساب إلى جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله، هي اشتراكهم في هدف واحد، وهو نصرة المظلوم، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله.

٣ ـ تشير الأراجيز إلى مبادئ غير المبادئ التي يستند إليها جيش عمر بن سعد، فإنّ مبادئ الهاشميين تتّصف بالعزّة والهيبة والوقار، أمّا جيش عمر فهو يحمل مبادئ الذل والعبودية، والاستسلام والخنوع.

سادساً: الأُرجوزة تُثير الإعجاب وتسترعي النظر

من الموضوعات المتعارفة في الرجز أن يُعرّف الراجز نفسه، أو شجاعته، أو قبيلته، أو يهجو عدوّه، وهي أساليب متّبعة في الحروب، لكنّا إذا تأمّلنا في أُرجوزة ذلك الفتى الذي برز قائلاً:

أمـيري حسين ونعم الأمير ... سرور فـؤاد البشير النذير
عـليّ وفـاطـمـة والـداه ... فهل تعلمون له من نظير؟(٢)

نرى أنّ الأمر مختلف؛ حيث إنّ هذا الفتى قد خرج في أُرجوزته عن المتعارف، فلم يذكر شيئاً عن نفسه، حتّى أنّه لم يذكر اسمه، فضلاً عن أن ينتسب إلى أهله أو عشيرته، بل كان كلّ رجزه عن الحسين عليه السلام، وهذا يفسّر أن كلّ بطولاته وتضحياته،

(١) الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام: ج٥، ص٩٨، (الهامش).
(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٣.

ومبادئه الأخلاقية، وقيمه الروحية، وكلّ وجوده كان متّصلاً بالحسين عليه السلام؛ إذ كان يعيش العشق الحسيني بكلّ ما يملك.

سابعاً: ذكر صفاتهم الحميدة

ونذكر هنا أراجيز أُخر تبيّن مقامهم السامي، وعلوّ رتبتهم، وبُعد منزلتهم في الشّرف والفضيلة، وصفاتهم النفسية، كالكرم، والشجاعة، والعلم، والحلم، وما شابه ذلك، ومن أروع الأراجيز في هذا المقام هي أُرجوزة الحرّ الرياحي، التي تُعتبر أُنموذجاً لهذا المعنى، يبيّن فيها شجاعته ووضعه الاجتماعي:

إنّي أنا الحرُّ ومـأوى الضيفِ ... أضربُ في أعناقكم بالسيفِ

عن خيرِ مَن حلَّ بلادَ الخَيفِ ... أضرِبكم ولا أرى مِن حَيفِ[1]

فقد كان الحرّ من وجوه العرب، وكان قائداً شجاعاً، ردّ الظلم والعدوان عن الحسين وأهل بيته عليهم السلام، ومن الصفات الجميلة التي يتحلّى بها الحرّ بن يزيد ـ والتي ذكرها في أُرجوزته ـ هي صفة الكرم، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه وسخائه، وهي من السجايا التي يحبّها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام والناس جميعاً، كما أنّ أسمى درجات الكرم هي الكرم في ميادين القتال والحرب، بأن يبذل المقاتل روحه التي هي أغلى شيء عنده في الوجود، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، وهو ما قدّمه الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام في كربلاء.

ثامناً: كفر أهل البغي والضلالة

من جملة الأُمور التي يعتقد بها أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ هي أنّ كلّ مَن خرج على إمام زمانه ـ المنصوص عليه من الله ورسوله ـ واستحلّ دمه وماله بتأويل، فهو كافر، باغٍ، فاسق، هذا ما اتّفق عليه علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومن الواضح

(١) المصدر السابق: ج٣، ص٢٥٠.

أنّ الذين خرجوا لقتال الحسين عليه السلام هم أشدّ كفراً، وأفسق وأطغى مَن على وجه الأرض، وقد أشار أنصار الحسين عليه السلام إلى هذا الموضوع في أراجيزهم، وهو مذمّة الأعداء، وانتسابهم إلى الكفر والفسق، كما في أُرجوزة أبي الفضل العبّاس عليه السلام التي تُبيّن كفر وضلال القوم، واتّباعهم غير سبيل الرشاد، حيث يقول:

أنا الذي أُعرَف عند الزمجرهْ ... بابـن علـيٍّ المسمَّى حيدرهْ

فأثبتوا اليـومَ لنـا يا كفـرهْ ... لعتـرةِ الـحمدِ وآلِ البقـرهْ[1]

وأُرجوزة محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهما السلام، عندما أراد الذهاب إلى المعركة:

نشكو إلى الله من العدوانِ ... قـتـالَ قـوم في الـــردى عُميانِ

قـد تـركـوا مـعـالم الـقـرآنِ ... ومحكم التنزيل والتبيانِ[2]

كذلك نستطيع أن نشير إلى رجز عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الموضوع، الذي ارتجز بعد أن استُشهد أخوه أبو بكر بن علي عليه السلام على يد زحر بن بدر النخعي، قائلاً:

أضربُكم ولا أرى فيكم زَحَرْ ... ذاك الشقيّ بالنبيِّ قد كفَرْ

يا زَحرُ يا زَحرُ تُدان مِن عُمَرْ ... لعلّكَ الـيـومَ تبوأُ من سَقَرْ

شرَّ مكانٍ في حريقٍ وسعَر ... لأنّـك الجاحدُ يا شرّ البشر[3]

(١) الفاضل الدربندي، أسرار الشهادات: ص٣٣٥. الكلباسي، محمد إبراهيم، الخصائص العبّاسية: ص١٢١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص٣٧.

النتيجة

من أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها في هذه الدراسة، هي:

١ـ إنّ بحر الرجز لم يكن أقلّ شأناً من بحور الشعر الأُخرى، بل على العكس من ذلك، فقد كان له دور واضح منذ العصر الجاهلي، فهو معروف منذ القدم بصفته الشعبية؛ حيث كان أوّل بحر استخدمه العرب في أشعارهم، يقول إبراهيم أنيس: «**إنّه أصل الأوزان وأقدمها**»[1]. واستمرّ هذا الفن إلى أن وصل إلى العصر الإسلامي وما بعده، حيث أصبح هناك كثير من الشعراء ينظمون أشعارهم على هذا الوزن.

٢ـ أوضحت هذه الدراسة مدى فصاحة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وإبداعهم الفنّي والأدبي، وارتجالهم الذي تجسّد في الأُرجوزة بشكل كبير.

٣ـ يعتبر الرجز في كربلاء مظهراً من مظاهر إبراز العقائد والمشاعر والآمال، يختاره الراجز للتعريف بنفسه ودواعي مشاركته في القتال، فتارة يتشرّف بذكر إمام زمانه وبنصرته والدفاع عنه وعن أهل بيته عليهم السلام، وأُخرى يُعبّر به عن اشتياقه إلى الآخرة، وثالثة يتوعّد به الكافرين بنار جهنم وبئس المصير، وغير ذلك من الأغراض.

٤ـ إنّ الأراجيز في كربلاء أُنشدت في حال القوّة لا الضعف، حيث كشفت عن بطولات الأنصار وولائهم، وحبّهم وتضحياتهم للحسين عليه السلام، وكذلك أسهمت في حفظ معالم الدين، بتفسير ما غمض من حقائقه، أو بتبيان حدوده وأحكامه، وغير ذلك من الأُمور المتعلّقة بفهم الشريعة، وبواسطة الأراجيز المنشدة في كربلاء اتّضح لنا الكثير من سمات الكافرين والمارقين والفاسقين.

(١) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر: ص١٤٠.

دراسات حسينية

- الركب الحسيني في (ملحمة الغدير) لـ(بولس سلامة)
- الدور التبليغي لأهل بيت الحسين عليه السلام في نهضة عاشوراء
- الملامح القيادية للحوراء زينب عليها السلام في واقعة كربلاء
- الرباب رمز الوفاء

الركب الحسيني
في (ملحمة الغدير) لـ(بولس سلامة)

السيّد عبد الهادي الشريفي*

المقدّمة

الملحمة شكلٌ أدبي شعري، ونوع من أنواع القصائد الطويلة، يهدف إلى تمجيد مُثل جماعية عظيمة (دينية أو وطنية أو إنسانية)، من خلال سرد مآثر بطل حقيقي أو أُسطوري، تتجسّد فيه هذه المُثل العليا في المجتمع.

فالملحمة تروي سلسلة من البطولات لفرد أو جماعة، في رواية مترابطة الحلقات، ذات بداية ونهاية تاريخية، وغالباً ما يكون هناك فاصل زمني طويل بين رواية الملحمة وتاريخ وقائعها وأحداثها، وقد حدث ذلك في ملاحم الهنود، واليونان، والفرس، وكذلك العرب، وإن كان متأخراً عندهم، كما هو واضح عند أدنى مراجعة لتاريخ الأدب العربي.

ولقد كانت الحروب عند القدماء أوّل مواضيع الشعر، ومنها الملاحم، والملحمة بهذه الصفات تجسّد آمال الشعوب والأُمّة، وتعبّر عن عقائدهم وأفكارهم وتراثهم؛ وبذلك تمتاز عن القصائد الشعرية العاديّة، والروايات التاريخية النثرية، فإنّ الحادث التاريخي فيها ممتزج بالأُسطورة الشعبية، وإنّ أبطالها تحيط بهم هالات القداسة والفخر[1].

---

* باحث مختصّ بالدراسات اللُّغوية والأدبية، من العراق.

(١) اُنظر: مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ص ٣٨٣.

فالملحمة قصّة شعرية طويلة، تدور حوادثها حول معارك ضخمة، وبطولات خارقة، تستند إلى سرد أحداث تمتزج فيها الأوصاف، والشخصيات، والحوارات، والخطب، والنصائح، من أجل قضيّة تتّصل بالوجود الإنساني والعقائدي أو القومي، لشعب من الشعوب؛ دفاعاً عن مقدّساته العريقة، أو مأثوراته وأمجاده.

هناك أُمم كثيرة في الشرق والغرب عرفت شعر الملاحم في تاريخها الطويل، فالهنود يفتخرون بملحمتهم (المها بهاراتا) التي ألّفها عدّة شعراء على التوالي خلال مائتي سنة تقريباً، وتضمّ (١١٠) آلاف بيت، ومعناها (حرب المها بهاراتا العظمى)، وهي الأشهر في الآداب الهندية، وتتألف من (١٨) كتاباً، وقد نقل هذه الملحمة إلى العربية (وديع البستاني، ت١٩٥٤م)[1]. واليونانيون يفتخرون بملحمتهم: (الإلياذة) لهوميروس، وهي تتألّف من أكثر من (١٥) ألف بيت، و(الأُوديسا)، وقد ظهرتا في القرن العاشر قبل الميلاد. والإيرانيون يفتخرون بملحمتهم (الشاهنامة)، أي: (كتاب الملوك)، للفردوسي (ت١٠٢٠هـ)، وقد ذكر فيها أمجاد الإيرانيين في قرابة (٦٠) ألف بيت، وتحتوي على كثير من الأساطير والقصص الشعبية، وتغنّى فيها الشاعر بتاريخ إيران والإنسانية معاً، حسب مخطّط شامل لخمسين من الملوك، وتعبّر هذه الملحمة عن خيال واسع وجمال غني رائع، مع الحبّ للشعب والبلاد.

أمّا العرب فقد تعرّضوا لكلّ فنون الشعر وأساليبه إلّا الملاحم، فقد كان هذا النوع من الفنّ خجولاً، وإن لم يكن غريباً عن أدبهم، فشعر الفتوحات الإسلامية، وأشعار البطولة والفخر، وبعض السير الشعبية، من هذا اللون من الفنّ (الملاحم).

وقد أنكر بعض الأدباء وشكّك آخرون في هذا اللون من الفنّ في الأدب العربي، ومنهم سليمان البستاني (ت١٩٢٥م)، الذي نقل (الإلياذة) إلى العربية، حيث يقول: «**لم يتّصل بنا أنّ العرب وضعوا اسماً لمنظومات الشعر القصصي من نظائر الإلياذة، إلّا أن**

(١) أُنظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي: ص٥٨٧.

يكون ذلك ما استحدثه أهل المغرب، وسمّاه بعضهم بالملاحم، وهو عندهم كالملاعب بالشعر العامي، ما تضمّن من المنظوم أحوال أُمّة أو قوم، وفصّلت فيه وقائع الحروب والتاريخ»[1].

وممَّن أنكر وجود الملاحم شاعرنا بولس سلامة (١٩٠٢ – ١٩٧٩م) صاحب ملحمة (عيد الغدير)؛ ولذا استعان بقواعد الغرب في هذا المضمار عندما شرع في تأليف ملحمته الخالدة (عيد الغدير)، وقد ظهرت هذه الملحمة الرائعة الفريدة، في عام ١٩٨٤م، وإذا كان شعراء الملاحم ينظرون إلى بطولات شعوبهم الأُسطورية، وإلى ما وراء الضباب والسراب، فإنّ بولس سلامة الشاعر المسيحي اللبناني يرى في الإسلام ورسالته ورسوله محمدﷺ وأهل بيتهعليهم السلام ملحمة حقيقية كبرى، تهزّ الوجدان العربي، وتثير دفائن العقول عند المسلمين، وتجمعهم حول محور الحقّ والنور، من أجل إضاءة سراج في طريق الأُمة اللاحب.

بولس سلامة (حياته وتراثه)

وُلِد (بولس سلامة) في قرية (بتدين اللقش) من قضاء جزّين في الجنوب اللبناني عام (١٩٠٢م)[2]، تربّى في أحضان والده الذي كان شغوفاً بالسير الشعبية[3]، فَعَلُقت في نفس الشاعر روح الحماسة التي رافقته إلى مدرسة القرية، حيث تلقّى فيها مبادئ اللّغة العربية.

ثقافته

قامت ثقافته على دعامتين: المدرسة والمطالعة، تخرّج من مدرسة الحقوق الفرنسية عام (١٩٢٥م)، قرأ: الإنجيل والتوراة والقرآن الكريم، وأُعجب بنهج

(١) البستاني، سليمان، شرح وترجمة إلياذة هوميروس: ج١، ص١٦٢ـ١٦٣، المقدمة.
(٢) أُنظر: محمد خير، تكملة معجم المؤلفين: ص١٠٣.
(٣) أُنظر: بولس سلامة، عيد الرياض: المقدّمة.

البلاغة، والجاحظ، وابن المقفّع، ودرس التاريخ والفلسفة، وفي عام (١٩٢٨م) عيّن حاكماً صلحياً، وفي عام (١٩٣٤م) أصبح قاضياً للتحقيق في طرابلس، ثمّ عُيّن رئيساً للمحكمة، وفي عام (١٩٤٤م) أُحيل إلى التقاعد.

بدأت رحلته مع الأوجاع من عام (١٩٣٦م)، واستمرّت معه حتى وفاته عام (١٩٧٩م)، وقدّم خلالها أصدق نتاج إنساني وعاطفي تجسّد في أعظم ملحمة إسلامية (عيد الغدير).

بلغت مؤلّفاته النثرية ثمانية كتب، واستمرّ بإرادة ثابتة رغم ما أصابه حتى عام (١٩٧٩م)، حيث فارق الحياة في (١٤/ ١٠/ ١٩٧٩م).

تراثه الشعري

كان بولس سلامة صاحب نفس طويل في النظم، وقد فجّرت معاناته مع المرض شاعرية فياضة، وقريحة صافية، وأهمّ روائعه الشعرية الإنسانية، هي:

١ـ علي والحسين عليهما السلام: قصيدة طويلة نشرت عام (١٩٤٦م)، تناول فيها حياة الإمامين علي والحسين عليهما السلام وشهادتهما وذكرى كربلاء، فقد استلهمهما الشاعر معاني التضحية والألم بعدما وقع طريح الفراش.

ولنقتطع من هذه القصيدة بعض أبياتها:

حمل المجد خافقاً في لوائه ... بطل ظلّ مفرداً في سمائه

فتفلَ الأيام بيض المواضي ... والحسام الأصيل ملء مضائه

ذو الفقار الشطيب في يوم بدرٍ ... لم تزل زرقة السماء بمائه[1]

وقد دمج بعض أبيات هذه القصيدة في ملحمة الغدير.

٢ـ فلسطين: قصيدة طويلة نُشرت عام (١٩٤٧م)، طرح فيها قضية فلسطين.

٣ـ الأمير بشير: نُشرت عام (١٩٤٧م).

(١) موقع: شبكة الإمام علي عليه السلام (https://imamali.net/old/?part=1621).

٤ـ **ملحمة الغدير**: ظهرت عام (١٩٤٨م)، تقع في (٤٧) قصيدة، ويبلغ مجموع أبياتها (٣٤١٥) بيتاً.

٥ـ **ملحمة عيد الرياض**: تتألّف من حوالي (٧٦٧٧) بيتاً، نشرها عام (١٩٥٥م)، أمّا موضوعها فهو: حركة آل سعود، وسيطرتهم على الجزيرة العربية، صوّر فيها بطولات عبد العزيز آل سعود المزعومة، الذي قام باحتلال المواقع الثلاثة المقدّسة، وهي: مكّة المكرمة، المدينة المنورة، وكربلاء المقدسة التي هاجمها من قبلُ سلفُه يزيد ابن معاوية، وانتهك خلالها جميع الحرمات المقدّسة.

٦ـ **عيد السنين**: تتألّف من (٦٨٤) بيتاً، نشرت سنة (١٩٤٠م)، يتناول فيها قصة حياته، وتجربة ألمه.

وقبل الحديث عن ملحمة الغدير ـ بل الحديث عن الجزء الأخير منها، وهو واقعة كربلاء (محلّ البحث) ـ لا بدّ من الحديث عن بعض الموضوعات الممهّدة لذلك.

الملحمة عند (بولس سلامة)

يطرح بولس في مقدّمة (ملحمة عيد الرياض، صفحة ٢٨) نظرته الخاصّة إلى فنّ الملحمة، بعدما يستعرض النظرة الغربية إلى هذا الفنّ، وبهذا يحدّد منهجاً نقدياً مهمّاً في دراسة الفنّ الملحمي، وأبرز أفكاره في الملحمة هي:

١ـ التأكيد على أنّ التاريخ هو مادّة العمل الملحمي، ولا ضير أن تكون الملحمة ناقلة للحقيقة التاريخية بصدق وأمانة.

٢ـ ارتفاع العمل الملحمي عن الحدث اليومي إلى العمل الخارق من دون أن يصل إلى الأوهام.

٣ـ تلوّن الملحمة بجميع الاتّجاهات المذهبية في الفنّ، على أنّ الكلاسيكية، وهي (التقيّد بالأساليب الماضية) هي أبرز ما فيها.

٤ـ الابتعاد عن السرد الجاف الذي يُميت الشاعرية.

٥ـ عدم تخلّي الشاعر عن شخصيته، مع الابتعاد عن التأثّر بالشعور الذاتي.

٦ـ اتّباع المنهج القديم في وحدة الوزن؛ لتأكيد النفس الشعري الطويل الذي يمتاز به الشاعر، وعدم التخلّي السريع عن الروي، حتّى وإن بلغ مئات القوافي[١].

موضوع ملحمة عيد الغدير

ملحمة دينية تاريخية تدور حول الأحداث الداخلية التي عاصرت انطلاق الدعوة الإسلامية المباركة ـ التي انفجر نورها في مكّة المكرمة على يد سيّد النبيين محمدﷺ ـ إلى نهاية العصر الأُموي سنة (١٣٢هـ).

وهي ـ كما عرّفها مؤلّف الملحمة ـ أوّل ملحمة عربية، تتناول أهمّ نواحي التاريخ الإسلامي، وخاصّة الهاشميين العلويين، وما يتعلّق بهم، منذ الجاهلية حتّى آخر دولة بني أُميّة[٢].

وليس حديث الغدير سوى فصل من فصول الملحمة التي مدارها أهل البيتعليهم السلام، أمّا فضاء الملحمة فأوسع من ذلك، فإنّه يشمل تاريخ الإسلام، ومأساة كربلاء، إلى نهاية دولة الأُمويين المظلمة، فسمّي الكلّ باسم الجزء.

يقول بولس سلامة: «**ولا يخفى أنّ ذلك نشراً لناحية عظمى من التاريخ العربي، وأنّ العروبة المستيقظة اليوم في صدور أبنائها من المغرب الأقصى إلى آخر جزيرة العرب لأحوج ما يكون إلى التمثل بأبطالها الغابرين، وهم كثيرون، على أنّه لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعليعليه السلام من بطولة وعلم وصلاح، ولم يقُم في وجه الظالمين أشجع من الحسين، فقد عاش الأب للحقّ، وجرّد سيفه للدفاع عنه منذ يوم بدر، واستُشهد الابن في سبيل الحرّية يوم كربلاء، ولا غرو فالأوّل ربيب محمّد، والثاني فلذّة منه**»[٣].

---

(١) أُنظر: مقدمة عيد الرياض: ص٢٨.

(٢) أُنظر: بولس سلامة، عيد الغدير: ص١ (صفحة العنوان).

(٣) المصدر السابق: ص٢٤.

نظم بولس سلامة هذه الملحمة عام (١٩٤٨م)، وهي تقع في سبع وأربعين قصيدة، شرع بها بتوجيه من الإمام الشريف السيّد عبد الحسين شرف الدين الذي اقترح عليه نظم يوم الغدير[١].

يقول في مقدّمة ملحمته: «**ولمّا عزمت على النظم انصرفت إلى درس المراجع التاريخية، ولكنّني ـ قطعاً للظن والشبهات ـ قلّما اعتمدت مؤرّخي الشيعة، بل الثقات من أهل السنّة الذين عصمهم الله من فتنة الأُمويين**»[٢].

وقال أيضاً: «**ولقد جعلت للكتاب هامشاً يسهّل للقراء ـ وعلى الأخصّ غير المسلمين منهم ـ تفهّم الكتاب، ولم أُفسّر من الألفاظ إلّا عسيرها، ولقد تنكّبت عن استعمال الغريب**»[٣]، «**وقد استغرق تأليف هذا الكتاب ستة أشهر، ثلاثة منها لدرس الموضوع تاريخياً، وثلاثة للنظم**»[٤].

سبب تأليف الملحمة

يقول بولس سلامة: «**ولربّ معترضٍ يقول: ما بال هذا المسيحي يتصدّى لملحمة إسلامية بحتة؟ أجل، إنّني مسيحي، ولكنّ التاريخ مشاع للعالمين. أجل، إنّي مسيحي ينظر من أُفق رحب لا من كوّة ضيقة، فيرى في غاندي الوثني قدّيساً، مسيحي يرى الخلق كلّهم عيال الله، ويرى أن لا فضل لعربي على عجمي إلّا بالتقوى، مسيحي ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات كلّ يوم، رجل ليس في مواليد حواء أعظم منه شأناً وأبعد أثراً...**

قد يقول قائل: ولِمَ آثرت علياً دون سواه من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله بهذه الملحمة؟

ولا أُجيب على هذا السؤال إلّا بكلمات، فالملحمة كلّها جواب عليه، وسترى في

(١) أُنظر: المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٢٥.
(٤) المصدر السابق: ص٢٦.

سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون: رضي الله عنه، وكرم وجهه، والسلام عليه، ويذكره النصارى في مجالسهم، فيتمثّلون بحكمه، ويخشعون لتقواه، ويتمثّل به الزهاد في الصوامع، فيزدادون زهداً وقنوتاً، وينظر إليه المفكّر فيستضيء بهذا القطب الوضاء، ويتطلّع إليه الكاتب الألمعي، فيأتمّ ببيانه، ويعتمده الفقيه المدره، فيسترشد بأحكامه»[1].

ثم يختتم مقدمته مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«حقّاً إنّ البيان ليسفّ، وإنّ شعري لَحصاة في ساحلك يا أمير الكلام، ولكنّها حصاة مخضوبة بدم الحسين الغالي، فتقبّل هذه الملحمة، وانظر من رفارف الخلد إلى عاجزٍ شرّف قلمه بذكرك»[2].

أثر موسوعة العلامة الأميني (الغدير في الكتاب والسنّة والأدب) في صاحب الملحمة

لهذه الموسوعة المباركة أثر واضح في توجيه وشحذ همّة المؤلّف لإخراج ملحمته بشكل جذّاب، تخدم الحقيقة بكلّ معانيها، وتكشف زيف الباطل وتدمغه، وفي رسالة بولس إلى العلّامة الأميني عام (١٩٤٨م) ما يعزّز هذا التأثير، فقد جاءت رسالة بولس الجوابية ـ بعد تلقّي الجزء الخامس من (موسوعة الغدير) هدية من الشيخ الأميني ـ يقول فيها: «وإنّما أعتذر عن تأخيري الجواب اعتذاراً يسرّك، حتى لتؤثره على أداء الواجب؛ ذلك أنّي كنتُ في الآونة الأخيرة أختلس الفترات التي يهادنني فيها المرض، لأنظم (يوم الغدير)، في ملحمة تناولتُ فيها أهل البيت، منذ الجاهلية حتى ختام مأساة كربلاء، وقد أربى عدد أبياتها على ثلاثة آلاف وخمسمائة، وجعلت عنوانها عيد الغدير»[3].

ثمّ يختم رسالته، ليقدّم السبب الحقيقي وراء كتابة هذه الملحمة المباركة، فيقول:

(١) المصدر السابق: ص٢٦ـ٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٩.

(٣) الشاكري، حسين، ربع قرن مع العلّامة الأميني: ص٣٧٤. اُنظر: مجلّة تراثنا: العدد ٢١، ص٢٩٠ـ٢٩١.

«والأدلّة على عظمة أميرالمؤمنين ـ بل أمير العرب ـ لَأجلّ من أن تحصى، وشأن من يحاول حصرها شأن من يبغي التقاط أشعة الشمس، وإنّني لأكتفي بواحدة منها في هذه الرسالة، وهو أن يتلاقى على حبّ أهل البيت عليهم السلام رجلان: أحدهما شيعي جليل، وقف قلمه منذ خمس عشرة سنة على خدمة الحقّ، ولمّا يزل، وهو أنت، وثانيهما هو هذا المسيحي العاجز، الذي جاء في الزمن الأخير»[1]، **«وعلّة ذلك أن صعيد الحقيقة هو على شاطئ دجلة، وعلى ضفاف الأزرق المتوسط، وأنّ الحقّ شعلة من الضياء السماوي، وإنّها لشعلة مشتعلة بالخلود بلا نهاية، بالله...»**[2].

لم يكن بولس سلامة المسيحي الوحيد الذي تفاعل وعشق مبادئ أهل البيت عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام، وأهداف ثورته، فمأساة كربلاء رسالة عالمية تشمل الإنسانية جميعاً، اتخذت طابعاً عالمياً؛ لأنّ أهدافها إنسانية عامّة، تدافع عن إنسانية الإنسان وحرّيته وعقيدته، كُتبت بحروف من الدم؛ ما جعلها تُحفر في ذاكرة التاريخ إلى تخوم العصور.

ومن المهمّ أن يلتقي الفكر الإسلامي والتعاطف المسيحي في أهمّ قضية وحركة في الإسلام، وينتهي بهما المطاف على صعيد واحد، هو الإيمان بالحقّ والدفاع عنه، والاستجابة لنداء الرسالة الحقّة.

يقول (انطوان بارا) في كتابه: (الحسين في الفكر المسيحي): **«فالفكر المسيحي يقدّس آل البيت عليهم السلام كما يقدّسه الفكر المسلم، وفي أخذه لأيّةِ حادثة تاريخية تختص بالعالم الإسلامي الذي يعيش فيه، يهدف إلى الحِيدة، مُبتغياً الواقع، باحثاً عن المنطق والرؤية العقلانية السليمة، وهي صعوبة تتكاثف على قلمه الذي تحكم حِيدته اعتبارات كثيرة، ولا يحتمل الزلل لأقلّ هفوة، ولا يقبل منه الشطط أو التطرّف، ولا تسمح له الأدبيات الفكرية بإبداء ما يخالف الحقيقة، وما ينفر منه العقل الآخر الذي يخاطبه، وفي هذا**

(١) أُنظر: الأميني، عبد الحسين، موسوعة الغدير: ج١، ص ٣٤. (النسخة الفارسية).
(٢) الشاكري، حسين، ربع قرن مع العلّامة الأميني: ص٣٧٥.

حجّة، وللحجّة سبب، بل جملة أسباب، منها: أنّ الفكر المسيحي العربي يستمدّ تراثه من التراث العربي الإسلامي، ويتعرّض لنفس التيارات الفكرية والروحية التي يتعرّض لها... ويعي كلّ حادثة تاريخية نتيجة تشرّبه لها في المدرسة، أو زيارته لأماكنها، أو لاتصال ظواهرها به...»[1].

مطلع الملحمة

افتتح الشاعر ملحمته بقصيدة وجدانية بعنوان: (صلاة)، يبتهل فيها إلى الله أن يمدّه بالقوة والعزيمة والإلهام من أجل عليّ عليه السلام، أمير البيان، وزين العصور، وليث الحجاز، مع دعائه لنفسه بالشفاء من المرض العضال الذي رافقه، والشكوى من الألم العنود، عسى أن يكون ذلك تطهيراً لنفسه من الضلالة، فيقول فيها:

يا مليك الحياة أنـزل عليّا ... عزمة منك تبعث الصخر حيّا
جود كفّيك إن تشأ يملأ العيـ ... ـش نـماءً ويفرش الجـدب فيّا
يوقظ الـوردَ فالـربيع على الـ ... ـتّلِّ ضحوكُ الألـوان طلق المحيّا
كـلّـما افـترّ بـرعـم داعبته ... كـفُّ ريـحٍ تقول للطيب هيّا
واهب النور والندى للروابي ... أولني من جمـال وجهك شيّا
طال في منقع العذاب مقامي ... واسـتراح الشقاء في مقلتيّا
فنسيت النهار من طول ليلي ... أتـرى الليل شرعـك الأبديّا؟
ليتنـي أبصـر النجـوم فأهدي ... في العشيّات بسمة للثريّا
إنّ حظّـي مـن الحيـاة سريـر ... صار منّي فلم يعد خشبيّا[2]
كلّ هذي الدنيا الطليقة أضحت ... ويحَ حظي أضحت حراماً عليّا
يـا إلهـي سـدّد خطاي فـإني ... قـد تمـرّسـت بالضلالة غيّا

(١) انطوان بارا، الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي: ص٢٥ـ ٢٦.
(٢) يشير الشاعر المقعد الجريح إلى مرضه المزمن الذي ألزمه السرير، فسمّره على وسادة الألم منذ سنين.

بالعذاب الأمـرّ طهّر فؤادي ... فيعود الصلصال درّاً مُضيّا
منشئ القطر من أُجاج كريهٍ ... ومحـيـل الخـضـم طـلّاً مـريّـا
عن مهاوي الآثام نزّه جَناني ... وعــن المـين والهــوى شفتيّا
في سبيل الكمال أجرِ يراعي ... ملهم الـبـثّ فيصلاً عربيّا
فأصوغ الألفاظ أقـمار وردٍ ... خالعاً فوقها الصباح النديّا
وإذا آذن الـبـيـان بحربٍ ... ألهب الطرس مرقمي والرويّا
أين منّي الشباب يوم خيالي ... يرتقي سـدّة السنى عبقريّا
فيه مـن رفّـة الجـنـاح دويّ ... وتـكـاد السهى تـردُّ الـدويّـا
هات يا شعر من عيونك واهتف ... باسم من أشبع السباسب ريّا
باسم زين العصور بعد نبيٍّ ... نـوّر الشـرق كوكباً هاشميّاً
باسم ليث الحجاز نسـر البوادي ... خير من هزّ في الوغى سمهريّا
خير من جلّل الميادين غاراً ... وانـطـوى زاهــداً ومـات أبيّاً
كان ربّ الكلام من بعد طه ... وأخـــاه وصـهـره والـوصـيّـا
بطل السيف والتقى والسجايا ... مـا رأت مثله الـرمـاح كميّا
يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي ... واخشعي أنّني أردت عليّا[1]

عناوين ومحطّات الملحمة

تناولت ملحمة عيد الغدير أهم نواحي التاريخ الإسلامي، من العصر الجاهلي إلى نهاية مأساة كربلاء، بل نهاية الحكم الأُموي، وتضم المحطّات التاريخية التالية:

١ـ الجاهلية، وأُرومة بني هاشم: المقاطع من ٢-٥.

٢ـ البعثة الشريفة: المقاطع من ٦- ٨.

٣ـ موقع الإمام علي عليه السلام في البعثة وبطولاته: المقاطع من ٩-٢١.

(١) بولس سلامة، عيد الغدير: ص٣٣ـ٣٤.

٤ـ عيد الغدير بشارة للمسلمين عموماً، ولآل البيت عليهم السلام على الخصوص: المقاطع ٢٢-٢٣.

٥ـ علي عليه السلام والخلفاء: المقاطع من ٢٤-٣٢.

٦ـ الحسين بن علي عليهما السلام والهجرة إلى الشهادة (واقعة كربلاء): المقاطع من ٣٣-٤٥.

وهذه العناوين تتلاحق في تسلسل متناسق متتابع، يمثل تتابع أحداث التاريخ التي مرّ بها العرب والمسلمون بأُسلوب شاعري يأخذ بالألباب.

وإليك بيان هذه العناوين باختصار:

١ـ الجاهلية

جاهلية ما قبل الإسلام، كان أهلها يحيون شريعة الغاب والصحراء، فهم ما بين من يعبدون الحجر، ويشربون الخمر، ويتنافسون على الربح الحرام، ويئدون البنات، وغيرها من الموبقات والقبائح، فأيّ زمان هذا الذي يعيشون فيه:

كان في ذلك الزمان القاتم ... في رمال الحجاز شعب عارم
راح في لجّة الضلالة يهوي ... ليس يدري أيّ الفعال مآثم
وتراهم من سورة الخمر صرعى ... عربدات فمنكرٌ وشتائم
تعبد (اللات) أو ترجّي (مناة) ... والمرابون أعبد للدراهم[1]

لكنّ قبساً يسطع في سماء هذا الظلام، فإذا هو هاشم جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن هاشم يتألّق نجم آخر هو سيدنا عبد المطلب عليه السلام:

هاشم يرفد الحجيج ويهدي ... فضلة الرزق للنسور القشاعم
حمل المجد صيته فتمشّى ... مشية العطر في رفيف النياسم
شيبة الحمد في جبينك نور ... شيّب المفرق الدجيّ الباسم[1]

(١) المصدر السابق: ٣٥ ـ ٣٦ (بتصرّف).

ويتوقّف الشاعر عند أبي طالب عليه السلام الذي كفل النبي صلى الله عليه وآله، ورعى طفولته، ودافع عن رسالته، وفداه بنفسه وولده:

يا أبا طالب فدتك السجايا ... من مجيرٍ سمح الجنان نصورِ[٢]

٢ـ البعثة النبويّة الشريفة

وُلد النور يتيماً ليشعّ في آمال الناس وأحلام الأُمم، فتتساقط لمولده الأصنام، وترتجّ العروش، وتخمد النيران:

مبسمٌ من لآلئ الفجرِ أنقى ... وجبينٌ كالنجمة الـغـرّاءِ[٣]

ويبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله الأربعين، ويتلّقى كلمات السماء يحملها إليه أمين الوحي جبرئيل عليه السلام:

قـال جـبريـل يـا محـمّـد كبر ... باسم ربٍّ ملء الوجود قديرِ

صفحة الكون بدّلت في ثوانٍ ... بـين مـرآتهـا ضمير الـدهـورِ

فـإذا أحمـد العظيم نبيّ ... والمجيد القرآن حلم العصورِ[٤]

٣ـ موقع الإمام علي عليه السلام في البعثة

ثمّ تبدأ شخصية علي عليه السلام التي هي محور الملحمة بالظهور، لتكون رمزاً للبطولات والأمجاد الإنسانية، لقد وُلد علي عليه السلام في أطهر بقعة في العالم، في الكعبة الشريفة، في بيت الله العتيق المعظّم.

واستفاق الحَمام يسجع سجعاً ... فـتـهـشّ الأركـــان للتغريدِ

هالت الأُمّ صرخةٌ جال فيها ... بعض شيءٍ من همهمات الأُسودِ

(١) المصدر السابق: ص ٤٠ـ٤٣ (بتصرّف).

(٢) المصدر السابق: ص٥١.

(٣) المصدر السابق: ص٤٧.

(٤) المصدر السابق: ص٥٥.

دعت الشبل (حيدراً) وتمنّت ... وأكبّت على الرجاء المديدِ
بل (علياً) ندعوه قال أبوه ... فاستفزّ السماء للتأكيدِ
ذلك اسم تناقلته الفيافي ... ورواه الجلمود للجلمودِ
يهرم الدهر وهو كالصبح باقٍ ... كلّ يوم يأتي بفجر جديدِ[1]

ثمّ كانت الهجرة، هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهاجر بعده علي عليه السلام وحيداً بعد أن تحدّى كبرياء قريش، وأذل جبروتها.

ثمّ تتوالى الأحداث، والمعارك تترى، وتدور الحروب، وعلي عليه السلام قطب رحاها، يدفع عن المسلمين، وينافح عن الإسلام جور المشركين، وكيد اليهود، وغدر الأعراب، ودسائس المنافقين، فإذا هو بطل المسلمين وسيدهم، يثلج قلب الرسول صلى الله عليه وآله ببطولاته وتضحياته، وعلمه وحكمته وتدبيره.

٤ـ الغدير

سجّل الشاعر يوم الغدير بأروع قصائد الملحمة فنّاً ومعنىً وعمقاً، سجّل خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله، خطاب الوداع في حجّة البلاغ، ودعوته إلى سماع البلاغ الأخير، تذكير، وبشارة، ووداع حزين، ونعى إليهم نفسه المقدّسة، ونصب لهم عليّاً إماماً وخليفة، وأخذ عليهم العهود والمواثيق، والبيعة في ذلك اليوم الأغرّ، فانكبّوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى علي عليه السلام بأيديهم.

وكان أوّل من صافق رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، ثمّ باقي الناس على طبقاتهم، ومقدار منازلهم، إلى أن صُلّيت الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء في وقت واحد، ولم يزالوا يواصلون البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول الله صلى الله عليه وآله كلّما بايعه فوج بعد فوج، يقول: «**الحمد لله الذي فضّلنا على**

(١) المصدر السابق: ص٥٧(بتصرّف).

جميع العالمين»، ولما فرغ الناس من التهنئة، أمر رسول اللهﷺ أُمّهات المؤمنين بأن يسرنَ إليه ويهنّئنه، ففعلنَ[1].

عاد من حجّة الـوداع الخطيرِ ... ولفيف الحجيج مـوج بحورِ
لجّـةٌ خلف لجّـةٍ كانتشار الـ ... ـغيم صبحاً في الفدفد المغمورِ
فـكـأنّ النبيّ يرفع بند الـ ... ـعزّ عـيـداً للقائد المنصورِ
أنـزل الله آية عقب ذلك الـ ... ـيـوم خـتـماً لـديـنـه المـبرورِ
كان وهج الشـروق يوم حراء ... وجـلال المغيب يوم الغديرِ[2]

واستجاب النبيّﷺ لنداء ربّه، فرحل إليه، ومرّ هذا اليوم كأسوء يوم مرّ على تاريخ البشرية، وشهدت المدينة أسوء فاجعة في تاريخها، واجتمع القوم يمهّدون الطريق لانتزاع الحقّ من صاحبه، ويصبر الإمامعليه السلام على مضض؛ خوفاً على الإسلام، وحرصاً على المسلمين، وسجّل الشاعر مشاهد خالدة لرحيل النبيّﷺ:

وأحسّت جزيرة العرب أنّ الـ ... ـبدر يمشي في جوّها مشلولا
شاحب اللون كالعليل براه الـ ... ـدّاء بـريـاً فـردّه مهـزولا
رجّـةٌ هزّت الحجاز وماد الـ ... ـقِطر منها شـوامخاً وسهولا
كلّ حيّ سوى المهيمن فانٍ ... سـنّـة الله لـن تـرى تبديلا
يا دموعاً من الدماء تلظّت ... وتهامت على الخـدود شعيلا
مـات مـا بـين فـاطـم وعـليٍّ ... يا لقطبين يشهدان الأُفـولا[3]

(١) أُنظر: النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص١٠٩. كتاب الولاية، محمد بن جرير الطبري، بإسناده إلى زيد بن أرقم، نقله عنه في الصراط المستقيم للعاملي: ج١، ص٣٠١. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١، ص٥٠٨. وغيرها كثير.
(٢) بولس سلامة، عيد الغدير: ص١٢٥ـ١٣٢ (بتصرّف).
(٣) المصدر السابق: ص١٣٦.

٥ـ الإمام والخلفاء الثلاثة

بعد أن أعرض المجتمع عن عليّ عليه السلام الخليفة والإمام، وتركوا وصية النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير وراء ظهورهم، ومضى الأوّل لسبيله بعد أن أدلى بها إلى صاحبه بعد وفاته، فمني الناس فيها بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، صبر الإمام عليه السلام على طول المدّة، وشدّة المحنة. وها هو عثمان يتربّع على عرش الخلافة الثالثة، وفشا في عهده تبذير المال بين أفراد بني عمومته، فقاموا يخضمون مال الله تعالى خضم الإبل نبتة الربيع، وما أسرع ما أُطيح بالخليفة الضعيف، وهتفت الجماهير باسم عليّ عليه السلام، وبُويع على رؤوس الأشهاد، فسار بهم بالعدل والزهد والمساواة.

أمّا الناس فقد ألفوا ما ألقاه إليهم عثمان من حبّ الدنيا، فلم تعجب الكثير منهم سياسة الإمام عليه السلام، فأثاروا الفتن، وتوالت الحروب ضدّ إصلاحات الإمام عليه السلام وعدله ومنهجه، فنكثت طائفة، ومَرَقَت أُخرى، وفسقت شِرذمة، وقسط آخرون.

ويختم (سلامة) هذا الفصل بالمشهد البطولي الحزين، يوم سقط الإمام عليه السلام شهيداً في محراب صلاته في مسجد الكوفة، بسيف النفاق والتكفير المزيّف، والحقد الأُموي الدفين، فقد قُدّر للإمام عليه السلام أن يُولد في بيت الله، ويختم حياته المليئة بالجهاد شهيداً، وأباً للشهداء، في بيت الله تعالى أيضاً، وبكى الشاعر الحزين لهذه النهاية الدامية، ولهذه المسيرة المثالية الخارقة:

يا صلاة الختام في المسجد المحـ ـزون طيري إلى السماء ضراما
وأعـدّي لـه المكـان رفيعاً وافـرشي الـورد حوله أكواما
لم ينل في الحياة إلّا عذاباً فـاملـئيـه هـنـاءة وسـلامـا
مسجد كان مهده يوم جاء الـ ـكون فاستقبل الحطيم إماما
لاح في مكّة هـلالاً وليداً وهوى في العراق بدراً تماما[1]

(١) المصدر السابق: ص ١٩٦ (بتصرّف).

كما أنّه تابع هذه المسيرة بقصائد تناول فيها بطولات الإمام عليه السلام وتقواه وكرمه وأخلاقه وسياسته، وهجا أعداءه من بني أُميّة، وجميع المناوئين له من الناكثين، والمارقين، والقاسطين.

٦ ـ الحسين عليه السلام من الهجرة إلى الشهادة

هذا هو الفصل الأخير من ملحمة الغدير الخالدة، وهو ملحمة كربلاء العظيمة، وتبدأ من حين خلا الجو لمعاوية، الذي عمد إلى أقذر الوسائل في الفتك بأهل البيت عليهم السلام وصحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، وتبعه يزيد ابنه على نهجه الشاذ، وبدأت نهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ لتصحيح مسار الدين الذي حُرّف على يد الأُمويين، طلباً للإصلاح في أُمّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

تناول الشاعر هذه النهضة المباركة منذ هجرة الحسين عليه السلام إلى الشهادة، وأحداث الطريق، وحوادث كربلاء، ومأساة الأسر، وما تعرّضت له أُسرة النبيّ صلى الله عليه وآله آنذاك، وبخاصّة شيخ بني هاشم وسيّدهم الإمام السجاد عليه السلام، وعقيلة الطالبيين سيدة الطف زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

بعد أن تحوّلت الخلافة الإسلامية إلى ملكٍ عضوض تتوارثه علوج أُميّة، وكان (بولس سلامة) يدعوهم في قصائده «بعصبة الشر»، و«أبناء الثعابين»، و«أبناء هند»، فيقول:

عصبة الشرِّ بتّم سبّة الأز ... مان ما دامت السماء سماءَ
أنتم الخسّة التي تطلع الأ ... قذار منها فتستحيل وباءَ
لست أهجوكم فإنّ سهام النّ ... قد تجري فتجرح الوجهاءَ
وأراكم قذارةً في يراعي ... فأنا عنكم أُجلُّ الهجاءَ[1]

نعم، تحرّك الحسين السبط عليه السلام لإحياء الدين الذي أماته معاوية، وإحياء إرادة الأُمّة

(١) المصدر السابق: ص ٢٩٣.

التي أجهز عليها الطغاة بعد أن أباحوا كرامتها، وانتهكوا حرمة كتاب الله، وحرمة سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وأحيوا البدع، فأراد الإمام عليه السلام أن يُحيي السنة التي أماتها الأُميون، فكانت ملحمة كربلاء عظيمة تضاهي ملاحم الأب العظيم، فاستشهد أصحاب الحسين عليه السلام، وكلّ واحد يسجّل بطولة خارقة قبل مصرعه، وجلجلت نخوة النبوّة في صدر سيد الشهداء عليه السلام، فقاتلهم بنفسه، وبالقلّة من أهل بيته وأصحابه، بكلّ عزّة وإباء وكبرياء، وعرّض نساءه للسبي والذل؛ ليُعيد للأُمّة كرامتها وعزّتها ودينها، وليبقى دمه الطاهر محرّكاً ومنوّراً ودافعاً ومنقياً على مرّ التاريخ، ولكلّ الأجيال.

بدأت (الملحمة) في هذا المحور من يوم اعتلى يزيد الفاسق عرش الخلافة في الشام خلفاً لأبيه الطليق، وافتتح سلطانه بالسكر، والفسق، وملاعبة القردة والكلاب، والاستخفاف بالدين، وعزل الصالحين...

يقول بولس سلامة:

رافع الصوت داعياً للفلاحِ ... اخفض الصوت في أذان الصباحِ
وترفّق بصاحب العرش مشغو ... لاً عن الله بالقيان الملاحِ
ألف الله أكبر لا تساوي ... بين كفّي يزيد نهلة راحِ[1]

وأهمّ المفاصل والمحطّات في هذا الجزء من الملحمة: (الحسين عليه السلام والشهادة)، المحطّات الخالدة التي يصوّر فيها الشاعر مراحل النهضة الحسينية:

١ـ هجرة الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة

أ ـ سار الإمام الحسين عليه السلام ثائراً رافضاً حكم يزيد، فغادر مدينة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله في هجرة تاريخية تستهدف تعرية النظام الفاسد، وتصحيح المسيرة الإسلامية، وإرجاع الأُمّة إلى سابق عهدها بالإسلام الأصيل.

من هنا مرّ أحمد وعليٌّ ... بعده والرمال تشوي الساقا

(١) المصدر السابق: ص٢١٧.

هاجت الذكريات عين حسينٍ ... فـتـلـظّـى إنـسـانهـا بـرّاقـا
شام وجه السماء يقطر نوراً ... مفعم السكب هاطلاً غَيداقا
لاح فـيـه محـمـدٌ وعـلـيٌّ ... وكـأنّ الـنـبـيّ حـثّ الـبراقـا
وتـنـادت الله أكـبر تلك الـ ... ـبيد هـذا مثلّث يتلاقى[1]

ب ـ مكّة المكرّمة محطّته الأُولى، حلّ فيها مقيماً ستّة أشهر، فانهالت عليه رسائل أهل الكوفة، تطلب منه أن يغذّ السير إليها من أجل القيام معه، والثورة ضدّ الحكم الأُموي الغاشم:

كتبوا للحسين أقـدم علينا ... إنّ حكمَ النعمان مـرٌّ مذاقا
يابن بنت الرسول أقدم وفي صحـ ... ـبك تمشي ملائك أجواقا
وأغـثـنـا فـإنّ جـور يزيد ... بـثّ فينا الشقاء والإمـلاقـا
إن تجـئـنـا فـإنّـنـا لـيـزيـد ... قـد شحذنا المـهـنّـد الفلّاقا
حنّ ماء الفرات يابن رسول الـ ... ـله شوقاً، هلّا تُغيث العراقا![2]

٢ ـ رحلة سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة

يصف (بولس سلامة) رحلة مسلم بن عقيل عليه السلام المريرة الشاقة التي اخترقت الصحراء مع دليلين قد هلكا عطشاً، يقول:

فغدا مسلم شريـداً وحيداً ... تائه الـلّـبّ جاحظ النظراتِ
تحصب الريح وجهه، فأديم الـ ... ـأرض نار صخرية الجمراتِ[3]

ولكنّه يصل بعد معاناة مريرة، وينجح في تعبئة الرأي العام للثورة، ولكنّ الكوفة سرعان ما غدرت، وتراجع أنصار مسلم، ليتركوه وحيداً، يواجه مصيره وحده،

(١) المصدر السابق: ص٢٢٥ـ٢٢٦(بتصرّف).
(٢) المصدر السابق: ص٢٢٨(بتصرّف).
(٣) المصدر السابق: ص٢٣٠.

وصمد السفير الأمين المغوار، ولم يبدِ ضعفاً أو تراجعاً عن مواقفه البطولية:

أسند الليث رأسه لجدارٍ ... مسبلاً جفنه على تسكابِ
أو تبكي؟ قالوا له وسخيّ الـ ... ـدمع وقف على ذوات النقابِ
أو أنت الصنديد تدمع عيناً؟ ... ولعيناك من نسور صلابِ
قال إنّي بكيت سبط رسول الـ ... ـله يأتي وفي يديه جوابي
مطمئناً لعهد من غدروني ... لم يحذّر من غدرة وارتيابِ
فأكون الذي قتلتُ حسيناً ... ساطراً حكم موته في كتابي
مَن يقل للحسين عنّي ألا ارجع ... أقفر الغاب من أُسود الغابِ
ليس فيها سوى الثعالب والحيّـ ... ـات همّت بلسعةٍ وانسيابِ[1]

واقتيد ابن عقيل بجراحه بعد أن وقع فريسة الغدر والدهاء، ولم يُنجِه قتاله، إلى قصر ابن سمية الوالي الأُموي الذي أمر بضرب عنقه، ورميه من أعلى القصر، وأبرق برأسه الشريف إلى يزيد كما هي عادة الأُمويين، يقول سلامة:

كُبِّل الليث بالحديد وقادو ... ه إلى السطح ذاهلاً وسنانا
وأطاح البتّار رأس هصورٍ ... شرّف السيفَ زندُه والسنانا
ورموه إلى الجماهير إرهاباً ... ففرّت كما تفرّ السمانى[2]

٣ـ وقفة الحسين عليه السلام بكربلاء

ويخرج الحسين السبط عليه السلام في (٨ ذي الحجة/ سنة ٦٠هـ) من مكّة المكرّمة، متّجهاً إلى الكوفة، استجابةً لصرخات أهله. ويدخل الشاعر في غمار الأحداث، ويرافق ذلك الركب الملائكي في وسط الصحراء، وكانت الأنباء تتوالى على سيّد العترة عليه السلام بأخبار الكوفة، وغدر أهلها وتخاذلهم، والإمام عليه السلام كان قد بيّن لأهل بيته وأصحابه

(١) المصدر السابق: ص٢٤٤(بتصرّف).
(٢) المصدر السابق: ص٢٥٣.

حقيقة الأمر، فقال عليه السلام: «مَن لحق بي منكم استُشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح، والسلام»[1]:

سوف تبكي على الحسين البواكي ... ويرى كلّ محجر شلّالا
ليت شعري لِمَ البكاء؟ وذاك الـ ... ـيوم عيد يشرّف الأجيالا
مأتم القاتلين! لا مأتم القتـ ... ـلى يسيرون للخلود عجالى[2]

وتدخل الملحمة فصلاً أكثر إثارة، وذلك بوصول الحسين عليه السلام مع أهل بيته وقلّة من أصحابه أرض كربلاء، قريباً من نهر الفرات، وهناك سجّل التاريخ ما لم يعرفه على طول مداه من وقفة للحقّ الذي سطع على أرض كربلاء، فإذا الحسين يقدّم القرابين تِلو القرابين على مذبح العزّة، والكرامة الأبدية، والإسلام العزيز، وهو يحمل (روح أبيه بين جنبيه)، ويحمل (نخوة النبوّة)، و(الشمم الهاشمي)، حتى أوقعوا به، وانبرى الطغاة يمثّلون بجسده المقدّس، وينهبون رحله، ويُحمل رأسه إلى الخليع البغيّ يزيد، كما حُمل من قبلُ رأسُ (يحيى بن زكريا) إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل:

قال ما هذه البقاع فقالوا ... كربلاء فقال لا كنتِ دارا
ها هنا يشرب الثرى من دمانا ... ويثير الجماد دمع العذارى
بالمصير المحتوم أنبأني جدّي ... وهيهات أدفع الأقدارا
إن خلَت هذه البقاع من الأز ... هار تصبح قبورنا أزهارا
أو نجوماً على الصعيد تهاوت ... في الدياجير تطلع الأنوارا
وتوالت جحافل ابن زيادٍ ... دفقة النهر طاغياً هدّارا
وأحاطوا بحفنةٍ من رجالٍ ... ونساءٍ مروّعات حيارى[3]

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤١.
(٢) بولس سلامة، عيد الغدير: ص٢٥٩.
(٣) المصدر السابق: ص٢٦٢ـ٢٦٤ (بتصرّف).

ووقف الإمام الحسين عليه السلام خطيباً أمام الألوف يحذّرهم ممّا هم مقدمون عليه من العدوان؛ كما ذكّرهم بمنزلته، وأنّه سبط النبيّ صلى الله عليه وآله، ونجل الوصي عليه السلام، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وحفيد خديجة الكبرى:

وقف الظامئ الحسين ونادى ... يا جنود العراق عُو كلماتي
أو ليس الرسول جدّي وأُمّي ... خير بنتٍ وأطهر الزوجاتِ
واسمها يُمن كلّ فاطمة في الأر ... ض تأتي في الأعصر المقبلاتِ
أُمّها جدّتي خديجة كانت ... وردة المشرقين في السيداتِ
أو ليس الضرغام حمزة عمّي ... أسد الله كاشف الكرباتِ
أو ليس الشهيد جعفر عمّي ... لقّن الدهر آيةً في الثباتِ
أو لستُ الحسين نجل عليٍّ ... وعليٌّ أُنشودةٌ للحداةِ[1]

ولقد أبدع (بولس سلامة) في ترجمة نصّ الخطاب الحسيني الخالد إلى مفردات شعرية وصورة جميلة أخّاذة:

ثمّ سلّ الحسين سيفاً عجيباً ... عرفوه لما به من شياتِ
قال هذا الحسام سيف رسول الـ ... ـلّه إرثي إن تنكروا حرماتي
وأراهم عمامة عرفوها ... تزدهي فوق أشرف الهاماتِ
هالة دون قدرها تاج كسرى ... وحليٌّ الملوك مجتمعاتِ
ليس غيري في الأرض سبط نبيٍّ ... فلماذا تطفون نور الهداةِ
كذّبوني إذا قدرتم فنور الـ ... ـشّمس دون الوضّاء من بيّناتي
فأجابوا جميعهم قلتَ حقّاً ... أنتَ ما قلتَ من عُلى وصفات[2]

وفي يوم هو أطول يوم في تاريخ البشرية، وفي صبيحة ذلك اليوم الرهيب، يوم عاشوراء، وقعت الملحمة الكبرى، وانهمرت سهام الحقد والكفر كالمطر اتجاه الحرم

(١) المصدر السابق: ص٢٦٩ – ٢٧٠ (بتصرّف).
(٢) المصدر السابق: ص٢٧١ (بتصرّف).

النبوي، فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: «**قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم**»[1]، وهَبّت الأُسود إلى أمانيها، بعد أن لبست القلوب على الدروع:

يا رجال الحسين قال حسين ... ظمئ السيف فامحضوه الشرابا
لا تهينوه بالأطاريف يبريـ ... ـها فعهدي به يحبّ الرقابا[2]

وبعد أن تدافع أهل بيت الحسين وصحبه عليهم السلام إلى ساحات الموت يخوضون غمراتها بعزة وكبرياء، عاصين على الظلم والضيم، في معركة غير متكافئة بكلّ المقاييس، وهم لا يأملون نصراً ولا مدداً:

ثبتوا في العراك لا يأملون النّصر لكن ضحيةً وافتداءَ
علّموا الدهر بعدهم كيف تفنى ... أُخوة تشرب الردى بُسلاءَ
سطّروا بالدماء صفحة مجدٍ ... غمروها محبّة وإخاءَ[3]

وبعد أن استُشهد الأبرار من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ومعهم أصحابهم الذين لا مثيل لهم على وجه الأرض، وقف الحسين السبط عليه السلام مفرداً بين أعداء يحملون قلوب الذئاب:

أصبح السبط مفرداً بين أموا ... ت وكانوا غصونه الخضراءَ
دوحة في العراء تلفحها الرمـ ... ـضاء والريح صرصراً نكباءَ
نظر السبط للخيام طويلاً ... مستميتاً يودّع الأحياءَ
هاجموه، فقبّل السيف إجلا ... لاً لذكرى أشاوس عظماءَ
ذكر الجدّ والأبَ الفارس المغـ ... ـوار فاهتزّ سيفه كبرياءَ
قال يا ذا الفقار أيّد يميناً ... لم تعوّد إلّا العُلى والسخاءَ

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٠.
(٢) عيد الغدير: ص ٢٧٧.
(٣) المصدر السابق: ص ٢٨٤.

تتغنّى بهـا الحـداة افتخاراً ... فـتـورّي سيوفهم والحـداءَ
لم يشاهد مثلُ الحسين شجاعاً ... وصـبـوراً يغالب الأسـواءَ
ظامئاً ثـاكـلاً لهيفاً جريحاً ... في عـدوٍّ يـكـاثـر الـدأمـاءَ
صفوة الأكرمين في كلّ عصرٍ ... ضـمـروا في ديـارهـم غـربـاءَ
فالجماهير تخنق العبقري الـ ... ـحرّ خنقاً وتعبد الغوغاءَ

وقف الحسين يسطّر أروع ملحمة في القتال والاستبسال والإقدام، ولم يثبت له أحد من أُولئك الأوغاد، بل كانوا يفرّون منه فرار المعزى إذا شدّ بها الذئب.

وهناك هوى الحسين عليه السلام فوق الرمال وكانت عشرات الجراح تنزف دماً عبيطاً:

مالت الدوحة الرفيعة فانها ... رت قواها وهـزّت البيداءَ[1]

الحسين ينوء بنفسه..الروح العظيمة تتسرب من أفواه الجراح.. تغوص في الرمال.. تبثّها أسرار السماء والأرض.. توقظ فيها مدناً نائمة إلى آخر الدهر.. والقبائل مفتونة تدور حول آخر الأسباط، وقد زُلزلت الأرض زلزالها.

وحانت لحظة رهيبة عندما صعد الشمر الذي يجسّد انحطاط الإنسان ومسخه، وتحوّله إلى ما هو أسوأ من الخنزير.. أجل صعد الشمر وارتقى صدر سيد الأحرار الحسين عليه السلام، ليحزّ نحراً طالما كان يقبّله رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعانقه أُمّه فاطمة سيدة النساء عليها السلام:

وانبرى الشمر يذبح السبط ذبحاً ... ليـت كـانـت يمينه شـلّاءَ
فصل الرأس عن قتيل شهيدٍ ... فعن الشمس قد أزال الضياءَ[2]

ويبكي الشاعر الملحمي وينتحب، والأبيات الأخيرة من ملحمته تظهر منقوعة بالدموع، مضمّخة بدماء الشهيد.

(١) المصدر السابق: ص٢٩٠.
(٢) المصدر السابق.

أوطأوا الخيل ظهره فاستعاذ الـــصّلب وانقضّـــت الحنايـــا التـــواءَ
أنِعال الأفراس داست حسيناً؟ يابن سعدٍ هلّا قضيت حياءَ![1]

٤ـ عقيلة الهاشميين

يقف الشاعر (بولس سلامة) بكلّ خشوع وإجلال أمام بطولة سيدة الطف زينب العقيلة عليها السلام أُخت الحسين عليه السلام، رمز الصبر، وهي تحمل ما لا يطاق من الأهوال، نعم، بصبر أبيها وإبائه، وتسليم جدّها المصطفى صلى الله عليه وآله وقدسه، وشموخ أُمّها وبصيرتها ووقارها، تقدّمت نحو الجسد المقدّس المبضّع، ورمقت ببصرها نحو السماء مخاطبة الحبيب: «**اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان**»[2]:

زينب الطهر والبهاء أفاض الـ ـله فيها من السماء البهاءَ
إيهٍ أُخت الحسين بنت عليٍّ حُمّلت ما يزلزل البطحاءَ
أقسم الدهر أن ينالك بالأر زاء حتى يستنفد الأرزاءَ
نال قلب الزهراء منه كلومٌ وهو ما انفك يجرح الزهراءَ
فاصبري فالحياة دار عذابٍ حسبك الخلد جنّة فيحاءَ
كلّ أيّامها ربيعٌ مقيمٌ يكسف القيظ بهجُهُ والشتاءَ[3]

ويصف الشاعر المشهد الأخير من تلك المأساة:

يا ضياء الغروب في كربلاءَ دونك الشمس في الغروب ضياءَ
كيف باتت والكوكب الضخم يهوي مثلما تسقط الجبال انكفاءَ
صُبغ النهر أحمراً وتدلّت شجرات تكاد تلقي الرثاءَ
أرسل العندليب شجو جريحٍ واستحرّت فيه الدموع دماءَ

(١) المصدر السابق: ص٢٩١(بتصرّف).
(٢)القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٠١.
(٣) بولس سلامة، عيد الغدير: ص٢٩٢(بتصرّف).

وهـو لو تعلم الغصون نواح بثّ فيه الأسى بعاشوراءَ[1]

وتكاد تحسّ بأنّ الشاعر يقف على جسد الحسين عليه السلام، ويرثيه باكياً، ويتغنّى بمجده، وصبره، وبسالته، وصموده، ومصائبه:

يابن بنت الرسول حسبك فخراً أنّـك السبط شرّف الشهداءَ
دمك السمح يا حسين ضياءٌ في الدياجير يلهم الشعراءَ
أيّ فضل لشاعر منك يعتا م الـلّآلي يـصـوغ منها رثـاءَ
شاعرٌ مُقعَدٌ جريحٌ مهيضٌ كـلّ أيّـامـه غـدت كـربـلاءَ[2]

ثمّ يصف الأجواء الكئيبة التي خيّمت على أرض وسماء كربلاء بقوله:

أقفرت كربلاء إلّا من القتـ ـلى ومـن غيمة بلون الحـدادِ
تنشـر الظلّ فوقهم وتقِيهم منسـرَ الطير أو ذئاب البوادي[3]

ويصف الشاعر منظر رأس الشهيد سيد الشهداء عليه السلام على رمحٍ طويل، يُطاف به في بلدان العراق والشام، وهو يتلو آياتٍ من الذكر الحكيم، مشهد جرّح العيون، وأسبل الدموع، وأذلّ العزيز، وحطّم القلوب:

طِيف بالهامةِ الشريفةِ فـوق الـرّمح معروضة على كـلّ رامق
رفعوها على القناة وراح الـ ـجند من خلفها يسير فيالق
مشـهد آلـم الـعـيـون وذرّ الـنّـار فيها فـالـدمـع جمـر حـارق
مشهد جرّح النواظر والأجـ ـفان لا تحضن الدخان الخانق
مشهد آلم الصخور فما أحـ ـراه أن يشتوي قلوب العواتق
يا سماء العراق أين صراخُ الـ ـعدل يستمطر النجوم حرائق[4]

(١) المصدر السابق: ص٢٩٣ـ٢٩٤ (بتصرّف).
(٢) المصدر السابق: ص٢٩٤ (بتصرّف).
(٣) المصدر السابق: ص٢٩٦.
(٤) المصدر السابق: ص٣٠٣ـ٣٠٤ (بتصرّف).

ويستحيل رأس سيد الشهداءعليه السلام إلى رمز للثورة على كلّ أشكال الظلم والاستبداد والطغيان في كلّ زمان ومكان:

أيّها الـرأس طبت حيّاً وميتاً ... وألفت العُلى ورمـت الشواهق
كنت رأس الأُباة حيّاً ورمت الـ ... ـمجد ميتاً فصـرت رأس البارق
فـجـلاك المـمات بند خلود ... وروتــك الـدهـور سفر حقائق
شيمة المصلحين يمشون في الدنـ ... ـيا على شفرة الحسام الفالق
فـإذا يتركونها يـتركـون الـ ... ـكون روضاً بالخير والفوح عابق[1]

خاتمة الملحمة

ومرّة أُخرى يعود الشاعر ليكمل شكواه من مرضه، ويصف صبره الذي تأسّى فيه بالإمام عليعليه السلام الذي تعرّض للظلم من بني أُميّة هو وأُسرته، ويفخر بحبّه للإمامعليه السلام، وبشاعريته الفذّة، وينسب هذه العبقرية الشعرية إلى الإمام عليعليه السلام؛ لأنّه هو الذي فجّرها بمفاخره وفضائله ومظلوميته، يعود ليروي أجمل آيات العشق والفناء في أمير المؤمنينعليه السلام، وهو لا يخفي إعجابه، فيقول: «**إذا كان التشيّع حبّاً لعلي وأهل بيته المطيبين الأكرمين، وثورة على الظلم، وتوجعاً لما حلّ بالحسين، وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ، فإنّني شيعي**»[2].

يا إلـه الأكـوان أشفق عليّا ... لا تمتني غـبّ الـعـذاب شقيّا
أولني أجر عامل في صعيد الـ ... ـخير يبغي ثـوابـك الأبـديّـا
مصدر الحقّ لم أقل غير حقٍّ ... أنــت أجـريـتـه عـلـى شفتيّا
أنــت ألهمتني مـديـح عليٍّ ... فهمى رفــرف الـبـيـان عليّا
وتخـيّرت للأمير وأهـل الـ ... ـبيت قلباً آثـرتـه عيسويّا

(١) المصدر السابق: ص٣٠٤ـ٣١٠ (بتصرّف).
(٢) المصدر السابق: ص٢٨.

جلّ ربّ الوجود باري البرايا ... إن يُــرى في حـنـانـه حزبيّا
إنّـما الخلق كلّهم لعيال الـ ... ـله والشهم من يكون تقيّا
فـيـولّي عـن الـظـلام منيراً ... كـلّ مَـن راح في الظلام غويّا
تـاركـاً بعده من الخـير دنياً ... ومـن الـذكـر هيكلاً سرمديّا
هكذا كان صهر أحمد يضفي ... نبله مـلء سرحـة الـدهـر فيّا
هو فخر التاريخ لا فخر شعبٍ ... يـدّعـيـه ويـصـطـفـيـه ولـيّـا
ذكره إن عرى وُجوم الليالي ... شـقّ من فلقة الصباح نجيّا
لا تَـقُـلْ شيعةٌ هُـــواةُ عليٍّ ... إنّ في كـلّ منصفٍ شيعيّا
إنّـما الشمس للنواظر عيد ... كلّ طرف يرى الشعاع السنيّا

***

غاص نيرون في دماء النصارى ... فحباهم زرعَ الخـلـود نميّا
وأراق (العبيد) مهجة أهل الـ ... ـبيت فاستُشهد الحسين أبيّا
ومـضـى للهلاك وغـد زيـادٍ ... ولـــواء الحـسـين ظـلّ عليّا
دمه السمح جلَّل الدهر فخراً ... وجرى في العصور خصباً وريّا
كـلّـما أعـــوز المـيـامـين عـزم ... لمـسـوه فـعـاد غـضّـاً طـريّـا
من خلال التاريخ زيّفه الأعـ ... ـــداء يبقى دم الحسين زكيّا
ذاك أنّ التاريخ في قيد جورٍ ... بـات سـفـراً مـــزوّراً أمـويّـا
لا يضير الإسلام أنّي هجوت الـ ... أُمـويـين قـد وصفت الشقيّا
يـا عـليُّ الـعـصـور هـذا بياني ... صغت فيه وحي الإمـام جليّا
أنت سلسلت من جمانك للفصـ ... ـحى ونسَّقت ثوبها السحريّا
يـا أمـير الـبـيـان هـذا وفائي ... أحمـد الله أن خُـلـقـت وفـيّـا
وهو جهد المريض ليس عليه ... مـن جـنـاحٍ إن لم يـدقّ الثريّا

حطَّمتْ سورةُ العذاب يراعي ... واستباحت فمي وغَلَّت يديّا
أتـلـوّى على الجـراح صباحاً ... ويفتّ الناسورُ عظمي عشيّا
فتعجّـب لسـابح في جحيـم ... صكّه الخطب زورقـاً بشـريّا
كدت أقضـي لولا النُّهى والتأسي ... ونـعـيـم أصـوغـه وهمـيّـا
أتـأسّـى بابن البتول فيوليـ ... ـني عـزاءً وبـلـسـماً معنويّا
فاسم عيسى على الشفاه حبيب ... طاب وقعاً على القلوب نديّا
شرب الـكـأس مُـرّة وتمنّى ... مرفقاً راحمـاً ولـو صخريّا[1]
أتـأسّـى بهاجر يقطع الصحـ ... ـراء قسـراً عـن بيته منفيّا
مـا رأى في الحيـاة ظـلّ هناءٍ ... مُنذما عـاد من (حـراء) نبيّا
أتـأسّـى بـالأكـرمـين خصالاً ... لم يسيغوا في العمر شربـاً مريّا
بـالـذي باكر الـشـهـادة (بـدريّـاً) وأغلى إكليـلها (الكوفيّا)
بجراح الحسين في كـّل جرحٍ ... يجـد الـصـبر كهفه الأزلـيّـا
إنّـما الشاعر المحلّق روض ... يُـترع الأُفـق بالشذا عنبريّا
كيفما جئته نشقت عـبـيراً ... وتنسّمت حلمه السندسيّا
كلّما ازداد من سناً جني سحرٍ ... راح في بـذلـه السنا حاتميّا
يا أمير الإسـلام حسبي فخراً ... أنّـنـي منك مـالـئ أصغريّا
جلجل الحقّ في المسيحيّ حتّى ... عُـدّ مـن فـرط حـبّـه علويّا
أنا مَن يعشق البطولة والإلـ ... ـهام والعدل والخـلاق الرضيّا
فـإذا لم يـكـن عـليّ نـبـيّـاً ... فـلـقـد كـان خُـلـقـه نـبـويّـا
أنـتَ ربٌّ لـلـعـالمين إلهي ... فـأنـلـهـم حـنـانـك الأبـويّـا

(١) «ولما رأى يسوع جموعاً كثيرة أمر بالذهاب إلى العبر، فدنا إليه كاتب، وقال له: يا معلم، أتبعك إلى حيث تمضي. فقال له يسوع: إن للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكاراً، وأما ابن البشر فليس له موضع يسند إليه رأسه». (إنجيل متى، الفصل الثامن: عدد ١٨ـ٢١).

وأنلني ثـواب مـا سـطَّرت كفّـي، فهـاج الـدمـوع في مقلتـيّا
سفر خير الأنـام من بعد طه ما رأى الـكـون مثله آدميّـا
يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي واخشعي إنّني ذكرت عليّا[1]

وهكذا تنتهي هذه الملحمة العلوية الحسينية الخالدة، التي التزمت نهج الحق والعدل والأخلاق السامية، وأحالت كربلاء مأتماً للقاتلين لا مأتماً للقتلى.

ونلاحظ أنّ الشاعر قد التزم بأمرين مهمّين في هذه الملحمة، وهما:

الأوّل: الدفاع عن القيم السامية، وعن الحق الذي تمثّل بالإسلام ودعاته، ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، وانتهاءً بالحسين السبط وأبيه العظيم عليهما السلام، ومَن تابعهم على خطّهم وهداهم من أصحابهم.

ولا شك أنّ الظلم الذي حاق بهؤلاء يفوق التصوّر، والمظلومية التي عاشوها اكتسبت جلابيب القداسة والعظمة، وظلّت منارات يهتدي بها السائرون والأحرار، وبخاصّة مظلومية كربلاء الخالدة.

الثاني: هو الالتزام بالخطّ العلوي المجيد، الذي لم يستطع خصومه أن يأخذوا عليه مأخذاً، فاتهموه بالتشدّد في إحقاق الحق، أي: إنّهم شكوا كثرة فضله، فأرادوه دنيويّاً يماري ويداري، وأراد لنفسه أن يكون روحانياً رفيعاً، يستميت في سبيل العدل، فلا تأخذه في سبيل الله هوادة، وإنّما الغضبة للحقّ ثورة النفوس القدسية، التي يؤلمها أن ترى عوجاً.

(١) بولس سلامة، عيد الغدير: ص١٣١ـ٣١٧ (بتصرّف).

الدور التبليغي لأهل بيت الحسين عليه السلام في نهضة عاشوراء

علي رضا أنصاري*

ترجمة: رعد الحجاج**

مدخل

تميّزت واقعة كربلاء عن أكثر الأحداث التاريخية بأنّها بقيت خالدة مدى الدهر، وظلّت مشعلاً وهّاجاً يُنير الدرب للأجيال المتعاقبة؛ ويمكن أن نعزو بقاءها خالدةً وحيّةً في ضمير الأُمّة إلى القيم المعنوية الثرَّة التي تحلّى بها الإمام عليه السلام وأصحابه الميامين، والتوحيد الخالص وروح مقارعة الظلم، مضافاً إلى حضور النساء والأطفال ومشاركتهم مشاركة فاعلة في هذه النهضة المباركة؛ إذ كان لهذا التواجد والحضور دور مؤثِّر في إيصال الرسالة ومنع أيّ تحريف وتشويه لها؛ لأنّ الدم وحمل الرسالة يكمّلان بعضهما البعض في كلّ ثورة، فلا تقلّ قيمة حمل الرسالة عن الدم والشهادة مطلقاً.

ومن دون شكّ، لولا أُسارى كربلاء لحاول العدو محو تلك الواقعة من صفحة تاريخ المواجهة بين الحقّ والباطل بشتّى السُّبل الممكنة؛ إذ عمد ـ بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام ـ إلى إطلاق ماكنته الإعلامية، والاستفادة من الأساليب الدعائية المختلفة آنذاك؛ لتصوير أنّ سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله شخصٌ خارجيٌّ مثيرٌ للفتنة،

---

* باحث وكاتب إسلامي.

** جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، دكتوراه في الفقه المقارن.

ثمّ السعي بعد ذلك إلى إغلاق هذا الملف نهائياً، فلولا خطب أهل بيت الحسين عليه السلام وإقامتهم العزاء لَمَا سُجِّلت في التاريخ أحداث كربلاء.

وعليه؛ سنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على الدور التبليغي لأهل بيت الإمام الحسين عليه السلام، وكيف أسهم في تخليد عاشوراء، ضمن المحاور التالية:

المحور الأوّل: أساليب الأعداء الدعائية ضدّ الإمام الحسين عليه السلام

قبل الخوض في تفاصيل الدور التبليغي الذي قامت به أُسرة سيّد الشهداء عليه السلام في نهضة عاشوراء، لا بأس بالإشارة ـ ولو باختصار ـ إلى الأساليب التي اتّبعها الأعداء في الدعاية ضدّ الإمام عليه السلام، فقد شنّت السلطة الأُمويّة حرباً إعلامية واسعة النطاق على الإمام الحسين عليه السلام، وفي المقابل مارس الإمام عليه السلام التبليغ والدعوة ضدّها. نعم، فإنّ الدور التبليغي لهذه الأُسرة الطاهرة يتجلّى أكثر فأكثر عند وضوح مستوى الحرب الإعلامية والدعائية التي مارسها الأعداء.

إنّ كشف النقاب عن أساليب الأعداء الدعائية بحاجة إلى بحث الوضع السائد في المجتمع الإسلامي في عصر الإمام عليه السلام؛ لأنّ ذلك من شأنه إيضاح الأسباب المؤدِّية إلى وقوع حادثة عاشوراء، والردّ على التساؤل القائل: لماذا أقدم المسلمون على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

لا ريب في أنّ وقوع تلك الحادثة المأساوية كان نتاجاً لعوامل متعدّدة وُجِدَت تدريجياً، وبلغت ذروتها عام (٦١ هـ)، ومن المسلّم به أنّ تلك الحادثة لم تكن لتقع لو كان المسلمون قد حافظوا على القيم المعنوية الموجودة في عصر النبي الكريم صلى الله عليه وآله، ولم يحرفوا الإمامة عن مسارها الأصلي، وقد حدّثنا التاريخ أنّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله استخدم التعاليم الإسلامية الغرّاء لتأسيس مجتمع عزيز، قائم على دعامة التوحيد والتديّن، واستطاع صناعة أُمّة متحضِّرة من مجتمع بدوي؛ وفي هذا المجال قال المستشرق (ويل ديورانت: *Will Durant*): «**الذي يُسأل عنه، هو العوامل الاجتماعية والنفسانية التي أدّت إلى**

قيام هذا الدين، وإلى أيّ حدٍّ أفلح في تحويل الوحوش إلى آدميين، والهمج إلى مواطنين صالحين، والصدور الفارغة إلى قلوب عامرة بالأمل والشجاعة، وعقول مطمئنة هادئة، وما مقدار ما تركه بعد ذلك من الحرّية لتطوّر العقول البشرية»[1].

ومن المؤسف، أنّ المجتمع الإسلامي فَقَد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله القيم المعنوية، كالإيثار وغيره من المعايير، وبدأ بالانحطاط والتراجع، وإنّ من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى ذلك: تجاهل وصيّة النبي صلى الله عليه وآله بعترته، والابتعاد عن المعارف الإسلامية، وإقبال المسلمين على طلب الدنيا، فانتهكوا قدسيّة هذه العترة الطاهرة بإقصاء الإمام علي عليه السلام عن الساحة السياسية، وأطلقوا شعار: «**منّا أميرٌ، ومنكم أمير**»[2]، وسلَّموا زمام السلطة إلى مَن هم ليس بأهلٍ لها[3].

كما أنّ القبَليّة والتمييز والظلم بلغت ذروتها في عصر الخلفاء، خصوصاً أثناء خلافة عثمان، حيث اتّسعت دائرة الظلم والاضطهاد، وهُمِّشت القوانين الإسلامية، وظهرت البدع، واستأثر الخليفة لنفسه بالأموال[4]، وجعل بيت المال تحت تصرّف بني أُميّة وأصحابه وندمائه[5]. وقد ذكر المؤرِّخون وأصحاب السير الثروة الكبيرة لعثمان وأقاربه حين قُتِل[6]، ولم يقتصر الأمر على عثمان، بل أقدم عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ نظير طلحة والزبير ـ على اكتناز الأموال أيضاً[7].

وكيف كان، فقد تعرَّض المجتمع الإسلامي إلى هزّات عنيفة بفعل إقبال الصحابة

---

(١) ديورانت، ويل، قصّة الحضارة: ج١٣، ص٥٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٤٥٦. أُنظر: ابن قتيبة، عبد الله، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥.

(٣) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٢٠٥. وأيضاً: ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج٤، ص٣٠٨.

(٤) أُنظر: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٨، ص٣٨٦.

(٥) أُنظر: نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، الخطبة: ١٥.

(٦) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٣، ص٩٦. وأيضاً: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٨، ص٣٨٦.

(٧) أُنظر: المصدرين السابقين.

على الدنيا، وإعراضهم عن الآخرة[1]؛ ونتيجة لذلك، أقبل الناس على الدنيا، واضمحلّت القيم المعنوية في مجتمع مدينة النبي صلى الله عليه وآله، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، ازدادت في تلك الفترة مظاهر حبّ السلطة إلى درجة أنّ طلحة والزبير هبّا لمحاربة الإمام علي عليه السلام، وإشعال فتيل حرب الجمل؛ بسبب عدم حصولهم على الحكم في البصرة والكوفة، كما أنّ أسباب حربي صفين والنهروان تعود إلى حبّ الدنيا وطلب الرئاسة من قبل خصوم أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن العوامل الأُخرى المؤدِّية إلى انحطاط المجتمع الإسلامي، سياسة معاوية العدائية القائمة على الظلم، ومحاربة الدين، وقتل أصحاب الإمام علي عليه السلام، والحملات الإعلامية المنظَّمة على عترة النبي الكريم صلى الله عليه وآله عامّة، وعلي بن أبي طالب عليه السلام على وجه الخصوص، وطمس معالم الدين الإسلامي ومحو قيمه، والتمهيد لظهور البدع، والإصرار على تسليم مقاليد الحكم إلى ولده يزيد؛ الأمر الذي أسفر عن إساءة الظنّ بالعترة من قِبل ضعفاء النفوس.

إنّ سياسة معاوية أدّت إلى تبديل المسلمين إلى أشخاص مهادنين وانتهازيين ومنافقين، خلافاً لمنطق القرآن الكريم، وتعاليم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ وهو ما دفع بعض الناس إلى القبول بحكومة يزيد الفاسق والقاتل وغير الكفوء.

فمن دواعي الأسف، أنّ حبّ الدنيا والابتعاد عن المعارف الدينية، سيطر على حياة المسلمين في عصر الإمام الحسين عليه السلام، حتّى أنّه خاطب الأعداء يوم عاشوراء قائلاً: «**قد مُلئت بطونكم من الحرام**»[2]، وقال عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء: «**إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون**»[3].

(١) أُنظر: مطهري، مرتضى، سيري در نهج البلاغة (في رحاب نهج البلاغة): ص٢٦٠. وأيضاً: آيتي، إبراهيم، بررسي تاريخ عاشورا (دراسة تاريخ عاشوراء): ص٧١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨.

(٣) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين: ج١، ص٢٣٧. الحراني، الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول: ص١٧٤.

إنّ يزيد كان يعلم بأنّه ليس من اليسير قتل الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه كان يتمتّع بمنزلة اجتماعية وسياسية متميِّزة بين المسلمين، وكثير منهم سمع قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله فيه: «**حسينٌ منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله مَن أحبَّ حسيناً**»(١)، و«**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة**»(٢).

ولا ريب في أنّ بني أُميّة كانوا على دراية تامّة بشخصية الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذا لمّا قيل لمعاوية: اكتب إليه كتاباً تعيبه، قال: «**ما عسيتُ أن أقولَ في حسين، ولستُ أراه للعيب موضعاً**»(٣). كما أنّ المكانة الرفيعة للإمام عليه السلام هي التي فرضت على يزيد أخذ البيعة منه لإضفاء المشروعية على سلطته؛ في سبيل إخفاء وصمة التوريث عنها، والحيلولة دون اندلاع ثورات واعتراضات على حكمه لاحقاً، فبيعة الإمام له تساهم بشكل كبير في تهدئة الناس، وتثبيت حكومته، وفضلاً عن ذلك، اعتمدت السلطة الحاكمة أساليب متنوّعة ومترابطة ومكمّلة لبعضها البعض؛ من أجل ذرّ الرماد في عيون الرأي العام، ومنع الإمام من القيام بثورته، وسنشير إلى أهمّها:

١ـ الأُسلوب العقدي

لمّا كان بنو أُميّة يحكمون المسلمين باسم الدين، فإنّ بقاءهم في سدّة الحكم يتطلَّب محاربة خصومهم وإقصاءهم عن الساحة بشعارات ذات مظهر ديني، يمكن من خلالها التمويه على عامّة الناس.

ولا يخفى أنّ يزيد لا يمكن أن يقود المجتمع الإسلامي دون توفير دعامة فكرية وعقائدية، تمكّنه من توجيه عقائد الأُمّة؛ ولذا سعى إلى تبرير ما يقوم به من أعمال بطرح

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ج٢، ص١٩. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٥٩. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص٢٧٣.
(٢) ابن حجر، أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة: ج٢، ص٧١. المزي، يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ج٦، ص٤٠١.
(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٥٥.

مسألة الجبر التي سبقه أبوه معاوية إلى ابتكارها والتظاهر بها علناً[1]، فادّعى أنّ خلافة يزيد من بعده إنّما هي من القضاء الإلهي الذي لا يملك العباد معه الخيرة من أمرهم[2]، هذا من جانب. ومن جانب آخر، كان جهاز السلطة التابع ليزيد يروِّج لفكرة القضاء الإلهي، حتّى اعتُبر مذهب الجبر هو المذهب الرسمي في البلاد؛ والشواهد التالية تُثبِت أنّ العدو استخدم هذا السلاح لمحاربة الإمام عليه السلام:

أ ـ لمّا أُحضِر رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد، نظر إليه، ثمّ قال: «**أتدرون من أين أتى هذا؟ قال:** [أي: الحسين عليه السلام] **أبي عليٌّ خيرٌ من أبيه، وأُمّي فاطمة خيرٌ من أُمّه، وجدّي رسول الله خيرٌ من جدّه، وأنا خيرٌ منه وأحقُّ بهذا الأمر منه... إنّما أتى من قِبَل فقهه** [أي: الحسين عليه السلام]، **ولم يقرأ:** ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»[3].

ب ـ لما اعتُرِض على عمر بن سعد بقتل الحسين عليه السلام، قال: «**كانت أُموراً قُضيت من السماء**»[4].

ج ـ سأل عبيدُ الله بن زياد الإمامَ السجاد عليه السلام: ما اسمك؟ فقال: عليّ بن الحسين، فقال ابن زياد: أَلَم يقتل اللهُ عليَّ بن الحسين؟ فردّ عليه: «**ذاك أخي، وكان أكبر منّي، فقتلتموه**»[5].

٢ـ الأُسلوب السياسي والاجتماعي

يختار حكّام الجور الأساليب والوسائل المتناسبة مع الأوضاع الاجتماعية والثقافية

(١) أُنظر: المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٣٤٠.
(٢) أُنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٨.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٥. الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٤.
(٤) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٥، ص١٤٧.
(٥) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٣، ص١٤٣.

السائدة في المجتمعات التي يُحكِمون القبضة عليها؛ من أجل أن تكون دعاياتهم ضدّ المعارضين لهم أكثر وقعاً وتأثيراً؛ ومن هنا كان بنو أُميّة يصفون الحسين عليه السلام بأنّه خارجٌ عن الجماعة، وعاملٌ لتفريق الأُمّة، ومثيرٌ للفتنة في المجتمع الإسلامي[1]، ثمّ تشبّثوا بأحاديث لاستمالة الرأي العام، من قبيل أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «**ستكون هنات وهنات، فمَن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً مَن كان**»[2].

وعمدوا في هذا المجال إلى الاستفادة ممّن باع دينه بدنياه من الخطباء والدعاة؛ ليصوّروا للناس أنّ الأُمّة الإسلامية مجتمعة على حكم حفيد أبي سفيان، وأنّ الحفاظ على الوحدة أمرٌ ضروري، والحسين بن علي عليه السلام بصدد شقّ عصا المسلمين، وتفريق شمل هذه الأُمّة، وإثارة الفتنة فيها، وعليه؛ كانوا يقولون: من الواجب على الأُمّة إطاعة خليفة المسلمين، ومن الشواهد على ذلك:

أ ـ لمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة، اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف أين تذهب، فأبى عليهم، ومضى... فنادوه: «**يا حسين، ألَا تتّقي الله، تخرج من الجماعة وتفرِّق بين هذه الأُمّة؟**»[3].

ب ـ قال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل عندما جيء به إليه أسيراً: «**إيه يابن عقيل، أتيتَ الناس وهم جميع، فشتّت بينهم، وفرَّقت كلمتهم، وحملتَ بعضهم على بعض**»[4].

ج ـ كَتَب يزيد بن معاوية إلى ابن عبّاس يُخبره بخروج الحسين عليه السلام إلى مكّة، وممّا ورد في هذا الكتاب: «**فاكففه عن السعي في الفرقة**»[5].

وبهذا يتّضح أنّ السُّبل العقدية والسياسية مهَّدت الطريق لشعارٍ آخر استغلّته

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٩.
(٢) ابن العربي، أبو بكر، العواصم من القواصم: ص٢٣٢.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٩. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٥.
(٤) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين: ج١، ص٣٠٤. الشيخ المفيد، محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٦٢.
(٥) ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي، تذكرة الخواص: ص٢١٥.

السلطة الحاكمة، وهو عبارة عن الترويج لخروج الإمام عليه السلام من الدين وفق معايير بني أُميّة، كما يستفاد من الشواهد التالية:

قال يزيد للسيدة زينب عليها السلام في حوار دار بينهما: «**إنّما خَرَج من الدين أبوكِ وأخوكِ**»(١).

وقال عمرو بن الحجاج الزبيدي محرِّضاً أفراد الجيش على القتال: «**يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل مَن مَرَق من الدين وخالف الإمام**»(٢).

وعلى أيّ حال، فإنّ حبّ الدنيا، وغياب القيم الدينية، وابتعاد الناس عن المعنويات من جهة، ودعايات العدو المغرضة من جهة أُخرى، أفضت إلى عدم اكتراث الأُمّة بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، بل كان بعضهم يتقرَّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه، حسبما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام(٣).

المحور الثاني: أساليب التبليغ ووسائله عند أهل بيت الحسين عليه السلام

إنّ أهمّية تبليغ الدعوة ودور أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال تقتضي فتح باب الحديث ـ ولو بصورة مختصرة ـ حول تأثير التبليغ في حادثة عاشوراء، فإنّ التبليغ في الثورة الحسينية جرى على مرحلتين:

المرحلة الأُولى: تبدأ من انطلاق الثورة حتّى ظهر عاشوراء، وكان أبطال حمل الرسالة فيها هم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه البررة، وقد نجح الإمام في النهوض بأعباء تلك الرسالة الجسيمة؛ لأنّه طالما تحدَّث عن الإمام القائم بالقسط(٤)، ووصف يزيد بالفاسق

(١) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٤ـ١٩٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥٦.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧.
(٣) اُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٩٨.
(٤) اُنظر: الكوفي، أحمد بن أعثم، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٩. وأيضاً: الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٦٦.

والفاجر[١]، ودعا الجميع إلى الثورة على الخليفة الظالم[٢]، كما عدّ خلافة يزيد مساوقة لضياع الإسلام[٣]، مؤكّداً حرمة الخلافة على آل أبي سفيان[٤]. ومن جهة أُخرى، كتب إلى أهل البصرة[٥] والكوفة[٦] كُتباً يخُبرهم فيها بأهداف ثورته.

ولمّا عزم الإمام عليه السلام على التحرّك من مكّة، كتب وصيّته وأعطاها لأخيه محمد بن الحنفية[٧]، حيث كانت مكّة أنسب مكان يختاره الإمام عليه السلام لتحقيق أهداف الثورة؛ لأنّ كلّ فرد من حجّاج بيت الله الحرام يُعدّ صحفياً قادراً على نقل رسالة الإمام عليه السلام إلى جميع بقاع العالم.

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة بعد ظهر عاشوراء، وتقع المسؤولية فيها على عاتق أهل بيت الحسين عليهم السلام، خصوصاً السيّدة زينب الكبرى والإمام السجاد عليهما السلام.

ومن الأسئلة المهمّة المطروحة حول واقعة عاشوراء: لماذا قام الإمام الحسين عليه السلام باصطحاب النساء والأطفال معه إلى كربلاء، وهو يعلم أنّه إزاء حرب غير متكافئة، والنتيجة واضحة إلى حدٍّ ما سلفاً؟ ومن هنا كان بعض كبار الصحابة ـ كابن عباس الذي كان ينظر إلى الأحداث من زاوية ضيّقة ـ مخالفاً لاصطحاب العيال والنساء، وقد

(١) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٧. وأيضاً: الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٨.

(٢) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٢، ص٤١٥. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.

(٣) أُنظر: الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٧. وأيضاً: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي: ج٢، ص٢٥٧.

(٤) أُنظر: الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الخوارزمي: ج١، ص١٨٥. وأيضاً: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٧.

(٥) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٣.

(٦) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٢، ص٤٠٤.

(٧) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص١٠٧. وأيضاً: الكوفي، أحمد بن أعثم، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٣٩.

حاول ثني الإمام عليه السلام عن حملهم إلى كربلاء، قائلاً له: «**إنّي أخاف عليهم القتل**»[1].

وثمّة ثلاثة احتمالات لتوجيه إصرار الإمام عليه السلام على حملهم معه:

أ ـ العمل بالتكليف الإلهي: يستفاد من بعض الروايات أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحمله أهل بيته إلى كربلاء كان تكليفاً إلهياً، وقد أشار الإمام إلى هذا الموضوع في حديثه مع محمد بن الحنفية، ونَقَل ابن طاووس رواية في هذا الخصوص عن الإمام الصادق عليه السلام، من كتاب لأحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد، وَرَد فيها: «**سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكّة، فقال: يا أخي، إنّ أهل الكوفة مَن قد عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالك كحال مَن مضى، فإن رأيتَ أن تقيم، فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي، قد خفتُ أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت. فقال له ابن الحنفية: فإن خفتَ ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد. فقال: أنظرُ فيما قلتَ. فلمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي، ألم تعدني النّظر فيما سألتك؟ قال: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اُخرج، فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا. وسلَّم عليه ومضى**»[2].

---

(١) اُنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الأخبار الطوال: ص٢٤٤. وأيضاً: ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٥، ص٣٢٨. وأيضاً: الذهبي، شمس الدين محمد، تاريخ الإسلام، (أحداث سنة ٦١ ـ ٨٠): ص٩. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٩. وأيضاً: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص٦٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٧ ـ ٢٨. واُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

والحقيقة أنّ التكاليف الإلهية قائمة على المصالح، وعليه؛ فهناك مصلحة في حمل الحسين عليه السلام لأُسرته معه إلى كربلاء، وسنتطرَّق إلى ذلك لاحقاً.

ب ـ في البقاء خطرٌ على حياتهم: احتمل البعض بأنّ بقاء أُسرة الحسين عليه السلام في المدينة يُشكِّل خطراً على حياتهم[1]، والظاهر عدم صحّة هذا الاحتمال؛ لأنّ اصطحاب الأهل إلى حرب غير متكافئة ليس بأقلّ خطراً من بقائهم في المدينة.

ج ـ تبليغ الرسالة وإيصال الصوت: ذهب البعض إلى أنّ حمل النساء والأطفال يأتي في إطار السياسة العامّة للدعوة والتبليغ في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بمعنى أنّ تبليغ الرسالة كان حتّى ظهر عاشوراء على عاتق الإمام، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى أُسرته، وفي الحقيقة هذا هو أهمّ الأهداف المتوخّاة من اصطحاب الإمام للعيال والنساء، قال الشهيد المطهّري في هذا الصدد: «**فعمل أبي عبد الله الحسين عليه السلام كان دقيقاً ومحسوباً منذ البداية، وقد كان عليه السلام يتوقع مثل هذه الرحلة التبليغية على يد العدو، فالعدو كان يتصوّر أنّه يجرّ قافلة من الأسرى، ولا يدري أنّه في الواقع يحمل فرقة دعائية تبليغية ضده**»[2].

ولا إشكال في هذا الاحتمال، والاحتمال الأوّل أيضاً؛ لأنّ أُسرة الإمام الحسين عليه السلام قامت بدور مؤثِّر وكبير في صيانة الثورة الحسينية من التحريف، وفضح الأعداء، وعلى هذا الأساس؛ قد تكون مشروعية تكليف حمل عيال الإمام ونسائه إلى كربلاء خاضعة لمصالح كبرى استدعت حضورهم فيها، فصحيح أنّهم أُسروا وذاقوا الويلات خلال مدّة الأسر، إلّا أنّ أسرهم صار ـ على خلاف ما أراده العدو ـ سبباً في حفظ دماء الشهداء، وشكَّل عاملاً لبقاء الدين.

ومن الواضح أنّه لولا حضور النساء والعيال ـ لا سيّما السيّدة زينب عليها السلام ـ لظلّت حادثة كربلاء محصورة في حدودها فقط، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فقد نجم

(١) أُنظر: الكاشي، عبد الوهاب، مأساة الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب: ص٧٨ـ٧٩.
(٢) أُنظر: المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج١، ص٢٧٥.

عن حضور النساء والأطفال زيادةٌ في البُعد العاطفي والتبليغي للنهضة الحسينية، وكان تبليغاً عملياً للدعوة؛ لأنّ اصطحابهم إلى كربلاء أثار في الأذهان السؤال التالي: لماذا اصطحب الإمام الحسين عليه السلام أهل بيته إلى كربلاء؟

وكيف كان، فبعد بيان أُسلوب الدعاية والحرب الإعلامية من الأعداء ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، والإشارة إلى تأثير التبليغ في الثورة الحسينية، ودور أُسرة الإمام عليه السلام في تبليغ أهداف الثورة، تتبادر إلى الأذهان الأسئلة التالية: هل نجحت عائلة الحسين عليه السلام في أداء الرسالة الملقاة على عاتقها؟ وما هي الأساليب والأدوات التي استخدمتها في هذا المجال؟ وهل كانت تلك الأساليب والوسائل متناسبة مع أدوات الدعوة المتداولة في تلك الفترة؟

والحقيقة أنّ أهل بيت الحسين عليه السلام لم يقتصر نجاحهم على أداء تلك الرسالة فحسب[1]، بل استطاعوا أيضاً الاستفادة من أدوات التبليغ المتعارفة في ذلك الزمان، كالشعر والخطابة؛ على أنّ المتداول آنذاك الاستفادة من الأراجيز والأشعار والخطب في الحروب لبيان العقائد ومدح الأشخاص. كما أنّ نصب مآتم العزاء يُعدّ من أهمّ السبل للتعريف بالشخصيات، وإماطة اللثام عن المظلومية، وكشف الحقيقة، ولا يخفى أنّ بيان الحقائق، والتعريف بالإمام الحسين عليه السلام والعترة عن طريق الحوار مع الناس والتحدّث إليهم، كان ـ أيضاً ـ من الوسائل التبليغيّة المُثمِرة، وهو ما فعله الإمام عليه السلام، ثمّ تبعه أهل بيته في ذلك.

ومن المُسلَّم به، أنّ أساليب التبليغ التي استخدمتها أُسرة الإمام لم تكن مقتصرة على ما ذُكر، وإنّما كانت هناك أساليب أُخرى ناجعة في التبليغ والدعوة قد تمّ استخدامها، وهذا ما يستفاد من مواجهتهم وأقوالهم وسلوكهم مع الأعداء. وعلى جميع التقادير سنتابع هذا البحث ضمن النقطتين التاليتين:

(١) سيتضح هذا المدّعى في غضون الأبحاث الآتية.

١ـ أهداف التبليغ والدّعوة

يمكن أن نستخلص من أقوال أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم، وطبيعة تعاملهم مع الأعداء، وإقامتهم لمراسم العزاء، أنّ أهدافهم من الدّعوة تتلخّص في الموارد التالية:

١ـ التصدّي لدعايات الأعداء.

٢ـ المحافظة على هدف الإمام الحسين عليه السلام، وإحياء ذكره.

٣ـ منع وقوع التحريف.

٤ـ التعريف بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة.

٥ـ النهوض الثقافي.

٦ـ التعريف بأُسرة الإمام الحسين عليه السلام.

٧ـ إظهار حقيقة حكومة يزيد والكشف عن جرائمها.

٨ـ التعريف بالإمام الحسين عليه السلام.

وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ جميع الأهداف المشار إليها مستفادة من الخطابات والحوارات التي أجراها أهل البيت عليهم السلام مع الناس، مضافاً إلى مراسم العزاء التي عقدوها في المناسبات المختلفة، فعلى سبيل المثال: لمّا خطبت السيّدة زينب عليها السلام الناس في الكوفة، امتدحت جدّها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله والإمام الحسين عليه السلام وأُسرته، وأكّدت أنّه فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ شرعت بتوبيخ أهل الكوفة، كما كشفت النقاب عن حقيقة السلطة الحاكمة؛ لتبيّن لهم أنّهم وقفوا إلى جانب أعداء الدين بمساندتهم يزيد، وقد ارتكبوا جريمة بشعة بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام.

ومن الواضح أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يرومون من إقامة مآتم العزاء الحيلولة دون تحريف الثورة الحسينية، وتغيير مسارها، ومنع تأثير دعايات الأعداء، وإحباط مؤامراتهم، كما أنّ الإمام السجاد عليه السلام حينما خطب في مجلس يزيد في الشام، ابتدأ بذكر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، وجذب الأنظار إلى عصر صدر الإسلام، ثمّ تحدّث

عن الإمام الحسين عليه السلام ونسائه وأطفاله، وبعد ذلك أشار إلى جرائم السلطة.

وسنقرأ المزيد حول أهداف دعوة أهل بيت الحسين عليه السلام عند تحليل خطبهم وإقامتهم مآتم العزاء في الكوفة والشام والمدينة.

٢ـ أساليب التبليغ وطرقه

لا شكّ في أنّ هناك أساليب إعلامية خاصّة لكلّ ثورة، وعلى هذا الأساس؛ استفادت أُسرة الإمام الحسين عليه السلام من أساليب ووسائل منسجمة مع الأوضاع السائدة في عصرهم، وسنشير أدناه إلى أهمّها:

أـ استغلال الفرص: عمدت نساء الحسين عليه السلام وعياله إلى التأسّي بأبي عبد الله عليه السلام في استغلال الفرص المتاحة على أكمل وجه ممكن، رغم الظروف القاسية التي مرّوا بها خلال الأسر والثكل، وفي الحقيقة إنّ العدو هو الذي وفّر لهم الفرص المناسبة، كما حصل في الكوفة والشام؛ إذ جمع الناس ليتبجّح بالنصر، ويتباهى بالقوّة، لكنّ أهل البيت عليهم السلام استغلّوا هذه الفرصة، ولم يظهروا بمظهر الذليل المنكسر، بل دافعوا عن إمامهم وثورته الخالدة بمنتهى الشجاعة والبسالة، مستلهمين ذلك من شعار الإمام «**هيهات منّا الذلّة**».

وفي هذا الصدد قال الخطيب المرحوم آيتي: «**هذا ما دفع علي بن الحسين عليهما السلام الذي كان يعاني المرض، والسيّدة زينب الكبرى وأبناء أخيها وبناته، إلى إبداء الشجاعة... فبدلاً من أن يظهروا على صورة ثكالى منكسرين وملتمسين للعدو، برزوا بهيئة قوية مُعبِّرة عن الإرادة الصُّلبة، والعزم القويّ، والشخص المنتصر، وواصلوا الدعوة إلى أهدافهم المقدّسة، ولم يُفوِّتوا أيّ فرصة، وإن لم تكن ذات تأثير كبير، إلى درجة أنّه حتّى لو بادرهم أحد الأشخاص بالسبّ والشتم اغتنموا تلك الفرصة لإسداء النصيحة إليه، وتعريفه بالحقيقة؛ فانقلب حال هذا الشخص السابّ، وأعلن توبته ومناصرته لأهل البيت**»[1].

(١) آيتي، محمد إبراهيم، بررسي تاريخ عاشورا (دراسة تاريخ عاشوراء): ص١٣٨.

ب ـ انسجام الدعوة والاستغلال الأمثل لمقوّمات التبليغ: من الأساليب الدعوية المهمّة لأُسرة الإمام الحسين عليه السلام، انسجام دعوتهم مع دعوة الإمام عليه السلام، والاستغلال الأمثل لمقوّمات التبليغ؛ إذ ساروا على نهج الإمام الحسين عليه السلام في توظيف مقوّمات التبليغ الناجح، فلا يخفى أنّ الإمام الحسين عليه السلام تحدّث مراراً عن وحدانية الله تعالى والرسالة ومنزلة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأهداف ثورته المباركة، وعن توبيخ أهل الكوفة وأعدائه عموماً وذمّهم، وما كان من أهل بيته وأُسرته إلّا تكرار هذه المضامين والعبارات، فكلّما خطبوا أو تحاوروا مع الأعداء بدأوا بالحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ودعوة الناس إلى الآخرة.

إنّ هذا الانسجام والتوافق يكشف عن امتلاك الإمام عليه السلام نسقاً منظّماً للدعوة، كان هو البادئ به، ثمّ جاء أهله وعياله ليواصلوا مسيرته، ولا ريب أنّ هذا التنسيق والانسجام ضاعف من تأثير الدعوة.

ومن المقوّمات الأُخرى المهمّة للدعوة والتبليغ التي مارسها أهل البيت عليهم السلام، الكتب التي بعثها الإمام الحسين عليه السلام إلى المناطق المختلفة، ومنها: كتابه إلى أهل البصرة[1]، وكتابه إلى أهل الكوفة[2]، إذ أتمّ فيهما الحجّة على أهل هاتين المدينتين، هذا من جانب، ومن جانب آخر عمل على توعية الناس هناك. كما أنّ كتب الإمام عليه السلام التي انطوت على دعوة عموم الناس، قد هيّأت الأجواء لأُسرة الإمام الحسين عليه السلام لمواصلة الدعوة؛ لأنّه عليه السلام أكّد فيها أنّه الإمام القائم بالقسط[3]، وتحدّث عن ابتداع يزيد ومحاربته القيم، وعن ذمّ أهل الكوفة. ومن هذا المنطلق؛ استفادت أُسرته عليه السلام من مضامين هذه الكتب في حركتهم الثورية، وكمثال لذلك: ذمّت السيّدة زينب عليها السلام

(١) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص١٠٧. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٣.

(٢) أُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص٤٢٤.

(٣) المفيد، محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٣٩.

أهل الكوفة في خطبتها التي ألقتها في هذه المدينة.

ج ـ الرجز والشعر: كان الشعر والرجز من أنجع وسائل التبليغ التي يستفاد منها للتعريف بالشخصيات، وبيان أهداف الحرب، وتوضيح العقائد، وقد استفيد منها في حروب صدر الإسلام من قِبَل الأعداء والمسلمين على حدّ سواء، كما استفيد من الأشعار والأراجيز في حربي الجمل وصفين وغيرهما.

وقد استعان الإمام الحسين عليه السلام بذلك أيضاً في رسم شخصيّته[1]، كما فعل أخوه العبّاس كذلك؛ ومن هنا فقد استفادت أُسرة الإمام الحسين عليه السلام أيضاً من الأشعار والأراجيز في مسيرتها الدعوية، ومن ذلك؛ لمّا عادوا من الشام إلى المدينة، قال الإمام السجاد عليه السلام لبشير بن حذلم: «**يا بشير، رحم الله أباك، لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يابن رسول الله، إنّي لشاعر، قال: فادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله**»[2]، فأنشد تلك الأبيات التي غيّرت أحوال أهل المدينة، وجعلتهم جميعاً باكين ونائحين:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قُتِل الحسين فأدمعي مـدرارُ

الجسم منه بكربلاء مُضرَّج ... والرأس منه على القناة يُدارُ[3]

د ـ إقامة مآتم العزاء: تُعتبر إقامة مراسم العزاء من الأساليب المهمّة والمفيدة في التبليغ، وقد أحسن أهل البيت عليهم السلام الاستفادة منها في طريق إيصال الصوت الحسيني الهادر، فبدأوا بها بشكل محدود وضيّق، تحديداً من عصر يوم عاشوراء، ثمّ واصلوا ذلك في المدينة، فلمّا مرّت النساء والأطفال على الأجساد الطاهرة الملقاة في البيداء، شرعوا بالتعزية بطريقة أبكت كلّ عدوّ وصديق.

روى أبو مخنف عن قرّة بن قيس التميمي، قال: «**نظرتُ إلى تلك النسوة لمّا مررن**

(١) أُنظر: ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٤. وأيضاً: القندوزي، سليمان، ينابيع المودّة: ج١ـ٢، ص١١٩. وأيضاً: الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٨. وأيضاً: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٨٠.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٢، ص٤٤٦.

(٣) المصدر السابق.

بحسين وأهله وولده، صِحن ولطمن وجوههنّ... لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً، وهي تقول: يا محمّداه، يا محمّداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرمَّل بالدما، مقطَّع الأعضا. يا محمّداه! وبناتك سبايا، وذرّيتك مقتَّلة، تسفى عليها الصبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق»[1].

ومن الجدير بالذكر، أنّ أُسرة الإمام الحسين عليه السلام زادت من عزائها في الكوفة والشام والمدينة، ما جعله أكثر تأثيراً، كما سنبيّن ذلك في الصفحات القادمة.

هـ ـ الاحتجاج والمحاورة: وهو من طرق الدعوة الأُخرى التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام وأُسرته من بعده، سواء مع الأعداء أم مع عامّة الناس، ومن أمثلة ذلك: عند دخول القافلة الشام خاطبهم رجلٌ مُسنّ بقوله: «**الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وقطع قرن الفتنة... قال له علي بن الحسين عليه السلام: أمَا قرأتَ كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: نعم. قال: أمّا قرأتَ هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]؟ قال: بلى. قال: فنحن أولئك... فرفع الشامي يده إلى السماء، ثمّ قال ثلاثاً: اللّهمّ إنّي أتوب إليك**»[3].

والمثال الآخر هو ردّ السيّدة زينب عليها السلام على عبيد الله بن زياد حينما قال لها: «**الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنّما يُفتَضح الفاسق، ويُكذَّب الفاجر، وهو غيرنا**»[4].

و ـ الخُطَب: لا شكّ في أنّ الخطب من الوسائل المفيدة والسُّبل الناجعة في التبليغ؛ وهو ما دفع أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام إلى الاستفادة منها في الفرص المناسبة،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٨.
(٢) الشورى، آية: ٢٣.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥٥.
(٤) المفيد، محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص١١٥.

وسنذكر مزيداً من الإيضاح في هذا المجال عند بحث موضوع الدعوة في الكوفة والشام والمدينة.

المحور الثالث: كيفية الدعوة في المدن المختلفة

بالرغم من وجود قواسم مشتركة بين دعوة أُسرة الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة والشام والمدينة، نجد هناك نقاط افتراق بينها أيضاً؛ أي: هناك تباين بين الخطب التي ألقوها في الكوفة، وبين الخطب التي ألقوها في كلّ من الشام والمدينة، فعلى سبيل المثال: ألقوا في الكوفة اللّوم على أهلها، بينما في الشام قلّلوا من ذلك، وأكثروا من التعريف بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام، مع ذكر المعارف الدينية؛ ويبدو أنّ مردّ ذلك الاختلاف والتباين إلى الأوضاع السائدة في كلّ مدينة؛ وهذا ما يفرض علينا دراسة الأوضاع في تلك المدن بصورة مختصرة.

١ـ الدعوة في الكوفة

تختلف الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية الموجودة في الكوفة عنها في المدينة والشام، فقد كانت هذه المدينة ولسنوات مديدة مركزاً للحكومة العلوية، وكان لوجود شخصيات من أمثال حجر بن عدي، تأثيرٌ كبيرٌ في التقدّم السياسي والثقافي، ونشر الإسلام الأصيل، ولم يكن هناك مكان لبني أُميّة في هذه المدينة، بل كان أهل الكوفة يمقتون معاوية بسبب سياساته غير المنطقية تجاه المجتمع، ومناوأته للإسلام الحقيقي؛ وهو ما دفعهم إلى الوقوف إلى جانب الإمام علي عليه السلام، ومناصرته في حربه ضدّ معاوية، كما يمكن تلمّس مدى سخط أهل الكوفة على معاوية، من خلال الكتب المتعدّدة التي بعثوها إلى الإمام الحسين عليه السلام، بعد هلاك معاوية وغصب يزيد للخلافة، والتي دعوه فيها إلى القدوم عليهم، بصفته الأجدر بقيادة المجتمع، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّه ليس كلّ هؤلاء الذين دعوه كان همّهم الدين، وإنّما كان لذلك السخط أيضاً توجيهات سياسية واقتصادية.

وعلى الرغم من ذلك، ما لبث أكثر أهل الكوفة حتّى أعرضوا عن الإمام الحسين عليه السلام في غضون أمد قصير، وارتكبوا أكبر جريمة وخيانة بحقّه؛ ومن الأسباب الداعية إلى خيانتهم أنّهم أدركوا أنّ الإمام بقدر اهتمامه بدين الناس لم يكن يولي أهمّية لدنياهم، ولطالما وبّخهم بسبب ذلك الأمر.

وقد ارتكز تبليغ أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام على دعامتي الخطابة، ومحاججة العدو؛ ومن هنا نورد مقتطفات من خطبة السيّدة زينب عليها السلام التي ذكرها أغلب المؤرّخين وأهل السير[1].

ولا ريب في صعوبة إلقاء السيّدة زينب عليها السلام خطاباً في الكوفة؛ فمن جهة كان أبوها قد اتّخذ هذه المدينة عاصمة لخلافته، والناس يعرفونها بعنوان ابنة خليفة المسلمين، وكانوا ينظرون إليها بقدسية واحترام، ومن جهة ثانية، كانت رؤوس الشهداء مرفوعة فوق الرماح، وأُدخل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إلى الكوفة كما تدخل سبايا الكفّار[2]، واجتمع الناس في الشوارع والأزقّة ليتفرّجوا عليهم[3]، فلمّا وصل أهل البيت إلى الكوفة سألتهم امرأة: مَن أنتم؟ فردّوا عليها: نحن سبايا آل محمد[4]. وينقل أحد الرواة: لمّا دخلتُ الكوفة وجدتُ أوضاع المدينة غير مألوفة، فسألت شيخاً فيها: ما الذي يحدث هنا؟ فأجاب: من الناس مَن هو فَرِحٌ بانتصار يزيد، ومنهم مَن هو حزينٌ بمقتل الحسين عليه السلام.

ويستشفّ من سير الأحداث أنّ بعض أهل الكوفة كانوا يعرفون أهل البيت عليهم السلام

(١) أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٩- ٣١. وأيضاً: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٣٦. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٠٩. وأيضاً: ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، (ذكر ابن طيفور الخطبة باسم أُمّ كلثوم) مع اختلاف يسير.

(٢) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦١٥.

(٣) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٠٩ـ٣١٠.

(٤) أُنظر: النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص١٩١. وأيضاً: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٦٢.

بخلاف البعض الآخر؛ وهذا ما استدعى أن تقوم السيّدة زينب عليها السلام بالتحدّث إلى الناس، وإيقاظهم من نوم الغفلة، فأومأت إلى الناس أولاً بالسكوت[1]، ثمّ قالت: «**الحمد لله، والصّلاة على أبي محمّد وآله الطيبين الأخيار**»، وشرعت بتقريع أهل الكوفة بقولها: «**يا أهل الكوفة، يا أهل الخَتْل والغَدْر**»؛ لأنّهم دعوا إمامهم ثمّ غدروا به، وفي جزءٍ من خطبتها وصفتهم بأنّهم: «**كمَرعَى على دِمْنَة**»، ثمّ قالت: «**أتبكون وتنتحبون؟! إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرّة سنتكم، ألَا ساء ما تزرون، وبُعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبُؤتم بغضب من الله، وضُرِبَت عليكم الذلّة والمسكنة. ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟ وأيّ كريمة له أبرزتم؟ وأيّ دم له سفكتم؟ وأيّ حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء، [وفي بعضها] خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض، أو كملئ[2] السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تُنصرون، فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربكم لبالمرصاد**»[3].

لقد ألقت السيّدة زينب عليها السلام خطبتها حتّى ظنّ الناس أنّ أباها عليّاً هو مَن يخطب فيهم، فكانت كلماتها كالبركان الهائج الذي يجعل الجبل يخرّ أمامه مندكّاً، ولذلك قال بشير بن خزيم الأسدي: «**نظرتُ إلى زينب بنت عليّ يومئذٍ، ولم أرَ خفرة والله أنطق منها، كأنّها تفرغ من لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام**»[4]. وبحسب وصف

(١) أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٩. وأيضاً: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٣٤. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٠٨.
(٢) هكذا جاءت هذه الكلمة في المصدر المنقول عنه، وجاءت مكانها (ملء أو ملاء) في مصادر أُخرى.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٨٧.
(٤) المصدر السابق: ص١٦٤. وأُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٩.

الجاحظ لها، كانت كأُمّها الزهراء عليها السلام رأفةً، وكأبيها علماً.

وحول ردّ فعل أهل الكوفة على تلك الخطبة، قال الراوي: «**فوالله، لقد رأيتُ الناس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم**»(١).

وعن مثل هذه الأُسرة تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: «**لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة أحد**»(٢).

ويتبيّن أنّ محور دعوة السيّدة زينب عليها السلام في الكوفة كان يدور حول:

أ ـ لوم الناس: إذ كانوا يستحقّون اللوم والعتاب؛ لأنّهم دعوا الإمام عليه السلام إلى الكوفة، ثمّ صلّوا خلفه في كربلاء(٣)، لكنّهم قتلوه أبشع قتلة في المكان نفسه، وأساؤوا الأدب مع أُسرته(٤).

ولو أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يلبِّ دعوة أهل الكوفة، ولم يُتمّ عليهم الحجّة، لكان مسؤولاً أمام التاريخ والمؤرّخين، بيد أنّه نزع هذه الذريعة من أيديهم(٥)، فأضحى هؤلاء المؤرّخون أنفسهم يلعنون أهل الكوفة، ويلومونهم، ويقبلون ذمّ السيّدة زينب عليها السلام فيهم؛ لأنّهم نقضوا العهد، وأداروا الظهر لإمامهم عليه السلام، وكانوا يميلون أينما مالت الريح، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام(٦).

كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام دعا على أهل الكوفة يوم عاشوراء، فقال: «**اللّهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسَلِّط عليهم غلام ثقيف**(٧)»،

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٦٦.

(٢) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ج٦، ص٤٣٢.

(٣) ربّما يقصد الكاتب أصحاب الحرّ بن يزيد، وذلك عندما اعترضوا طريق الإمام الحسين عليه السلام، وصلّوا خلفه، في موضع يُعرف بـ(ذي حسم). اُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٢ـ٣٠٣.

(٤) اُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٢، ص٤٣٨.

(٥) اُنظر: مطهري، مرتضى، حماسه حسيني (الملحمة الحسينية): ج١، ص١٧٠ و١٨٠.

(٦) وخَطَبَ الإمام السجاد عليه السلام خطبةً في الكوفة أيضاً لامَ فيها أهلها.

(٧) كأنّ مراد الإمام من غلام ثقيف هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

فيسومهم كأساً مصبّرة؛ فإنّهم كذّبونا وخذلونا، وأنت ربّنا، عليك توكّلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير»[1].

ب ـ التعريف بالإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام: كان للدعايات التي يُطلقها يزيد ضدّ الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وقعٌ في بعض الناس، فلا غرابة حينئذٍ أن يجهل كثيرٌ من شباب الكوفة مَن هو الإمام الحسين عليه السلام، ولا يعلموا أنّه فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ في قتله إصابة لقلب الرسول صلى الله عليه وآله، فصحيح أنّهم لم يكونوا يعلمون الأسباب التي دفعته إلى الثورة، لكنّهم ـ على أقلّ التقادير ـ يتساءلون ما هي تلك الأسباب؟ ومَن هم أعداؤه؟ ولماذا قتلوه بهذه الصورة المفجعة؟ ومن هنا كان من الضروري التعريف به وبأهل بيته في تلك الخطب.

ج ـ الحيلولة دون تحريف النهضة، مع الكشف عن جرائم الحكومة: كان لحديث السيّدة زينب عليها السلام عن واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وقعٌ كبيرٌ في عموم الناس، إذ كشفت عن جرائم السلطة من ناحية، ومنعت تشويه صورة الثورة وحرفها عن مسارها من ناحية ثانية؛ لأنّ العدو أشاع أنّ الإمام الحسين عليه السلام خارجي، يُشكّل خطراً على الأمن، وعاملاً من عوامل تفرقة الأُمّة الإسلامية، وفي المقابل، أكّدت السيّدة زينب عليها السلام أنّه بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ قتله من الكبائر المحرّمة في السماوات والأرض.

ولا ريب في أنّ كلمات العقيلة زينب عليها السلام كانت كالقنبلة التي سقطت على قصر يزيد، وكانت كلّ كلمة فيها كدم شهداء عاشوراء، مدوّية ومؤثّرة؛ ولهذا السبب روي أنّ شيخاً ـ ممّن أغوته الدعايات المضلِّلة ـ كان واقفاً يبكي بعد سماع الخطبة، حتّى اخضلّت لحيته، وهو يقول: **«بأبي أنتم وأُمّي! كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل»**[2].

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٠.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣١. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٦٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٦٥.

هذا، ولم تكتفِ السيّدة زينب عليها السلام بإلقاء تلك الخطبة البليغة، وإنّما استفادت من الصمت الذي خيّم على أهل الكوفة في تلك الأثناء، واستغلّت البكاء والنحيب في المجلس، فأقامت مأتماً للعزاء، وأنشأت تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبيُّ لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُممِ
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أُسارى ومنهم ضُرِّجوا بدمِ
ما كان ذاك جزائي إذ نصحتُ لكم ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمِ
إنّي لأخشى عليكم أن يحلَّ بكم ... مثل العذاب الذي أودى على إرمِ[1]

٢ـ الدعوة في الشام

كانت الشام خاضعة لسيطرة إمبراطورية الروم، ثمّ دخلت ضمن حدود الحكومة الإسلامية في السنة الرابعة عشرة من الهجرة، ونتيجةً لطول الفترة التي حكم بها الشامَ أمراء، مثل: خالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، لم يكن أهل الشام على معرفة تامّة بنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله والمعارف الإسلامية، بل وصلتهم العقيدة الإسلامية بصورة مُحرّفة ومشوّهة، وسعى بنو أُميّة إلى إبقائهم يتخبّطون في الجهل؛ ولذا فقد بلغ بهم الجهل مبلغاً بحيث لم يعترض أحدٌ منهم على معاوية عندما صلّى بهم صلاة الجمعة يوم الأربعاء[2].

لم تكن حرب بني أُميّة الإعلامية على الإمام الحسين عليه السلام بالأمر الجديد، بل لها تاريخ طويل؛ إذ ابتدأوا دعايتهم المغرضة ضدّ عترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ـ لا سيّما الإمام علي عليه السلام ـ منذ صدر الإسلام، وقد آتت ثمارها لاحقاً، قال الدكتور (آيتي) في مدى تأثير تلك الدعايات: «**أعتقد أنّ أغلب أهل الشام إلى ذلك اليوم لم يكونوا يعلمون أنّ في الإسلام شخصاً باسم سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، أو أنّ رسول**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣١.
(٢) اُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٢، ص٧٢.

الله صلى الله عليه وآله قال في الحسن والحسين: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»[1].

وبلغ الأمر بدعاية معاوية وبني أُميّة ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام في الشام أن جعل الناس لَعْنَ عليٍّ سُنَّة، ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير[2]، ومنعوا الإفتاء على رأي علي عليه السلام[3]، وكانوا يلعنونه على المنابر، وبعد صلاة الجمعة[4].

كما بلغت الحرب الإعلامية أوجها في الشام ضدّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته؛ ما أسفر عن تأثير كبير في أهل الشام عموماً، إلى درجة أنّهم استقبلوا سبايا العترة النبويّة بلبس الجديد، وتزيين الشوارع والأزقّة، وقراءة الأناشيد، وفي ضوء هذا التباين، اختلفت دعوة أهل البيت عليهم السلام في الشام عنها في الكوفة والمدينة، وألقى الإمام السجاد عليه السلام والسيّدة زينب عليها السلام خطباً بليغة في عقر دار يزيد[5].

فعندما وصل السبايا إلى الشام اجتمع أهل الشام في المسجد، وحضر يزيد وجلاوزته، وكانت رؤوس شهداء الطفّ مرفوعة على الرماح أمام الحاضرين، ثمّ أمر يزيد الخطيب أن يرتقي المنبر، وينال من أهل البيت عليهم السلام، فصعد وذمّ أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام، فانتهز الإمام السجاد عليه السلام الفرصة، وصاح به: «**ويلك أيّها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار**»[6].

ثم التفت الإمام عليه السلام إلى يزيد وقال: «**يا يزيد، ائذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد، فأتكلّم بكلمات لله فيهنّ رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجرٌ وثواب**»[7]، واستطاع الإمام من خلال ذلك لفت أنظار الناس إليه، لكنّ يزيد أبى أن يأذن له، فألحّ عليه الناس حتّى أذن له، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «**أيّها الناس، أُعطينا ستّاً وفُضّلنا بسبع:**

---

(١) آيتي، إبراهيم، بررسي تاريخ عاشورا (دراسة تاريخ عاشوراء): ص١٣١.
(٢) أُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٢، ص٧٢.
(٣) أُنظر: الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مناقب أبي حنيفة: ج١، ص١١٧.
(٤) أُنظر: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١٠، ص٢٦٦ و ٢٩٠.
(٥) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٣ـ١٣٥.
(٦) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٧٦ـ٧٨.
(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٧.

أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأنّ منّا النبيّ المختار محمداً، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأُمّة»[1].

ثمّ شرع بمدح عترة النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله؛ ليبيّن لبني أُميّة خاصّة، وللنّاس عامّة أنّهم خير البرية، وأنّ جعفراً الطيّار الذي استُشهد في سبيل الإسلام ينتمي إلى هذه السلالة الطاهرة أيضاً، وعلى العكس من ذلك، ظلّ بنو أُميّة مناوئين للإسلام طيلة التاريخ، وأُسوتهم في ذلك أبو سفيان الذي قال عن الخلافة والحكومة: «**يا بني أُميّة، تَلَقَّفُوها تلقُّفَ الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان، ما زلتُ أرجوها لكم، ولتصيرَنَّ إلى صبيانكم وراثة**»[2].

وأتمّ الإمام زين العابدين عليه السلام خطبته قائلاً: «**مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيّها الناس، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن مَن حمل الركن بأطراف الردى، أنا ابن خير مَن ائتزر وارتدى، أنا ابن خير مَن انتعل واحتفى، أنا ابن خير مَن طاف وسعى، أنا ابن خير مَن حجّ ولبّى، أنا ابن مَن حُمل على البراق في الهواء، أنا ابن مَن أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن مَن بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن مَن دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن مَن صلّى بملائكة السماء، أنا ابن مَن أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى**»[3].

وبهذا قد لفت الإمام انتباه الناس إلى تاريخ صدر الإسلام، وفهَّم الحاضرين أنّ فلسفة ثورة أبيه، هي الدفاعُ عن الإسلام، وإحياء سننه، ومحاربة البدع، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «**أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه؛ فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة**

(١) المصدر السابق: ص١٣٨.
(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٢، ص٣٤٣. وأُنظر: المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص٤٥ـ٤٦.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٨.

قد أُحييت»[1]. وقال بعدما لقي جيش الحرّ: «**ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه**»[2].

فكان هدف الإمام السجاد عليه السلام أن يوصل إلى الناس أنّ يزيد لا يُمثِّل الإسلام وإن زعم أنّه يحكم باسمه، وهو القائل:

لعبتْ هـاشـمُ بالملك فلا ... خـبرٌ جـاء ولا وحـيٌ نـزل[3]

تأثَّر الناس بشدّة بكلام الإمام، وكانوا يتوقون إلى سماع باقي خطابه، فواصل قائلاً: «**أنا ابن عليٍّ المرتضى، أنا ابن مَن ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا: لا إله إلّا الله، أنا ابن مَن ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، رسول ربّ العالمين، أنا ابن المؤيَّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر مَن مشى من قريش أجمعين، وأوّل مَن أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأوّل السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين... أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء**»[4]. ومن هنا استطاع الإمام السجاد عليه السلام التصدّي للإعلام المعادي لأمير المؤمنين علي عليه السلام طيلة السنوات الماضية.

أفلم يكن بعض سكّان هذه المدينة يلعنون الإمام بعد صلاة الجمعة؟! وهل كان أهل الشام ـ لا سيّما الشريحة الشابة منهم ـ يعلمون بأنّ علياً عليه السلام لم يشرك بالله ولو

(١) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٤٠.

(٢) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨١.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٠٠. الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٥ـ٦٦.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٨ـ ١٣٩.

للحظة واحدة؟ وهل سُمِحَ لهم بسماع قول رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام علي عليه السلام: «**الضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين**»[1]؟

نعم، عرّفهم الإمام زين العابدين عليه السلام بحقيقة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال تلك الخطبة الحماسية؛ ليتأمّلوا: هل عليٌّ عليه السلام الذي تحدّث عنه عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام هو نفس عليٍّ الذي ذكره بنو أُميّة؟

ثمّ واصل الإمام بيان الأبعاد المختلفة للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته البررة، وإماطة اللثام عن جرائم بني أُميّة، فقال ردّاً على مَن وصفه بالخارجي، ومَن يريد شقّ الصف الإسلامي: «...**أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المجزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتّى قضى، أنا ابن طريح كربلا، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن مَن بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن مَن ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن مَن رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن مَن حرمه من العراق إلى الشام تُسبَى**»[2].

فهذا البيان لشهادة الإمام الحسين عليه السلام وسبي عياله وأطفاله جعل الحاضرين يبكون وينتحبون بصوت عالٍ؛ متأثّرين بخطبة الإمام زين العابدين عليه السلام، وفي المقابل أمسى يزيد وجلاوزته أمام موقف محرج للغاية؛ لأنّ شمس الحقيقة قد بزغت، والناس قد أدركوا عمق الظلام الذي فيه يتخبّطون، وتيقّنوا من ظلم بني أُميّة؛ ولذا أمر يزيد المؤذّن بالأذان لقطع كلام الإمام[3].

قال الدكتور (آيتي) في هذا المجال: «**ارتقى الإمام الرابع المنبر، وتكلّم بحيث أدمى القلوب، وأسال الدموع، وأبكى الحاضرين، وتصاعدت صرخاتهم، فقد ركّز ابن الإمام الحسين عليه السلام في خطبته على بيان منزلة أهل البيت في الساحة الإسلامية، وكشف النقاب**

(١) العاملي، جعفر مرتضى، المصطفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله: ج٢، ص٢٣٢.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٧٤.
(٣) أُنظر: الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٨.

عن صورتهم الناصعة، وفضائلهم ومناقبهم الوافرة»[1]، وقال سبط ابن الجوزي في هذا الصدد: «**فلم يبقَ في القوم إلّا مَن بكى**»[2].

ولمّا رأى يزيد سخط الناس على قتل الإمام الحسين عليه السلام نسب قتله إلى ابن زياد[3]، على أنّ يزيد لم يكن يتصوّر أن يتمكّن بعض الأسرى المقيَّدة أيديهم من فضحه في مقرّ سلطته، وشرح ما جرى في كربلاء إلى الحشود الحاضرة في القصر، فيصبح من الملعونين على مرّ التاريخ.

ولم تقتصر دعوة أهل البيت عليهم السلام في الشام على إلقاء الخطب، بل أقاموا مآتم العزاء أيضاً، حيث أشار الإمام السجاد عليه السلام ـ في جانب من خطبته ـ إلى كيفية استشهاد أبيه الحسين عليه السلام، وسبي نسائه وعياله، كما أنّ أهل بيت الحسين عليه السلام أقاموا مراسم العزاء في قصر يزيد بعد خطبتي السيّدة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام[4]، وفضحوا حقيقة سلطة يزيد المجرمة.

وربّما يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي: ما معنى ذهاب أُسرة الإمام الحسين عليه السلام إلى قصر يزيد؟ ولماذا لم يرفض الإمام السجاد عليه السلام والسيّدة زينب عليها السلام الذهاب إلى هناك؟

الجواب: إنّ هدف أهل البيت عليهم السلام ورسالتهم هو فضح العدو، والحيلولة دون تحريف مسار الثورة الحسينية، وما أبلغ أن تُعلَن تلك الرسالة في قصر يزيد نفسه وبواسطة العزاء، وهو ما حصل بالفعل، حتّى أنّ نساء آل أبي سفيان علمن بجريمة يزيد، وذرفن الدموع على الإمام عليه السلام في مأتمه، قال الطبري: «**فلم تبقَ من آل معاوية**

(١) آيتي، إبراهيم، بررسي تاريخ عاشورا (دراسة تاريخ عاشوراء): ص٢٣٢.
(٢) ابن الجوزي، سبط، تذكرة الخواص: ص٢٣٨.
(٣) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٥.
(٤) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٥. وأيضاً: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٥.

امرأة إلا استقبلتهنّ تبكي وتنوح على الحسين عليه السلام، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً»[1].

ولا يخفى ما للعزاء من تأثير كبير في نفوس الناس، وهذا هو المأمول من رسالة أهل البيت عليهم السلام في صيانة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وفضح حكومة يزيد الغاصبة، وإبداء مساوئها.

٣ـ الدعوة في المدينة

كان للمدينة موقعٌ متميّز لدى المسلمين بعد مكّة المكرّمة؛ وذلك لما تمثّله من كونها عاصمة لحكم النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وموضعاً لتبليغ الرسالة، فكان المسلمون يؤمّونها من جميع أنحاء العالم الإسلامي لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله؛ ولذا كانت أهمّ مكان لإبلاغ الرسالة؛ ليطّلع الناس على أهداف الثورة الحسينية، وجرائم الحكومة الأُمويّة، وبذلك تُصان نهضة عاشوراء من التحريف.

لمّا رأت السلطة السخط الجماهيري العارم على بني أُميّة نتيجة تبليغ أُسرة الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة والشام، عمدت إلى إرسال السبايا إلى المدينة المنوّرة؛ لظنّها أنّهم سيسكتون عند عودتهم إلى ديارهم، ويُغلَق ملف عاشوراء، متناسين أنّ تلك الأُسرة هي ذاتها التي فضحت السلطة الحاكمة بخطبها البليغة في الكوفة والشام، ودفعت باتجاه التقدّم السياسي والثقافي، ومهّدت الأرضية لثورات أُخرى، وعلى هذا الأساس؛ واصلت دعوتها في المدينة أيضاً، فأدّى ذلك إلى إطلاق ثورات أُخرى ـ من قبيل ثورة أهل المدينة ـ ساهمت في تخليد نهضة كربلاء على مرّ العصور.

ومن هنا واصل أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام حمل أعباء الرسالة في المدينة ـ كما في الكوفة والشام ـ على أكمل وجه ممكن؛ وذلك عن طريق إقامة مآتم العزاء والرثاء،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٣. وأُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٦.

وركّزوا على مفردة العزاء أكثر من غيرها، واستمرّوا في ذلك طيلة الأعوام التالية.

ذكر المؤرّخون وأهل السير أنّ أهل بيت الحسين عليه السلام لما اقتربوا من المدينة أمرهم الإمام السجاد عليه السلام بحطّ الرحال وضرب الفسطاط، ثمّ طلب من بشير بن حذلم أن يدخل المدينة وينعى الحسين عليه السلام، فدخل وطلب من أهل المدينة الاجتماع عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أنشد فيهم:

يا أهل يثرب لا مُقام لكم بها ... قُتِل الحسين فأدمعي مـدرارُ

الجسم منه بكربلاء مُضرَّج ... والرأس منه على القناة يُدارُ[1]

فخرج من المدينة رجال ونساء يبكون متوجّهين إلى خيمة الإمام السجاد عليه السلام، عندئذٍ انتهز الإمام السجاد عليه السلام الفرصة، وخطب في الناس قائلاً: «**الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُد فارتفع في السماوات العُلى، وقرُب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأُمور، وفجائع الدهور، وأَلَم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة، أيّها القوم، إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية، أيّها الناس، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أيّ عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها؟... أيّها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثُلمت في الإسلام؟ أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين شاسعين عن الأمصار... من غير جُرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إنْ هذا إلّا اختلاق، والله، لو أنّ النبي صلى الله عليه وآله تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاءة بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا**»[2].

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٢٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص ١٤٨ـ١٤٩.

فكان للخُطَب ومآتم العزاء خارج المدينة تأثيرٌ عظيم في أهلها، حيث اطّلعوا على كيفية قتل الإمام الحسين عليه السلام وسبي أهله وعياله، وقد ورد أنّ أُمّ كلثوم لمّا دخلت المدينة أنشدت تقول:

مدينة جدّنا لا تقبلينا	فبالحسرات والأحزان جئنا
ألَا فأخبر رسول الله عنّا	بأنّا قد فُجعنا في أبينا
وأنّ رجالنا بالطفّ صرعى	بلا رؤوسٍ وقد ذبحوا البنينا
وأخبر جدّنا أنّا أُسرنا	وبعد الأسر يا جدّا سُبينا[1]

المحور الرابع: تقييم آثار ونتائج الدعوة الرساليّة لأهل البيت عليهم السلام

لا ريب في أنّ أُسرة الإمام الحسين عليه السلام نجحت في حمل أعباء الرسالة، وكان اصطحاب النساء والأطفال لإيصال الرسالة بعد استشهاد الإمام من أبلغ أساليب الدعوة؛ إذ لم يكن أقلّ تأثيراً في إنجاح الثورة من دماء الشهداء.

قال الكاتب الإيراني الدكتور جعفر شهيدي في هذا المجال: «**لم تكن كلمات أخوات الإمام الحسين عليه السلام في جموع أهل الكوفة والشام بأقلّ وقعاً وتأثيراً من مقتل الإمام نفسه**»[2].

وعلى هذا لو مثّلنا ثورة الإمام الحسين عليه السلام بالطائر الذي ينشد هدفاً معيّناً، فلا شكّ في أنّ أُسرة الإمام بمثابة أحد جناحي هذا الطائر؛ لما قامت به من دور كبير في بلوغ الهدف وإبلاغ الرسالة بعد واقعة عاشوراء، فلولا الخطب والكلمات والأشعار لتمكّن العدو من التعتيم على ثورة الإمام عليه السلام، وحبسها خلف الأبواب المغلقة، ولكان من العسير تسجيل أحداث استشهاد الإمام عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه في

(١) المصدر السابق: ص١٩٧.

(٢) شهيدي، جعفر، قيام حسين (نهضة الحسين): ص٥٥.

صفحات التاريخ بهذه الصورة الجليّة، بل كان من المحتمل إظهار نهضة عاشوراء على خلاف واقعها، ففي الوقت الذي أصدر العدو أمراً بقتل الإمام الحسين عليه السلام قبل واقعة عاشوراء، لا مناص من أنّه كان بصدد تشويه تلك الثورة، ومنع الإعلان عن جزئياتها وتفاصيلها.

والملفت للانتباه، أنّ أغلب أحداث كربلاء نُقِلَت على لسان أُسرة الإمام الحسين عليه السلام، كما قال الدكتور آيتي: «**لولا الخطب التي ألقوها في الشام، ولولا الفرصة التي سنحت لأُخت الإمام الحسين عليه السلام وولده في مجلس ابن زياد ومجلس يزيد، لكان من الصعب جدّاً أن تُسجَّل واقعة استشهاد الإمام عليه السلام وأصحابه بالشكل الحالي في صفحات التاريخ، ولَما كان يُؤمَن على حادثة عاشوراء من التحريف والتشويه، ووصولها بشكل مغاير لما هي عليه**»[1].

ولأجل تقييم رسالة أهل بيت الحسين عليه السلام بصورة أعمق، يمكن طرح السؤال التالي: لماذا أقدمت السلطة على حمل عيال الحسين عليه السلام وأهل بيته إلى الكوفة ثمّ الشام، في حين أنّها كانت قادرة على إعادتهم إلى المدينة؟

والجواب: أنّها كانت تروم من ذلك تحقيق هدفين، **الأوّل**: بثّ الخوف والرعب. **والثاني**: الانتقام وهتك الحرمة. فلأجل بثّ الرعب في قلوب الناس؛ أمَرَ يزيد بتسيير عيال الحسين عليه السلام وأطفاله إلى الكوفة والشام، ورفع رؤوس الشهداء على الرماح، وجرّ جنازة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة في الشوارع والأزقّة؛ حتّى يتفادى حدوث نهضة أُخرى محتملة، ولإفهام معارضيه أنّ مصيرهم هو نفس مصير الإمام الحسين عليه السلام، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، كان بصدد الانتقام والتشفّي وهتك حرمة عترة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله؛ ومن هنا عندما وضعوا الرؤوس بين يديه، أنشد قائلاً:

(١) آيتي، إبراهيم، بررسي تاريخ عاشورا (دراسة تاريخ عاشوراء): ص١٣٤.

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخـزرج من وقع الأسل
لستُ من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل[1]

ولا ريب في أنّ سياسة الحكومة مقابل استراتيجية أُسرة الإمام الحسين عليه السلام في التبليغ قد مُنيَت بالفشل الذريع؛ لأنّ هذه الأُسرة الشجاعة واصلت بيان مفاخرها وذكر مناقبها ومآثرها، وفضح جرائم الأُمويين، بكلّ صلابة وبسالة، حتّى تجلّى فيها الاقتدار الحسيني والافتخار العلوي؛ ولذا وصف ابن زياد العقيلة زينب الكبرى عليها السلام حين أُدخِلَت قصره بالمرأة المتكبِّرة[2]، ثمّ تطاول على عترة النبي صلى الله عليه وآله واعتبر قتل الحسين عليه السلام من صنع الله، بيد أنّ هذه المرأة البطلة وقفت بوجهه ونعتته بالفاسق والفاجر[3]، وتباهت باستشهاد أخيها، واصفة ما حدث بالأمر الجميل، فقالت: «**ما رأيتُ إلّا جميلاً**»[4].

وكانت شجاعة السيّدة زينب عليها السلام قد دفعت ابن زياد إلى تهديدها بالقتل، كما أنّها ذكرت في الخطبة التي ألقتها في مجلس يزيد أنّه وجماعته يمثّلون حزب الشيطان، وأكّدت أنّها تحتقره وتستصغره، فقالت: «**ولئن جرّت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى. ألَا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٥. القندوزي، سليمان، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٣٢. المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٥٧. الأبيات منقولة عن المصادر المذكورة بتصرّف.

(٢) أُنظر: هاشمي نجاد، عبد الكريم، درسي كه حسين عليه السلام به انسانها آموخت (الدرس الذي علّمه الحسين عليه السلام للناس): ص٣١٩.

(٣) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٩. الشيخ المفيد، محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٢٤٤. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨١ـ٨٢.

(٤) الكوفي، أحمد بن أعثم، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٥٠. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٧٨.

الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا... وهل رأيك إلّا فَنَد، وأيّامك إلّا عَدَد، وجمعك إلّا بَدَد»[1].

وحينما هدّد ابن زياد علي بن الحسين عليهما السلام بالقتل، ردّ عليه قائلاً: «**أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟! أما علمتَ أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة**»[2].

ومجمل القول: إنّ إصرار أهل البيت عليهم السلام على مقارعة الظلم والجور، ودورهم في التبليغ الناجع، أسهم في دحض دعايات الأعداء، والتصدّي لإعلامهم المُغرِض، وتهيئة الأرضية لثورات مختلفة، من قبيل: (ثورة التوّابين)، و(ثورة أهل المدينة)، وذياع شعارات الإمام الحسين عليه السلام الداعية إلى العزّة والتحرّر في أجواء المجتمع الإسلامي، كما أنّ استراتيجية أُسرة الإمام الحسين عليه السلام في الدعوة والتبليغ كانت على مستوى كبير من التأثير؛ بحيث أرغمت يزيد ـ بداعي استرضاء أهل البيت عليهم السلام ـ أن يُرجِعهم إلى المدينة، ويعزو قتل الإمام عليه السلام إلى ابن زياد[3].

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٧٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٥. أُنظر: ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٣٥ـ ٣٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٥ـ ٤٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

(٣) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٣ـ٣٥٤. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٧- ٨٨.

الملامح القيادية للحوراء زينب عليها السلام في واقعة كربلاء

د. الشيخ عصري الباني*

مقدّمة

إنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عندما أسس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، أعطى أُنموذجاً للأُسرة الإسلامية السعيدة والمتكاملة، من خلال اقتران نور الإمام علي عليه السلام بنور السيّدة الزهراء عليها السلام، ففي هذه الأُسرة كانت الفرص متساوية بين الرجل والمرأة للتعالي والسمو، فنجد الإدارة في البيت بعهدة المرأة المثقّفة، التي لها شخصية علمية، وحضور اجتماعي، يرافقه الحياء والحجاب والعفاف، كما نجد لها بعض الأدوار في مراحل مختلفة، كدورها في المباهلة[1]، وحضورها الفعّال خلف جبهات القتال، وغير ذلك.

وقد أكّد القرآن الكريم دورَ المرأة في حياة الإنسان والمجتمع؛ فضرب بها مثلاً للذين كفروا تارةً، وأُخرى للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[2]، فهنا يضرب الله عز وجل مثلاً للذين كفروا بهاتين المرأتين، ثمّ يضرب مثلاً للذين آمنوا بامرأتين أيضاً،

---

* أُستاذ التاريخ في مجمع الإمام الخميني قدس سره للدراسات العليا في قم المقدّسة، من العراق.

(١) قال تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ آل عمران: آية ٦١.

(٢) التحريم: آية ١٠.

إحداهما امرأة فرعون، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، والأُخرى مريم بنت عمران، قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[2].

تراجع دور المرأة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بدأ التراجع نحو العادات الجاهلية بشكل تدريجي في مرحلة الخلفاء، نعم، ربّما نجد بعض الأدوار في الفتوحات، ولكن الجوّ العام للمرأة في ذلك الزمان لم يكن في مصلحة التعالي المعنوي والأخلاقي للمرأة، خصوصاً في المجال الديني والعلمي، وقد أدّى ذلك إلى تحجيم دور المرأة وحصرها في بيتها.

وهكذا كان حال أغلب النساء في الكوفة والبصرة، فقد كان همّهنّ هو ترغيب أزواجهن في طلب الدنيا وتحصيل المنافع المادّية، وهذا ما نجده في زمن قيام الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان معظم النساء في المدينة ومكّة، والبصرة والكوفة، غير مؤهّلات من الناحية الفكرية والمعنوية لاتّخاذ مواقف تُخالف مواقف أزواجهنّ غير المشرّفة، كما نجد في الحجاز جملة من النساء اللواتي اتّخذن قراراً بعدم المبالاة بما يجري حولهنّ من أحداث، كما هو الحال بالنسبة للرجال.

وعلى هذا الأساس؛ فقد أصبحت المرأة في المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة عنصراً من الدرجة الثانية، مكملة لعنصر حبّ الدنيا والسعي خلفها، وحائلاً بين الرجال وبين طرق الخير والسعادة، وعاملاً مساعداً على ترويج ثقافة السكوت وعدم المبالاة، والارتباط بالباطل.

---

(١) التحريم: آية١١.

(٢) التحريم: آية١٢.

دور السيّدة زينب عليها السلام في إرجاع المرأة لأداء دورها

يعدُّ دور السيّدة زينب عليها السلام في واقعة عاشوراء من أهمّ الأدوار، حيث يمكن من خلاله توضيح دور المرأة في المجتمع الإنساني، وفي مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية، فلقد كان للحوراء زينب عليها السلام دورٌ مهمّ وكبير في الملحمة الحسينية، فإذا اعتبرنا الإمام الحسين عليه السلام رمزاً للرجال، فالحوراء زينب عليها السلام تمثّل الرمز في هذه الحركة بالنسبة إلى النساء.

وفي طول نهضة الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ دور السيّدة زينب عليها السلام يبرز تدريجياً مع وصول الإمام إلى كربلاء، ويلاحظ أنّه كلّما اقترب يوم عاشوراء توسّع هذا الدور بشكل أكبر، وقد برز هذا الدور من خلال مجموعة من المواقف:

الأوّل: موقفها الداعم للإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر

رُوي أنّ الإمام الحسين عليه السلام دخل خيمة أُخته زينب عليها السلام، «**فاستقبلته زينب ووضعت له متّكأً، وجلس يُحدّثها سرّاً، فما لبثت أن اختنقت بعبرتها، ونادت: وا أخاه! وا حسيناه! أُشاهد مصرعك، وأُبتلى برعايتي هذه المذاعير من النساء، والقوم يابن أُمّي كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم، يعزّ عليَّ مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم. ثمّ قالت: يابن أُمّي، هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم، فإنّي أخاف أن يسلّموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة؟ فبكى الحسين عليه السلام، وقال: أَما والله، لقد بلوتهم فما رأيتُ فيهم إلّا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أُمّه**»[1].

فعلى الرغم من تأثّرها العاطفي البادي بوضوح في هذا النص، نجدها تُساند أخاها ولا تفتّ في عضده، بل تتقبّل المسؤولية، وتسأله عن أصحابه ونيّاتهم.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال: «**إنّي جالس في تلك العشية التي قُتل أبي صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تُمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده**

(١) شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص٢٣١.

حوى[1] مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهـرُ أُفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بـالإشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ ... والـدهـرُ لا يقنعُ بالبديلِ
وإنّـما الأمـرُ إلى الجليلِ ... وكـلُّ حـيٍّ سـالـكُ السبيلِ

قال: فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها، فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أنّ البلاء قد نزل، فأمّا عمّتي فإنّها سمعتْ ما سمعتُ، وهي امرأة، وفي النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها، وإنّها لحاسرة حتّى انتهت إليه، فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أُمّي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي. قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام، فقال: يا أُخية، لا يُذهبنَّ حلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبد الله، استقتلت، نفسي فداك؟ فردّ غصّته وترقرقت عيناه، وقال: لو تُرك القطا ليلاً لنام. قالت: يا ويلتي أفتغصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته، وخرّت مغشياً عليها. فقام إليها الحسين، فصبّ على وجهها الماء، وقال لها: يا أُخية، اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة. قال: فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخية، إنّي أقسم عليك فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت. قال: ثمّ جاء بها حتّى أجلسها عندي»[2].

(١) في بعض المصادر (جون) أو (جوين)، وفي بعضها (جون بن حوي).
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص ٣١٨ـ ٣١٩.

وقد كان لهذا الموقف ـ من تعهّدها بعدم القيام بالأعمال التي تُشير إلى الجزع، وعدم الرضا بقضاء الله تعالى، ودعمها لموقف الإمام الحسين عليه السلام ـ الأثر الكبير في جميع مَن كان في معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: دعم الإمام الحسين عليه السلام عند استشهاد أهل بيته

فقد وجدنا دورها عليها السلام يتجلّى من خلال إبراز العواطف والمواساة للإمام الحسين عليه السلام، وهو يرى شباب بني هاشم وأطفالهم يُقتلون في ذلك اليوم، أوّلهم ولده علي بن الحسين عليهما السلام، فعن حميد بن مسلم الأزدي، قال: «**سمع أذني يومئذٍ من الحسين، يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بُني، ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفاء. قال: وكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة، كأنّها الشمس الطالعة، تنادي: يا أُخيّاه، ويابن أخاه! قال: فسألت عنها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)، فجاءت حتّى أكبّت عليه، فجاءها الحسين، فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط**»[1].

فقد كانت جميع النساء ملتزمات بالبقاء في الخيام، وكانت زينب عليها السلام هي حلقة الوصل بين المخيّم والإمام عليه السلام، وهي الوحيدة التي كانت تراقب بصبر وثبات وحزن ودموع استشهاد الإمام عليه السلام.

الثالث: مواجهة قيادات جيش العدو

فقد رُوي أنّها خرجت عند مصرع الحسين عليه السلام، وهي تقول: «**ليت السماء تطابقت على الأرض. وقد دنا عمر بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد، أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! قال [الراوي]: فكأنّي أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدّيه ولحيته. قال [الراوي]: وصرف بوجهه عنها**»[2].

وقد أثار كلامها عليها السلام هذا القلب القاسي الذي عبَّر عن تأثره العاطفي بالبكاء.

---

(١) المصدر السابق: ص٣٤٠ـ٣٤١.

(٢) المصدر السابق: ص٣٤٥.

الرابع: المحافظة على النساء والأطفال

بعد استشهاد الإمام عليه السلام وهجوم الأعداء، قامت عليها السلام بدور المحافظة على النساء والأطفال كما أوصاها الإمام الحسين عليه السلام، وقد تجلّى هذا الموقف في مجموعة من الحوادث، منها: ما رُوي من أنّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قالت: «ولمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هبْ لي هذه الجارية ـ يعنيني، وكنت جارية وضيئة ـ فأرعدت، وظننت أنّ ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون، (وفي رواية السيّد)[1] قلت: أُوتمت وأُستخدم؟ فقالت عمّتي للشامي: كذبت والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد، وقال: كذبتِ والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت. قالت: كلا والله، ما جعل الله لك ذلك، إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغيرها. فاستطار يزيد غضباً، وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟! إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك. قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجدّك إن كنت مسلماً. قال: كذبتِ يا عدوة الله. قالت له: أنت أمير! تشتم ظالماً وتقهر لسلطانك. فكأنّه استحيا وسكت، وعاد الشامي، فقال: هبْ لي هذه الجارية. فقال له يزيد: اعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً»[2].

إذ لولا وجود زينب عليها السلام لكان يزيد قد نفّذَ ما طلبه الشامي، ولكن الموقف البطولي للعقيلة عليها السلام حال دون ذلك.

كما نجد لزينب عليها السلام مواقف أُخرى في حفظ البقيّة الباقية من عيالات رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ إنّ عاشوراء لم تُبقِ أحداً من أهل البيت من الرجال إلّا أولئك الذين لم يتمكّنوا من المشاركة في المعركة، أو مَن بقيَ منهم في المدينة، أمثال: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية، اللذين كانا عاجزين عن المشاركة، ولم يبقَ إلّا الأطفال، فلولا

(١) هذه العبارة من العلّامة المجلسي رحمه الله.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٦.

موقف زينب عليها السلام من المحافظة على هؤلاء الأطفال، لما بقيَ لأهل البيت ذكر وأثر، خصوصاً أنّ الشعار الذي رفعه جيش يزيد هو: (أن لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية)، ولكن على الرغم من ذلك نجد أنّ هذه المجموعة الصغيرة أصبحت البقيّة النامية الزاكية المنتشرة التي رفعت راية الإسلام في كلّ عصر وزمان.

الخامس: حماية حجّة الله على أرضه

قامت السيّدة زينب عليها السلام بدور عظيم في النهضة الحسينية؛ من خلال المحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، الذي يمثّل بقيّة النبوة وبيت الوحي والرسالة، ويمثّل امتداد الإمامة، وقد نقل لنا التاريخ موقفاً يؤكّد هذه الحقيقة؛ وذلك عندما أمر ابن زياد بقتل الإمام زين العابدين عليه السلام، «**وتعلّقت به زينب عمّته، فقالت: يابن زياد، حسبك منّا، أَما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منّا أحداً؟! قال: فاعتنقته. فقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه. قال: وناداه علي، فقال: يابن زياد، إن كنت بينك وبينهم قرابة، فابعث معهنّ رجلاً تقيّاً يصحبهنّ بصحبة الإسلام. قال: فنظر إليها ساعة، ثمّ نظر إلى القوم، فقال: عجباً للرحم! والله، إنّي لأظنّها ودّت لو أنّي قتلته أنّي قتلتها معه، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك**»[1].

وبهذا يمكن أن نعرف أهمّية هذا الدور الخاص، الذي يمكن أن تقوم به المرأة من متابعة هذه المواقف تاريخياً، حتّى تكون قدوةً للنساء في هذا العصر؛ لأنّ النهضة الحسينية في كلّ عصر وزمان ليست نهضة محدودة بأيام معدودة، وانتهت في سنة (٦١هـ)، بل هي مستمرّة وباقية، ولنا في كلّ يوم عاشوراء، وفي كلّ أرض كربلاء.

السادس: المحافظة على القيم والأخلاق

في عصر الإمام الحسين عليه السلام اهتزّت القيم الأخلاقية عند الناس؛ بسبب حبّ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٠.

الدنيا، والإقبال على الشهوات واللذات، وكثرة الأموال، والتوسّع في القدرة والسلطة، وغير ذلك من الأُمور التي أدّت إلى ضعف الحالة الأخلاقية؛ ولذلك نجد سلوكين متعاكسين من بداية واقعة الطف حتّى نهايتها:

الأوّل: تعامل معسكر يزيد مع الإمام الحسين عليه السلام، حيث كان سلوكهم يتّصف بالسقوط الأخلاقي.

الثاني: تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه، حيث كان يتّصف دائماً بالسمو الأخلاقي.

فالإمام الحسين عليه السلام قام من أجل المحافظة على القيم الفاضلة، وضحّى من أجل المصالح العامّة، وهو ما أكّده في وصيّته لأخيه محمد بن الحنفية، حيث جاء فيها: «... **وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب** عليه السلام»[1]. وبعد استشهاده عليه السلام كان لا بدّ لمسيرة الأخلاق أن تستمرّ وتتكامل.

ولذا نجد أنّ زينب عليها السلام كان لها دور كبير جدّاً في المحافظة على هذه القيم، ويتّضح ذلك جلياً من خلال مواقفها، فمن ذلك مثلاً: وقوفها في مجلس عبيد الله بن زياد الذي يعدُّ نفسه منتصراً، وهو متفاخرٌ بزهوة الانتصار، خصوصاً وأنّه إنسان شرير، وشاب نزق، وقد حاول التعبير عن نزقه بالشماتة بزينب والحسين عليهما السلام، وما جرى عليهم، فيقول: «**كيف رأيتِ صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟**» فتجيبه ـ معبرةً عن إيمانها بالله تعالى، وصبرها على المصيبة، وإدراكها لأهداف هذه النهضة ـ قائلة: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون وتخاصمون، فانظر لـمَن الفلح يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة...**»[2].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص ٣٢٩ـ٣٣٠.
(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٢.

كما أنّها عليها السلام تشير ضمناً في خطبتها ـ التي توبّخ بها أهل الكوفة ممّن خذل الحسين عليه السلام، ونقض المواثيق والعهود ـ إلى الوعظ، والتأكيد على المفاهيم الأخلاقية، التي يجب أن يتّصف بها هؤلاء الناس، فقالت: «**أبدأُ بحمد الله، والصلاة والسلام على نبيّه، أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختر والخذل، أَلا فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّةٍ أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، أَلا وهل فيكم إلّا الصلف، والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، وهل أنتم إلّا كمرعى على دمنة، وكفضة على ملحودة، أَلا ساء ما قدّمت أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون؟! إي والله، فابكوا، وإنّكم والله أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها**[1]، **ولن ترحضوها**[2] **بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، ومنار محجتكم، ومدره حجّتكم، ومفرخ نازلتكم، فتعساً ونكساً، لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب الله، وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة، لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السماوات يتفطّرن منه، وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً، أتدرون أيَّ كبدٍ لرسول الله فريتم؟! وأيَّ كريمةٍ له أبرزتم؟! وأيَّ دمٍ له سفكتم؟! لقد جئتم بها شوهاء خرقاء، شرها طلاع الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أخزى، وهم لا ينظرون، فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا تحفزه المبادرة، ولا يخاف عليه فوت الثأر، كلا، إنّ ربّك لنا ولهم لبالمرصاد**»[3].

وكذلك خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية، الذي كان ممتلئاً بالقادة والوجهاء والوزراء والسفراء ـ وقد جمعهم يزيد من كلّ مكان، من أجل أن يُظهر زهو الانتصار ـ حيث تقف موقفاً صامداً وبطولياً، إلى غير ذلك من المواقف العظيمة التي تهدف إلى المحافظة على القيم.

---

(١) «الشنار: العيب والعار». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٤٣٠.

(٢) «الرحض: الغسل». ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث: ج٢، ص٢٠٨.

(٣) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٢٣ـ٢٤.

السابع: الدور الإعلامي في واقعة عاشوراء

أحد الأسباب الرئيسة لاستمرار ونجاح النهضة الحسينية، هو الجانب الإعلامي الذي قام به الإمام زين العابدين عليه السلام أوّلاً؛ باعتباره يمثّل البقيّة الباقية من أهل البيت عليهم السلام، ثمّ قامت به ـ ثانياً ـ السيّدة زينب عليها السلام في تغطية النهضة إعلامياً، وتوضيح معالمها وأهدافها، وإبلاغ رسالتها للناس.

والإعلام الناجح يحتاج إلى المنهج الصحيح والأُسلوب المناسب، كأن يكون بمستوى حال المخاطبين في مراعاة ظروفهم وعقولهم وأوضاعهم النفسية، ومنصبّاً على القضايا الهامّة التي تتفاعل معها الأُمّة؛ ولذلك نجد أنّ العقيلة زينب عليها السلام ـ وهي رمز المرأة في النهضة الحسينية ـ عندما أرادت القيام بهذه المهمّة الإعلامية، اتّكأت على أربع مراحل في إعلامها وخطابها السياسي، وكانت تنتقي المضمون بما يتناسب وهذه المراحل الأربعة، وهي كما يلي:

المرحلة الأُولى: مرحلة الإعلام في الأوقات والأيام التي كانت قبل المعركة، أو بعدها بقليل؛ حيث كان لها حديث في ليلة ويوم عاشوراء، وكذلك في أثناء المعركة، وفي ليلة الحادي عشر، ويوم الحادي عشر، عندما بدأوا المسير باتجاه الكوفة، وكان حديثها يرتكز بصورة مباشرة على إثارة المشاعر والعواطف في الأشخاص الذين اشتركوا في المعركة، وقد مرّت بعض النصوص الدالة على ذلك.

ثمّ حديثها يوم الحادي عشر، عندما أرادت توديع الحسين عليه السلام، فعن قرّة بن قيس التميمي، قال: «... **فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة، حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً، وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرمّل بالدما، مقطّع الأعضا، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريّتك مقتّلة، تسفى عليها الصبا. قال: فأبكت ـ والله ـ كلّ عدوٍ وصديق**»[1].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٨ـ٣٤٩.

فالقضية هنا وإن كانت قضية التقرّب إلى الله عزّ وجلّ، والعلاقة به، فإنّه مع ذلك كلّه نجد أنّ حديثها عليها السلام يدور حول إثارة المشاعر والعواطف الخيّرة التي أودعها الله (سبحانه وتعالى) في فطرة الإنسان، وإيقاظ الضمائر، وتغيير الواقع النفسي والروحي الذي كان عليه أولئك الناس.

وهي وإن لم تحقّق هذا الهدف أثناء المعركة، أو في ظروفها القريبة، ولكن كان لهذه المرحلة الأثر الكبير في التغييرات الروحية والنفسية القتالية فيما بعد.

المرحلة الثانية: خطابها عليها السلام في الكوفة، حيث كان الوضع السياسي والنفسي العام فيها موالياً لأهل البيت عليهم السلام، ومتعاطفاً معهم، إضافة إلى ذلك، فإنّ أهل الكوفة قدّموا المواثيق والعهود لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت قلوبهم معه، لكنّهم تخاذلوا عنه في اللحظة الأخيرة؛ لأسباب عديدة لا مجال لذكرها.

فالعقيلة زينب عليها السلام حينما خطبت في أهل الكوفة، كان الحديث يرتكز على التأنيب؛ لنكثهم العهود، ونقضهم المواثيق؛ ممّا جعل الكثير منهم يتأثّر بخطابها، ويبكي بشدّة، ويندم على ما قام به، وبدأوا يتحرّكون فوراً للتعبير عن ذلك؛ ولذلك كان خطابها خطاباً سياسياً بليغاً، اختارته بصورة مناسبة، تتطابق مع الأوضاع السياسية والروحية في ذلك الوقت.

المرحلة الثالثة: مرحلة الحديث مع أهل الشام، أي: الحديث مع الأعداء التقليديين الشامتين، وأحاديثها وخطاباتها السابقة وإن كانت مع الأعداء أيضاً، لكن عموم المستمعين منهم كان ممّن يوالي أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا كانت الظاهرة العامّة في الكوفة ـ بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ـ هي ظاهرة حزن وبكاء ونحيب، ولكن الأمر كان مختلفاً مع أهل الشام، فالشاميّون كان موقفهم عدائياً من أهل البيت عليهم السلام، وكانت الظاهرة الاجتماعية العامّة ظاهرة سرور وفرح؛ بحيث زُيّنت الشام استبشاراً بقتل الحسين عليه السلام.

ولذا؛ تغيّر مضمون الحديث وأُسلوبه، فأصبح عبارة عن كشف الحقائق من ناحية، ومن ناحية أُخرى إبراز شجاعة أهل البيت عليهم السلام، وصمودهم، وثباتهم، واستمرارهم في هذا الطريق، والوقوف إلى جانب الحقّ، والحديث عن المستقبل الذي لا بدّ أن يتحقق فيه النصر للمؤمنين من ناحية ثالثة.

المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد الأسر، عندما استقرّت زينب عليها السلام في المدينة، ثمّ نُفيت منها قهراً، نجد أنّ خطابها عليها السلام في المدينة قد تغيّر، وأصبح لعموم المسلمين، ولم يختصّ بأهل الكوفة أو الشام، وإنّما هو خطاب مع جمهور المسلمين، الذين كانوا يريدون أن يعرفوا الحقائق والحوادث التي جرت في كربلاء.

المضمون الإعلامي لخطاب السيّدة زينب عليها السلام

هناك أُمور مهمّة وأساسية أكّدتها العقيلة زينب عليها السلام في خطاباتها:

١ـ قضية الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام، وانتمائهم إلى أُسرة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذه من القضايا المهمّة التي أكّدها الإمام الحسين عليه السلام في خطابه السياسي مع أعدائه.

ونجد أنّ السيّدة زينب والإمام زين العابدين عليهما السلام كانا يؤكّدان هذه المفردة التي لا يمكن أحداً من الناس أن يتجاوزها؛ لأنّ القرآن الكريم أشار إلى هذه القضية في آيات عدّة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]؛ ولذلك نجد أنّ يزيد حاول التعتيم على هذه القضية، وإظهار الحسين عليه السلام وأهل بيته على أنّهم جماعة خرجت على السلطة وتمرّدت عليها فقُتلوا، ولم يُبيّن حقيقة انتمائهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا ما كشفت عنه السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها التي ألقتها في مجلس يزيد، فقد جاء فيها: «... **أَمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك نساؤك وإماؤك، وسوقك بنات رسول**

(١) الأحزاب: آية٣٣.
(٢) الشورى: آية٢٣.

الله ﷺ، قد هتكت ستورهنّ، وأصحلت صوتهنّ... وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة[1]، بإهراقك دماء ذرية رسول الله ﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب... وسترد على رسول الله ﷺ برغمك، وعترته ولحمته في حظيرة القدس، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث... وسيعلم مَن بوّأك ومكّنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكم الله والخصم محمد ﷺ... وقد وجدت أفضل زاد زوّدك معاوية قتلك ذرية محمد ﷺ... فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله، لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً، والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان الجنان، فأوجب لهم الجنّة...»[2].

فقد ذكرت انتماءهم إلى رسول الله ﷺ في هذا المقطع خمس مرّات، وقد يُتساءل عن السبب في استغراقها عليها السلام في التعريف بأنفسهم وانتمائهم بهذا الشكل.

والإجابة هي: أنّ زينب عليها السلام أرادت بهذا التعريف أن تكشف للناس ارتباطهم بالنبي ﷺ وقرابتهم منه، الأمر الذي تستّر عليه يزيد والأُمويون، والذي أدّى إلى تغيّر الوضع السياسي حتّى في مجلس يزيد نفسه؛ مما اضطرّه إلى اتّخاذ موقف آخر، وهو تخفيف الضغط عن أهل البيت عليهم السلام، وإظهار الندم.

٢ـ توضيح الأهداف الرئيسة للنهضة الحسينية، فهذه النهضة لم تكن من أجل المصالح الخاصّة أو الصراعات القبلية، أو من أجل الحكم والسلطة، أو من أجل المكاسب المادّية، إلى غير ذلك ممّا قد يتوهّمه البعض، وإنّما كانت من أجل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجل إقامة الحقّ، إلى غير ذلك من المضامين؛ ولذلك نجد العقيلة تتحدّث عن هذا الجانب في مجلس يزيد، فتقول: «**اللّهمّ، خذ بحقّنا، وانتقم من ظالمنا، واحلُل غضبك بمَن سفك دماءنا، ونقض ذمامنا، وقتل حماتنا،**

(١) هكذا جاءت الكلمة في المصدر المنقول عنه، وجاءت مكانها كلمة (شأفة) في كثير من المصادر الأُخرى.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ٢١ـ٢٢.

وهتك عنّا سدولنا... بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى، وصدورهم عند ذكره حرّى، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوّة بسخط الله، ولعنة الرسول، قد عشّش فيه الشيطان وفرّخ... فالعجب كلّ العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء، بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة...»[1].

٣ـ طرح قضية المظلومية، وهنا كان للسيدة زينب عليها السلام دور متميّز في ذلك، فالمرأة عندما تطرح قضية المظلومية يكون تأثيرها أكثر من الرجل؛ لأنّ المجتمع ينظر إليها على أنّها كائن ضعيف رقيق، فيكون لإبداء المظلومية تأثير أكبر في النفوس؛ ولذلك كان للعقيلة زينب عليها السلام دور عظيم جدّاً في طرح هذا الأمر، وتحريك الضمائر، وهزّ المشاعر، وإثارة العواطف.

٤ـ قضية الأمل والمستقبل، وأنّ النصر والعاقبة سيكونان حليفين للنهضة الحسينية، وهذا ما أكّدته العقيلة زينب عليها السلام في خطابها ليزيد، حيث تقول: «**...فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا تُدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم يناد المناد أَلا لعنة الله على الظالمين**»[2].

فبالرغم من الظروف المأساوية والصعبة التي كانت تعيشها عليها السلام، وما مرّ عليها من قتل أهل بيتها إلى سبيها وأسرها، نجدها بكلّ قوّة وصلابة تؤكّد أنّ النصر سيكون حليفاً لنا، مهما كانت الظروف، وما صنع الله بنا إلّا خيراً، والنتائج دائماً في مصلحتنا، وسوف يكون المستقبل إلى جانبنا.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥٩.
(٢) المصدر السابق: ص١٣٥.

الرّباب رمز الوفاء

زهراء السالم*

تمهيد

لقد كان للنساء دور عظيم في نصر ثورات الحقّ وترشيدها على مرّ العصور، فما زالت المرأة ـ منذ أن وضع نبيّنا آدمعليه السلام قدميه على هذه المعمورة، وليومنا هذا ـ تشاطرُ الرجلَ في كثير من حركاته السياسية والاجتماعية وما شاكلها، بقدر ما تستطيع أن تقدّمه على أرض الواقع؛ ومن تلك الثورات العظيمة التي كان للمرأة دور بارز ومصيري فيها هي ثورة كربلاء، التي أجّج شعلتها الإمام الحسينعليه السلام، لتبقى مناراً لكلّ البشرية على مرّ الزمن.

ومن بين العناصر النسوية التي كان لها دور عظيم في كربلاء هي زوجة قائد تلك الثورة، السيدة الرباب بنت امرئ القيس الكلبية، المرأة التي جسّدت بحضورها في كربلاء الكثير من القيم الإنسانية، كالصبر والتضحية والفداء، لكنّ أكثر ما تجلّى في تلك الشخصية هو مبدأ الوفاء، وها نحن نتطرّق لشخصية تلك السيدة الجليلة، مع تسليط الضوء على ما امتازت به من تجسيد لتلك القيم الإنسانية العظيمة.

اختاروا لنطفكم

الزواج من السنن التي دعَت لها الشريعة الإسلامية، بل أكّدت عليها كثيراً، لكن بشرطها وشروطها؛ ومن الشروط الأساسية والمهمّة التي عنونتها رسالة الإسلام

---

* باحثة إسلامية، من العراق.

هو اختيار الزوجة من نسب أصيل، فقد جاء على لسان نبيّ الرحمةﷺ: «**اختاروا لنطفكم**»[1]، وقولهﷺ أيضاً: «**أَنْكِحُوا الأَكْفَاءَ وانْكِحُوا فِيهِمْ، واخْتَارُوا لِنُطَفِكُمْ**»[2]؛ إذ لا شك في أنّ الوراثة من العوامل التي تؤدّي دورها الكبير في شخصية الفرد وتكوينه، وهذا ما أثبتته تجربة الإنسان على مرّ العصور.

وقد درجت سنّة المعصومينعليهم السلام على ذلك، فهذا أمير المؤمنينعليه السلام يقول لأخيه عقيلرضي الله عنه: «**أُنظر إلى امرأةٍ قد وَلَدتها الفحولةُ من العرب**»[3]، فأرشده إلى السيدة أُمّ البنين الكلابية؛ لشجاعة آبائها، وكذا الحال في السيدة الرباب عليها السلام، لمّا جاء أبوها إلى المدينة المنوّرة في عهد الخليفة الثاني، بادر الإمام عليعليه السلام إلى خطبة بناته[4]؛ وذلك لما كان يعرفهعليه السلام عن تلك القبيلة وعن تلك الأُسرة بالذات.

امرؤ القيس بن عدي الكلبي، أبو الرباب عليها السلام، الرجل الذي وُلِّيَ على مسلمي قضاعة فور دخوله الإسلام، والذي زوَّج بناته الثلاثة بأمير المؤمنين ونجليهعليهما السلام، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على بصيرة ذلك الرجل في تشخيصه لصاحب الحقّ، والأهل، والكفؤ.

وقد ذكرت كتب التاريخ ذلك الموقف، حيث جاء امرؤ القيس في أيام خلافة عمر، فعرّف نفسه بأنه امرؤ نصراني، وأنّ اسمه امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فلم يعرفه عمر، فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية، قال: فما تريد؟ قال: أُريد الإسلام، فعرضه عليه، فقبله، ثمّ دعا له برمح، فعقد له على مَن أسلم من قضاعة، فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه؛ حتّى قال الراوي من شدّة تعجبه: ما رأيت رجلاً لم يصلّ صلاة أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله؛ ثمّ يذكر الراوي أنّ أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام قد نهض آنذاك ومعه ابناهعليهما السلام حتّى أدركه،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٣٣٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن عنبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب: ص٣٥٧.
(٤) أُنظر: الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٨١٦.

فقال له: أنا علي بن أبي طالب، ابن عمّ النبيﷺ، وهذان ابناي من ابنته، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا. قال: قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس[1].

كما عُرف عن قبيلة الرباب ـ أي القبيلة الكلابية ـ أنّها من القبائل الأصيلة، التي يشهد التاريخ لمواقف أبطالها، فمنهم مَن سبق للإسلام كالصحابي الجليل زيد بن حارثة الكلبي، الشهيد القائد في غزوة مؤتة[2]، والصحابي دحية بن خليفة الكلبي[3]، المبعوث من قبل رسول اللهﷺ إلى قيصر الروم[4]، ومنهم مَن يشهد التاريخ لمواقفه البطولية الشهمة، كما جاء عن موقفهم تجاه نصرة الإمام عليعليه السلام وأتباعه، وذلك حينما أغار الضحّاك بن قيس على أهل العراق، وقتل مَن قتل، ونهب ما نهب، ولم تسلم منه حتّى قوافل الحجيج، فدعا الإمامعليه السلام آنذاك أهل الكوفة للخروج مع عمرو بن عميس، لكنّهم تقاعدوا عنه، ولم يجبه إلّا النزر القليل، فعقد لحجر بن عدي الكندي على جيش سار به حتّى مرّ بالسماوة ـ وهي أرض كلب ـ فلقي فيها امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي ـ وهم أصهار الحسينعليه السلام ـ فكانوا أدلّاء حجر بن عدي على طريقه وعلى المياه[5]، وليس ذلك إلاّ موقفاً مسجّلاً في تاريخ الحقّ والباطل، وما الحياة إلّا مواقف.

---

(١) أُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج١، ص٣٥٥. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١١٩. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٦، ص٣٦١.

(٢) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية: ج٤، ص٦٢٣.

(٣) الصحابي الذي كان جبرئيلعليه السلام ينزل بصورته على رسول اللهﷺ. أُنظر: الشيخ الصدوق، محمد ابن علي، الأمالي: ص٤٢٦.

(٤) أُنظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى: ج١، ص٣٠.

(٥) أُنظر: الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٤٢٦. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١١٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣٤، ص٣١.

فعندما تكون العائلة هكذا فلا عجب إذن أن تبرز منها سيدة فاضلة كالرباب عليها السلام، لتسجّل مواقفها الشهمة من تشخيص الحق، والولاء المطلق لإمام العصر عليه السلام، والسير معه رغم كلّ المخاطر المنبثقة من إرهاصات ذلك السفر نحو الكرب والبلاء.

وأنا اخترتك

عندما يكون الهدف عظيماً كعظمة كربلاء، وعندما يكون المسيرُ ذاتَ الشوكة كمسير كربلاء، سوف يكون القائدُ لمثل هذه المهمّة الصعبة صفوةً مختارة كسيد الشهداء عليه السلام، وسوف يكون أنصارُه ﴿لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[1]؛ لأجل أن يتحقّق الغرض، وإلّا انتقض.

والسيدة الرباب عليها السلام من المصطفيات المختارات لصحبة الإمام الحسين عليه السلام، لتحمل وسام أُمّ الشهيد، وزوجة الشهيد، وليقترن اسمها بثورة الطف العظيمة، فالاصطفاء من المفاهيم القرآنية التي تؤكّد لنا أنّ هناك عناصرَ بشرية قد سمت أرواحها بالمعرفة والإيمان والسلوك الحسن؛ لأجل أن تتقبل فيض الاصطفاء والاختيار الإلهي، فكانت زوجة السبط الشهيد من تلكم الثلّة المصطفاة؛ تلك السيدة التي غبنها التاريخ في ذكر فضائلها، لكنّه ما وجد بدّاً من أن يذكر كلمات مفتاحية تجعلنا نفهم القصّة إلى آخرها، ونطّلع على جوانب بطلتها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية.

أجل، لم يذكر التاريخ إلّا اليسير، لكنّه جمع كلّ الفضائل بعبارة واحدة: «**كانت الرّباب من خيار النساء وأفضلهنّ**»[2]، أفضلهنّ في الطاعة والولاء، في العفّة والحياء، في الصبر على كلّ المصائب والبلاء، وغير ذلك ممّا تحتويه فضليات النساء من شمائل وسجايا كمالية، وهذا هو الأمر الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام لأن يصطحبها معه إلى حيث رسالة كربلاء العظيمة، التي رُصّعت ببصمات النساء المسبيّات، بما فيهنّ رباب

(١) ص: آية٤٧.
(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٦، ص٣٦١.

الحسين عليه السلام، لتكون مصداقاً لقوله (جلّ وعلا): ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾[1]؛ إذ لا شك أنّ من حضر ركب الحسين عليه السلام كان ممّن اختاره الله تعالى، فكانت الرباب من المختارين لتحمّل هذه المسؤولية، لتستمع لوحي الحسين عليه السلام حيث يقول: «**إنّ الله قدْ شاءَ أنْ يراهنّ سبايا**»[2].

قرّة أعين

سطّر الوحي المبارك في أغلى دفّتين عُرفت في تاريخ البشرية هذا الدعاء المبارك لعباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3]؛ إذ إنّ من صفاتهم، بل وصفات كلّ الأنبياء والمرسلين، الاهتمام بالأُسرة وصلاحها، ولذا نقرأ ما ورد في أدعيتهم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[4]، فيُستجاب دعاؤه الذي أكّده نبي الرحمة بقوله: «**أنا دعوة إبراهيم**»[5]، ونكون نحن أُمّة مسلمة ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[6]، وقد استجاب الله تعالى لسيّد الشهداء عليه السلام، فكانت قرّة عينه الرباب عليها السلام خير الزوج، وخير الوعاء للذّرية الصالحة؛ أو ليس الوعاء ينضح بما فيه؟! وهذا ما جعل الإمام الحسين عليه السلام يقول:

لعمركَ إنّني لأُحبُّ داراً ... تحلُّ بها سكينة والربابُ
أُحبُّهما وأبذل جلَّ مالي ... وليس لعاذلٍ عندي عتابُ[7]

---

(١) طه: آية١٣.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.
(٣) الفرقان: آية٧٤.
(٤) البقرة: آية١٢٨.
(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص١٩٩.
(٦) الحج: آية٧٨.
(٧) ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٩.

أجل، إنّها سكينة، ذلك النور الذي انبثق من «**الأَصْلابِ الشَّامِخَةِ، وَالأَرحامِ المُطَهَّرَةِ**»[1]، ليصبح من أنوار كربلاء الساطعة في العطاء، والعبادة، والسكون، والمناجاة، والعفّة، والحياء، والبلاغة، والشجاعة، والصبر، والإيثار، وكلّ ما يمكن للقلم أن يكتب، وما للمفاهيم أن تحتوي. فالسيّدة سكينة عليها السلام مصداق متجسّد لكلّ ما تحمله مفاهيم الكمال الإنساني من قيم وسجايا صالحة، وكأنّها آية متحرّكة في الواقع الإنساني.

وعبد الله الرضيع، النور الآخر المصطفى من قبل الله تعالى، وهو في صغر سنّه، ليكون نبراساً ورمزاً من رموز كربلاء الخالدة، رمزاً لعطش أطفال الحسين عليه السلام، ورمزاً لاستشهاد براءة الطفولة، فكلّ شهداء كربلاء حتّى صغيرهم من أبناء الحسن عليه السلام قد حاولوا الدفاع عن أنفسهم، ولو بالشيء اليسير، إلّا رضيع الرباب عليها السلام، فقد كان مستسلماً لوسام الشهادة، وأنّ كلّ شهداء كربلاء قد نووا الشهادة بأنفسهم، إلّا رضيع الرباب، فلقد نوى عنه أبوه سيّد الشهداء عليه السلام، ومَن أخلص نيّةً وأصفى قصداً منه عليه السلام!

هذا كلّه يشير إلى أنّ ذلك الطفل قد اختير من قبل الله تعالى لأجل أن يكون من كوكبة شهداء كربلاء، ولأجل أن يُرفع دمه الطاهر إلى السماء، ويُدفن على يدٍ لم يُعرف منها إلّا الجود والسخاء والطهارة[2]، ليكون قبره أقرب قبر لسيّد الأحرار عليه السلام، وما ذلك إلّا للصلب الشامخ الذي انحدر منه ذلك الرضيع، والوعاء الطاهر الذي كان يحتضنه، واللّبن الزاكي الذي كان يشرب منه.

---

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٢٩.

(٢) «فأتى بابنه عبد الله ـ وأُمّه الرباب بنت امرئ القيس ـ فأخذه وأجلسه في حجره، وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملةُ بن كاهل الأسدي بسهم، فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب عليها السلام: خُذيه. ثمّ تلقّى الدم بكفّيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، ثمّ قال: هوّن عليّ ما نزل به أنّه بعين الله، ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهل بيته، وفي رواية: أنّه حفر له بجفن سيفه، ورمّله بدمه فدفنه». الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٩.

وهكذا أصبحت الرباب وذرّيتها ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ للإمام الحسين عليه السلام الذي كان ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

فداكَ نفسي ومالي

عندما يكون الحديث عن دعم الزوجة لزوجها، سواء على المستوى المادي أو المعنوي، تُعرِّج الأذهان إلى الكبرى خديجة عليها السلام، تلك السيدة التي أسّست مدرسة الدعم المادي والمعنوي للزوج القائد، مهما بلغت الكلفة، حتّى سطّر الوحي المحمدي: «**وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها**»(١).

ولم تكن بنات خديجة عليها السلام بغافلات عن مدرسة أُمّهنّ، خاصةً إن كنّ من فُضليات نساء عصرهنّ، كما هي الرباب بنت امرئ القيس، حيث آزرت الإمام عليه السلام بمالها ونفسها، وإن كان ما يذكره التاريخ شيئاً يسيراً في هذا الخصوص.

فلقد اقترن اسم عقبة بن سمعان بالإمام الحسين عليه السلام أكثر ممّا اقترن باسم الرباب عليها السلام، في حين أنّه كان مولىً لها(٢)، لكنّه كان في خدمة أبي عبد الله عليه السلام أكثر ممّا هو للرباب، حيث نقرأ في كتب التاريخ أنّ عقبة بن سمعان كان مرافقاً لسيّد الشهداء عليه السلام في مسيره إلى كربلاء، وهو الذي أخرج كتب أهل الكوفة التي دعوا فيها الإمام عليه السلام للمجيء، ونثرها بين يدي الحرّ الرياحي، وذلك بأمر من الإمام عليه السلام(٣)؛ وهو الذي روى لنا الكثير من الوقائع فيما يرتبط بمسير الإمام عليه السلام، كاعتراض رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليه عليه السلام(٤)، قال عقبة: «**قال صحبتُ حسيناً، فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أُفارقه حتّى قُتل، وليس من مخاطبته**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ص١٣١.
(٢) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٧.
(٣) أُنظر: النوري الطبرسي، حسين، خاتمة المستدرك: ج٨، ص٢٠٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٧.
(٤) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٩.

الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكّة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر إلى يوم مقتله، إلّا وقد سمعتها»[1]، فهو من الأحياء الذين بقوا من واقعة الطف، حيث خلّى عمر بن سعد سبيله لمّا علم أنّه عبد مملوك[2].

فلا نسيتُ حسيناً

«**تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ**»[3]، كلماتٌ عرفناها من سيّد الأوصياء عليه السلام، ولمسناها من خلال ممارساتنا في الحياة، فعندما يتكلّم الإنسان سوف يفصح عن هويته الثقافية والفنية وغيرها، شاء ذلك أم أبى، خاصّةً إن امتزج الكلام بالفصاحة والبلاغة، وتناسب مع مقتضيات الحال ومتطلّبات المقام، ليأخذ سبيله إلى القلوب، مثيراً فيها حسّ الرأفة والحنين، تاركاً تأثيره في النفوس، موقظاً فيها فداحة المصاب.

تكلّمت الرباب عليها السلام بكلمات قلائل، لكنّها أزاحت الستار عن جوهرتها الثقافية، ليتجلّى في كلامها مدى الإجلال الذي تُقلّه لسيّد الشهداء عليه السلام، ومدى الحبّ الذي يحمله قلبها لذلك الإمام العظيم، وذلك من خلال أبيات شعرية نقشتها يد التاريخ:

وَاحُسيْناً فَلا نَسيتُ حُسيْناً ... أَقصَدَتْهُ أَسِنَّةُ الأَعْداءِ

غادَرُوهُ بِكَرْبلاءَ صَرِيعاً ... لا سَقَى اللهُ جانِبَيْ كَرْبَلاءِ[4]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣١٣. وأُنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٢٥٧.

(٢) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٧. أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٢، (وإن كان اسمه قد ذُكر بين الشهداء في الزيارة الرجبية للإمام الحسين عليه السلام).

(٣) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، خطب الإمام علي: الخطبة٣٩٢، ص٩٣.

(٤) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٢٢٣. وأُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٨، ص٣٠٢.

وقولها أيضاً:

إنَّ الَّذي كَانَ نُوراً يُستَضاءُ بِهِ ... بِكَربلاءَ قتيلٌ غَـيُر مَـدْفُـونِ
سِبطَ النَّبي جزاكَ الله صالحةً ... عَنَّا وجُنِّبتَ خُـسرانَ المَوازِينِ
قَد كُنتَ لِي جَبَلاً صَعْباً ألوذُ بِهِ ... وكنتَ تَصْحبُنَا بالرَّحم والدِّينِ
مَن لِليتَامَـى وَمَن للسَّائلينَ وَمَنْ ... يُغنِي ويَـأوِي إِليهِ كُلُّ مِسكِينِ
والله لا أبْتَغِي صِهْراً بِصِهْرِكُمُ ... حتَّى أُغَيَّبُ بينَ الرَّملِ والطينِ[1]

وليس بالعجب العجاب أن تكون الرباب شاعرة، وقد انحدرت من عائلة عريقة، عُرفت بالشعر والبلاغة العربية، فلقد كان فيها الشاعر المعمّر زهير بن جناب الكلبي، وأخوه مالك المعروف بالأصمّ[2].

أبرّ وأوفى

«**أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً**»[3]، حروف من فيض سيّد الأحرار عليه السلام، قالها في ليلة العاشر من المحرم عند أصحابه، ولعلّها تكرّرت على مسامعنا مرّات وكرّات، أُولئك الأصحاب الذين اتّصفوا بصفات عظيمة، شهد لها العدو قبل الصديق، فهم أهل البصائر، وفرسان المصر، وهم قوم مستميتون في التفاني[4]، قد

(١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٦، ص٣٦٢.
(٢) وذلك لقوله :

أصمّ عن الخنا إن قيل يوماً ... وفي غير الخنا أُلفى سميعا

(٣) الشيخ المفيد، محمّد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٩٢.
كما ورد في محلّ آخر: «فإني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوفى من أهل بيتي». البراقي، حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة: ص٤٦٨.
(٤) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣١. شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص١٨٦.

وطّنوا أنفسهم على بذل المهج في سبيل ابن بنت نبيّهمﷺ ورسالته وهدفه، لكن السؤال هنا: لماذا اختار الإمامعليه السلام وصف البرّ والوفاء لأصحابه وأهل بيته (بما فيهم الرباب عليها السلام) يا ترى؟

وأوفوا بعهدي

الوفاء في اللغة: ضدّ الغَدْر، فوفى بعهده: إذا لم يغدر، ويدخل في الوفاء بالعهد النذر، وكلّما التزمه المكلّف من الأعمال، وتارةً يأتي بمعنى الإتمام والإعطاء، كما في قولنا: أوفى الحق، إذا أعطاه، وأوفى الكيل: إذا أتمّه، ويُقال: وفى ريشُ الجناح، إذا كثر، وعلى كلّ حال فالوفاء هو الخُلق الشريف العالي الرفيع[1].

أمّا في الاصطلاح: فـ«**الوفاءُ مَلازَمَةُ طريقِ المُواساةِ ومُحافَظَة عُهُودِ الخُلَطاء**»[2].

ومن هنا؛ نرى أنّ الله تعالى قد وصف نفسه بالوفاء حيث قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[3]، **فهو سبحانه الذي ينبغي أن يكون الأوفى بما للصيغة من معنى؛ لأنّ عدم الوفاء بالعهد أو بالوعد أو بغيرهما ناتج إمّا عن عجز، أو جهل، أو حاجة، والبارئ سبحانه منزّه عن هذه الأُمور تماماً**[4].

كما دعا سبحانه عباده للامتثال لكلّ أنواع الوفاء، سواء الوفاء بالعهد، أو بالعقد، أو بالوعد، وما شابه ذلك، حيث قال (جلّ وعلا) في قرآنه الحكيم: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[5]، أو ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُتَجَٰنِفَٰتٍ لِّإِثْمٍ﴾[6]؛ وذلك لأنّ الوفاء بكلّ

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص٣٩٩. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج١،ص٤٤٦.
(٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٢٠، ص٣٠٠.
(٣) التوبة: آية١١١.
(٤) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل: ج٣، ص٤٦٣.
(٥) البقرة: آية٤٠.
(٦) المائدة: آية٥.

أقسامه من الأُمور الأساسية التي يرتكز عليها كيان المجتمع، ومن العوامل التي تساعد على ديمومة الحياة بكلّ نواحيها.

ومن هذا المنطلق نجد الأنبياء والأوّلياء عليهم السلام بأجمعهم من الممتثلين لهذا الأمر التربوي والاجتماعي، الذي أمر الله تعالى به وأكّده، سواء على مستوى الوفاء لله تعالى في دائرة الالتزامات الشرعية والأوامر الإلهية، كما في النبي إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[1]، أو الوفاء لعباده في دائرة العلاقات الاجتماعية، كما في النبي إسماعيل عليه السلام ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾[2]، وإنّ الوفاء لعباد الله هو نفسه الوفاء لله تعالى في العهد الذي أخذه من بني آدم على العموم، ومن الأنبياء عليهم السلام على الخصوص، فما هو ذلك العهد يا ترى؟ وهل كانت الرباب عليها السلام من الموفين به؟

والموفونَ بعهدِهم

تشير بعض الآيات القرآنية والروايات الشريفة إلى أنّ هناك عهداً فطرياً قد أخذه الله تعالى من بني البشر جميعاً، ويُقال عنه: إنّه قد تمّ في عالم الذرّ[3]، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[4]، حيث شهد جميع البشر بحكم فطرتهم وخلقهم على ميثاق الربوبية له تعالى، وأُشهدوا على أنفسهم أن يؤدّوا هذا الميثاق إذا سُئلوا عنه[5]، بأنّه تعالى هو الربّ الغني، وأنّهم الفقراء إليه، رغم كلّ النعم التي منحها لهم، من استعدادات فطرية، كالعقل والإدراك، ومعرفة الحق وما يتبعه، وهو الميثاق الذي

(١) النجم: آية٣٧.
(٢) مريم: آية٥٤.
(٣) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل: ج٣، ص٦٢٢.
(٤) الأعراف: آية١٧٢.
(٥) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٨، ص٣٠٧.

يشير إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: «لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ»[1]، أي: ليطلب منهم أداء الميثاق الفطري الذي أُخذ منهم، والوفاء به، وهناك الكثير من الآيات التي تُشير إلى هذا الميثاق، سواء على المستوى العام من البشر بأجمعهم، أو المسلمين خاصّة، بما أنعم الله عليهم من الإسلام والإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾[2].

ومن البديهي أن يشمل هذا العهد الواسع جميع المسائل والأحكام الدينية، ولا مانع مطلقاً من أن تكون في الآية السابقة إشارة إلى جميع العهود والمواثيق التكوينية والتشريعية التي أخذها الله تعالى أو النبي صلى الله عليه وآله من المسلمين بمقتضى فطرتهم، وبمقتضى ما شرّع لهم في مراحل مختلفة، بما في ذلك ميثاق الولاية، وعهدها الذي أخذه النبي صلى الله عليه وآله من المسلمين في حجّة الوداع بخصوص علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام[3]؛ لأنّ مسألة قيادة الأُمّة وخلافة النبي صلى الله عليه وآله من أهمّ المشاريع التي يجب التأكيد عليها بأخذ العهد والميثاق؛ لما لها من ارتباط وثيق بعقيدة التوحيد التي من أجلها بُعث الرسل.

إضافة إلى أنّ العهود التي تتفرّع من العهد الإلهي ليست بالشيء اليسير من حيث الأهمّية والمقام، فعندما أمر الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[4]، قد استوعب (سبحانه) بقوله هذا كلّ العهود والمواثيق والعقود التي يزاولها الناس فيما بينهم[5]، خاصّةً أنّ الآية الكريمة فيها إطلاق تامّ؛ الأمر الذي

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١١، ص٦٠.
(٢) المائدة: آية٧.
(٣) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل: ج٣، ص٦٢٣.
(٤) المائدة: آية١.
(٥) لأنّ كلمة العقد في اللغة تعني شدّ أطراف شيء معيّن بعضها ببعض شداً محكماً، ومن هذا المنطلق المفهومي للكلمة يمكننا تسمية كلّ عهد أو ميثاق عقداً، وإن كان بعض المفسرين قد قالوا: إنّ كلمة (عقد) مفهوم أضيق من العهد؛ لأنّها تُطلق على العهود المحكمة إحكاما كافياً. أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٥، ص١٥٨.

يجعلنا نعتبرها دليلاً على وجوب الوفاء بجميع العهود التي تُعقد بين أبناء البشر، أو تلك العقود التي تعقد مع الله سبحانه عقداً محكماً[1].

ومن هذا المنطلق، كان الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين الصالحين، أصحاب البرّ والتقوى، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2]، فإنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين البّر والتقوى وبين الوفاء، فقد بيّن (سبحانه) في هذه الآية أنّ الوفاء من أُسس البرّ؛ إذ إنّ البرّ هو التوسّع في الخير والإحسان، ومفهوم الخير يشمل كلّ المصاديق التي يرتضيها الله سبحانه، والتي أشارت إليها الآية المباركة، وبيّنت حقيقة الأبرار، من الاعتقاد والعمل والأخلاق، وما ذلك إلّا للتأكيد على أنّ أُسس البرّ إنّما تتوفّر في المتّقين من الناس.

رباب الوفاء

بعد أن عرفنا ما هي أهمّية الوفاء، ومَن هم المتصفون به، نُعرّج على رمز الوفاء، رباب الخير والعطاء، لنعرف كيف استطاعت تلك السيدة الكريمة أن تجسّد هذه القيمة الإنسانية في حياتها مع القائد الحسين بن علي عليهما السلام، وفي أقسى مراحل مرّت بها المسيرة البشرية، ألا وهي مراحل ثورة كربلاء العظيمة، بكلّ ما فيها من مصائب ورزايا.

الوفاء الأوّل

إنّ أوّل وفاء كان من الرباب في مسيرة كربلاء هو تلبيتها لدعوة الحقّ تعالى، والثبات على ذلك العهد الربّاني الذي واعدت به خالقها، من أن تكون على صراطه

(١) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل: ج١، ص٥٧١.
(٢) البقرة: آية١٧٧.

المستقيم، ناصرة للحق، رافعة لكلمة الله تعالى، صابرة محتسبة في طريق ذات الشوكة، مجسّدة لفكرة الإنسان المؤمن الذي يشعر بالمسؤولية في كلّ حركة في حياته؛ ليكون مرآة الله تعالى المتجلّية في هذا الكون، يبثّ الخير والصلاح، ويُترجم أسمى القيم الإلهية على أرض الواقع، منطلقاً من قاعدة الوفاء للعهد للرباني والمعرفة التوحيدية، ومتّكئاً على الإيمان القلبي الراسخ.

الوفاء الثاني

وفي طول ذلك الوفاء بالميثاق الإلهي، كان الوفاء من الرباب بميثاق الولاية وعهدها الذي وصّى به نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله، ذلك الميثاق الذي تمثّل في الإمام علي وأبنائه عليهم السلام في أيّام حياة الرباب (رضوان الله عليها)، وقد تجلّى وفاؤها لهذا العهد بصورة أكبر قطراً وأكثر شعاعاً مع زوجها الإمام الحسين عليه السلام، ولعلّ هذا ما جعل الرباب تكون رباب كربلاء؛ فلا شكّ أنّ مَن تُخلص لولي الله يستخلصها الله لتكون من خاصّته، وهذا ما رأيناه في سيّدات نساء أهل الأرض والسماء، من آسية ومريم، ومن خديجة وفاطمة (سلام الله عليهنّ جميعاً)، حيث كُنّ الأُسوة في الولاء لحجج الله في زمانهنّ، الأمر الأعظم الذي جعلهنّ يرتقينَ لقمّة الاصطفاء الربّاني، فأولياء الله وحُججه هم الميثاق الأكبر الذي أكّده تعالى لعباده، ولذا جاء في الزيارة: «**السَّلامُ عَلَيْكَ يا مِيثاقِ اللهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ**»[1].

الوفاء الثالث

ويمضي وفاء الرباب عليها السلام لعهد ربّها وأوليائه، ليتخذ سبيله في ساحة العلاقات الاجتماعية؛ إذ إنّ صدى الكلمات التي كانت تنبع من أولياء الله ما كانت لترحل عن أُذن الرباب أو ذاكرتها، فلم تكن الرباب ببعيدة عمّا يوصي به الإمامُ علي وأبناؤه عليهم السلام شيعتَهم، كقوله عليه السلام: «**فإنّه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٣، ص٣١٦.

تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود»[1]؛ ولا شكّ في أنّ عهد الزواج[2] من العهود الاجتماعية المقدّسة التي أوصى الله تعالى بالوفاء بها؛ وذلك لما يترتب عليها من آثار عظيمة في بناء المجتمع الإنساني، وقوّة شوكته، خاصّةً إن كان الزوج قائداً متصدّياً لمسؤولية عظيمة، وحاملاً لرسالة تتوقّف عليها سعادة البشر أو شقاؤهم. ومن هنا؛ يؤكّد القرآن على شخصيات نساء القادة في التاريخ ومواقفهنّ، سواء على المستوى الإيجابي، كزوجات إبراهيم وموسى وعمران عليهم السلام، ليكنّ أُسوة، أو على المستوى السلبي، كزوجات نوح ولوط عليهما السلام، ليكنّ عبرة؛ وذلك لأنّ أهمّ ما يترتّب على وفاء زوجة القائد ما يلي:

١ـ الذرّية التي تنتج من الزوجة الوفية لعهد الزواج المقدس؛ إذ إنّنا نرى أنّ ذرية الطائفة الأُولى من الزوجات الوفيات مصداق للخير والبركة ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾[3]، ومن ذلك ما يذكره القرآن بشأن ذرّية زوجة عمران: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[4]، وذرّية زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[5]، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[6]، بينما يقول تعالى في ذرية نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[7].

وقد أشرنا فيما سبق إلى ذرية الإمام الحسين عليه السلام من الرباب عليها السلام، حيث كانت مصداقاً آخراً لـ: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾، ومصداقاً جلياً لـ: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ لأنّها جسّدَتْ أرقى معاني الوفاء لزوجها القائد الحسين عليه السلام، وتعهّدت بأن تُنجب له ذرية تكون مفخرة لأهل الدنيا والآخرة، كما كان الأب كذلك.

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة: ص٤٤٢، من عهد له عليه السلام إلى مالك الأشتر.

(٢) أو عقد الزواج، كما بيّنا سابقاً تقاربهما. أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل: ج٣، ص٥٧٢.

(٣) الصافات: آية١١٣. إذ المقصود هو البركة في ذرّية إبراهيم عليه السلام. أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٧، ص١٥٤.

(٤) آل عمران: آية٣٧.

(٥) الحجر: آية ٥٣.

(٦) الصافات: آية١٠١.

(٧) هود: آية٤٦.

٢ـ الأثرُ الاجتماعيّ الذي تتركه زوجة القائد في المجتمع، خاصّةً في اتّباع زوجها ونصرته، والتاريخ يشهد، وكتاب الله ينصّ على أنّ زوجة إبراهيم عليه السلام كانت أهلاً لتحقّق دعائه عليه السلام حين قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[1]، فقد كانت هي وذرّيتها مركزاً آخراً لنشر رسالة قائد الأُمّة إبراهيم عليه السلام.

في حين كان حال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا * فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾[2]، ولا عجب في الأمر؛ إذ عندما تكون الزوجة غير وفية لزوجها، خائنة لرسالته[3]، ساخرة منه أمام الملأ[4]، فماذا يُنتظر ويُتوقّع من الآخرين إذن؟!

وقد سجّلت الرباب عليها السلام أسمى مواقف الوفاء للقائد في هذا المجال، في قبولها لدعوة القائد، ومواكبتها لمسيره، واستقبالها للمصير المرسوم على أُفق الوحي، فلا عجب آنذاك إن رأينا (أُمّ وهب) تقدّم ابنها في سبيل الحسين عليه السلام، ولا عجب آنذاك إن رأينا (دلهم) تدفع بزوجها لنصرة أبي عبد الله عليه السلام؛ لأنّ زوجة قائد كربلاء السيدة الرباب عليها السلام متصدرة للتضحية والفداء، مجسّدة لأغلى آيات الوفاء لزوجها القائد ولرسالته العظيمة.

الوفاء الرابع

لم يقتصر وفاء الزوجة لزوجها ولعهدهما المقدس على أيّام الحياة فحسب، بل إنّ الوفاء قيمة إنسانية خالدة لا يغيّرها الزمن كي تنتهي بعد الموت، خاصّةً عندما يكون الوفاء لقائد عظيم، ولرسالة خالدة على امتداد التاريخ.

فعندما يموت عمران عليه السلام لا يعني ذلك أنّ رسالته انتهت، وأنّ هدفه قد تلاشى،

---

(١) إبراهيم: آية٣٧.

(٢) نوح: آية٥ـ٦.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ إذ إنّ الخيانة هي مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ.

(٤) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١٠، ص٦٤: وذكر رضي الله عنه أنّ ابن عباس قال: «كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس: إنّه مجنون، وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به».

بل إنّ الرسالة وهدفها باقيان ما دام هناك أُناس أوفياء للعهد الذي قدّموه لصاحب تلك الرسالة، خصوصاً عندما تكون الزوجة هي المجسّد الأوّل للوفاء لذلك العهد، ولتحمّل المسؤولية التي وصّى بها القائد، وضحّى لها بالغالي والنفيس، وهذا ما وجدناه عند زوجات القادة الوفيّات، بما فيهنّ زوجة عمران عليه السلام، محل شاهدنا في هذه الأسطر، حيث تمضي بوفائها، فتنذر حملها لرسالة زوجها، وتربّي ابنتها الوحيدة خير تربية، وتتحمّل فراقها، وهي ترسلها للمعبد، كلّ ذلك وفاءً للرسالة التي دعا لها عمران النبي عليه السلام، وكانت نتيجة ذلك الوفاء هو أن تقدّم مريم قائداً آخر للبشرية، ألا وهو عيسى النبي عليه السلام. إنّ وفاء زوجة عمران لزوجها ورسالته ـ حتّى بعد موته ـ لخير أُسوة للنساء الوفيّات لأزواجهنّ حتّى بعد الممات.

أمّا رمز الوفاء في كربلاء، السيدة الرباب عليها السلام، فلقد كان وفاؤها لزوجها الحسين عليه السلام بعد شهادته أعظم وأرقى معنى للوفاء، بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من ثقل قيمي، تتحمّل مصائب كربلاء، من فقد الزوج والابن الرضيع، من حرق الخيام والفرار في صحراء كربلاء، من سبي على النياق الهزّل، الذلّة وضرب السياط، رؤية رأس الحسين عليه السلام وأصحابه على الأسنّة، مصائب الشام التي يصفها الإمام السجاد عليه السلام بأنّها أشدّ المصائب عليهم آنذاك[1]، إلى غير ذلك من المصائب التي مرّت على أهل بيت الوحي والرسالة بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي كانت الرباب عليها السلام حاضرة فيها، صابرة محتسبة، بل وأكثر من ذلك، مجسّدة لأروع صور الوفاء للزوج من بعد مماته، وذلك من خلال عدّة مواقف سجّلها التاريخ للرباب عليها السلام، منها:

١ـ وجْدُها الشديد على أبي عبد الله عليه السلام[2]، ونياحها عليه في مجلس يزيد، وإنشادها للشعر الرثائي، وهي تحتضن رأسه الشريف[3]، وما ذلك إلاّ وفاءً لذلك الزوج القائد الذي لم تشهد البشرية مثيلاً له إلّا ما ندر.

(١) أُنظر: سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ: ص٣٠٤.
(٢) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٢١٠.
(٣) أُنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٢٢٣.

٢ـ بكاؤها المستمر على الإمام الحسين عليه السلام ولمدّة طويلة، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**لمّا قُتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبية عليه مأتماً، وبكت وبكين النساء والخدم حتّى جفّت دموعهنّ**»(١)، ولم تكتفِ رباب الوفاء بذلك، حتّى لو جفّت الدموع؛ إذ إنّ العيون ودموعها لترخص أمام سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، فراحت الرباب عليها السلام تأمر إحدى جواريها أن تصنع لها السويق لأجل أن تتقوّى على البكاء على سيّد الأحرار(٢)؛ ولم يكن بكاء الرباب المستمرّ عبارة عن عواطف وأحاسيس مجرّدة، بل إنّ بكاء الرباب عليها السلام كان يشير إلى عدّة أُمور، أهمّها:

١ـ إنّ المصيبة حينما تكون بعظمة مصائب كربلاء، يجب أن يكون النياح والبكاء عليها بما يتناسب وشأنها.

٢ـ إنّ فقد وليّ الله وحجّته، وتلك الصفوة الطاهرة من أنصاره، لمصيبة عظمى على البشرية، سواء المعاصرون لتلك المصيبة أو ما يليهم من الأجيال، فحجّة الله تعالى هو قطب الرحى لهذا الكون، وهو وجه الله الذي تتجلّى به كلّ تعاليم السماء، من توحيد وعدل وغير ذلك، فلا بدّ أن يكون البكاء عليه عظيماً لَمن يُدرك فداحة هذا الفقد كالرباب عليها السلام.

٣ـ إنّ رسالة ثورة كربلاء وقائدها يجب أن تُخلّد مهما بلغت التضحيات، ومهما تعدّدت الأساليب؛ لأنّ في خلودها خلود كلّ التعاليم الإلهية، وكلّ القيم الإنسانية، فانتصار الحقّ على الباطل في كربلاء أمر عامّ يشمل كلّ جوانب الحياة على كافّة المستويات، ولذا يقول الإمام الخميني قدس سره: «**كلّ ما لدينا هو من عاشوراء**»(٣)، أو طبقاً للمقولة المشهورة: «**كلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء**»؛ ومن أهمّ السبل لبقاء عاشوراء في تلك الحقبة الزمنية التي عاشتها الرباب عليها السلام من الضغط والاختناق

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٦٦.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.
(٣) مركز نون للتأليف والترجمة، سلسلة الفكر والنهج الخميني: المقدمة.

السياسي، هي إقامة العزاء، والبكاء، وإظهار الحزن والجزع على سيّد الشهداء عليه السلام.

وفي جميع هذه الأُمور يتجلّى وفاء الرباب عليها السلام بشكل واضح لكلّ الأجيال، خاصّةً الجيل النسوي الرسالي.

الوفاء الخامس

والوفاء الآخر الذي قدّمته الرباب عليها السلام هو عدم زواجها بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، مع وجود الخاطبين لها من أشراف المدينة.

إنّنا ـ بالطبع ـ لا نخالف الزواج بعد موت الزوج؛ لأنّ الزواج من السنن المحبّذة في الإسلام، لكنّ عذر الرباب عليها السلام من عدم الموافقة على ذلك كان موجباً للتأمّل، ومدعاة للتفكّر، حيث تنقل كتب التاريخ جوابها لخاطبيها: «**ما كنت لأتّخذ حماً بعد رسول الله** صلى الله عليه وآله»[1]، فهذا القول ليس بالشيء اليسير لَمَن عنده لبّ.

أجل، إنّ سيدة الألباب أرادت أن ترسم لوحة الوفاء بكلّ ما تتطلّبه تلك اللوحة من مفاهيم؛ لأنّ الوفاء من أُولى صفات أُولي الألباب ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[2]، فينبغي أن تجسّده الرباب بأفضل صورة ممكنة، حتّى إن وصل بها الحال أن لا تستظلّ بسقف بيت[3] إلاّ ما ندر، فبعد أن صهرت الشمس جسد الحسين عليه السلام على رمضاء كربلاء كيف يتسنّى لرباب الوفاء أن تستظل بسقف يا تُرى؟!

وهكذا تبقى رباب الخير تصبّ الدموع كما هو اسمها[4]، وتتنفّس الآهات كما هو حنينها، حتّى تبلى وتموت كمداً[5]، فالعهد مع الحسين عليه السلام ورسالته لتجدر به مواقف

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١٢٠.
(٢) الرعد: آية١٩ـ٢٠.
(٣) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١٣٠.
(٤) يُقال: أربّت السحابة بهذه البلدة: إذا دامت. وأرضٌ مربّ: لا يزال بها مطر، ولذلك سُمّي السحاب رباباً. أُنظر: مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٤، ص١٦.
(٥) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٨.

مثل هذه، وجزاء الوفاء للحسين عليه السلام ليستحقّ مثل هذه التضحيات، ذلك الجزاء الذي بيّنه سبحانه في كتابه لأوليائه: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[1].

(١) الزخرف: آية ٧٠.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والإنجليزية

تجلّيات مفهوم الإمامة في أراجيز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

سلّط الباحث الضوء في بحثه على أحد المفاهيم المحورية في الفكر الإسلامي، تترتّب على الإيمان به مسائل كثيرة ومتعدّدة النتائج، ألا وهو مفهوم الإمامة الإلهية وتجلّياتها في أراجيز شهداء واقعة الطّف الدامية، معتمداً في ذلك على الأراجيز التي صدرت عن أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين استُشهدوا في معركة كربلاء.

وقد تناول مجموعة من المسائل المهمّة، تمحورت في:

التمهيد الذي أجرى من خلاله مسحاً ميدانياً للأراجيز التي دوّنتها الموسوعات التاريخية وكُتُب المقاتل الحسينية، مبيّناً في ذلك بعض النكات المهمّة، ثمّ ذكر في المبحث الأوّل المعنى اللُّغوي والاصطلاحي لمفردة الإمامة والأُرجوزة، مستنتجاً من ذلك العلاقة الملحوظة بين المعنى اللُّغوي والاصطلاحي في كلتا المفردتين.

وجاء المبحث الثاني ـ الذي تطرّق للأراجيز الدالة على مفهوم الإمامة ـ مدعوماً بالنصوص القرآنية والروائية الكثيرة التي تفيد هذا المعنى.

ونظراً لكون الأراجيز التي جاءت بهذا المعنى كثيرة جداً؛ فقد قسّم الباحث هذه الأراجيز إلى أصناف وطوائف؛ لتندرج تحت كلّ واحد من الأصناف مجموعة من الأراجيز المتّحدة في نفس المعنى والدلالة، وقد قسّمها إلى عشرة أصناف، دلّت بوضوح على مفهوم الإمامة، ورسوخه في نفوس منشدي هذه الأراجيز التي خلّدت لنا معارف مهمّة.

وقد انتهج الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، ليخرج بنتائج مثمرة ومفيدة للقارئ الكريم.

MANIFESTATIONS OF THE CONCEPTION OF IMAMATE IN THE RAJAZ VERSES DELIVERED BY IMAM AL ـ ḤUSAYN'S RELATIVES AND COMPANIONS

Shaykh Ṣabāḥ ʿAbbās al ـ Sāʿidī

The writer of the essay sheds light on one of the essential conceptions in the Islamic thought, since believing\ in this conception results in numerous issues of multiple results. This conception is namely the notion of the Divinely ـ commissioned leadership of the Holy Imams (termed as Imamate). The writer thus concentrates on the manifestations of this notion in the rajaz verses composed and chanted by the martyrs of the misfortunate event of the Battle of al ـ Ṭaff, presenting as sources the rajaz verses that were issued by Imam al ـ Ḥusayn's relatives and companions whom were martyred in that battle that took place on the land of Karbalā'.

Discussing a number of important issues, the writer centralizes the essay on the following points:

Beginning the essay with a prelude, the makes therein a field survey of the rajaz poems that were recorded by the encyclopedias of history and the books written on the events of Imam al ـ Ḥusayn's martyrdom. Hence, he emphatically reviews some significant points.

In the first section of the essay, he discusses the lexical and terminological meanings of the items: imāmah (i.e. Imamate as a Divinely ـ decided religious and political leadership) and urjūzah (i.e. a rajaz poem or piece), concluding that there is a noticeable relationship between the lexical and terminological meanings of each item.

In the second section of the essay, which is dedicated to the rajaz poems that referred to and strengthened the conception of Imamate, the writer cites numerous Qur'ānic verses and Prophetic and Imamic traditions that support this meaning.

Because the rajaz poems that held this meaning were so numerous, the writer classifies the rajaz poems into different categories and groups so that a collection of rajaz poems that hold the same meaning and indication would be listed under a certain category. He thus divides these rajaz poems into ten categories all of which indicated obviously the notion of Imamate and its fixedness in the mentalities of the composers

of these rajaz verses that contributed to transferring to the next generations significant and everlasting information and principles.

The writer of the essay employs the approach of inductive reasoning and analysis to come out with fruitful and valuable results and present them to the gentle reader.

أراجيز الطّف

دراسةٌ في الدلالات والتوظيف

الشيخ عبد الرزّاق النداوي

افتتح الكاتب مقاله بتعريف الأُرجوزة لغةً واصطلاحاً، مشيراً إلى أنّ أوّل مَن استعملها في المعنى الاصطلاحي هو (الأغلب العجلي)، كما أشار إلى النظرية القائلة بأنّ الرجز ليس من الشعر، وأورد دليلين لتدعيمها.

ثمّ ذكر ثلاثة أنواع للرجز، وهي: الشعر التعليمي، هدهدة الطفولة، والمنازلة والحرب؛ موضّحاً إياها بذكر نماذج لكلٍّ نوع منها.

كما تطرّق إلى مسألة عدم ارتجاز جيش عمر بن سعد في كربلاء، واعتبرها أمراً يدعو إلى التأمّل؛ وذلك لعدم خلوّ أيّ واقعة من الأراجيز، مستشهداً لذلك بنماذج من أراجيز أصحاب الجمل وصفّين، مع أنّ موقفهم كان مجانباً للحقّ.

ثمّ أورد إشكالاً، حاصله: أنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود، وأجاب عنه في نقطتين:

الأُولى: لو كان هناك رجز لبان؛ خصوصاً أنّ الذين رووا الحادثة على أقسام، منهم أفراد من المعسكر المعادي للحسين عليه السلام.

الثانية: أنّ الأعداء قد ارتجزوا وقالوا شعراً في النصر والغلبة بعد المعركة، وقد نُقل ذلك؛ الأمر الذي يدلّ على أنّهم لو ارتجزوا أثناء المعركة لنُقل أيضاً.

بعد ذلك انتقل إلى أراجيز المعسكر الحسيني، مشيراً إلى ما تضمّنته من دلالات، منها: الإقدام والنجدة، التعريف بأنفسهم وبما يدافعون عنه، رفض المعاني الدنيئة، الافتخار بالقائد، رفض الظلم والجور، التصميم على الهدف، وغيرها من معالي

الصفات والغايات. ثمّ توقّف عند أُرجوزتين للإمام الحسين عليه السلام، متأمّلاً في دلالاتها وإشاراتها القيّمة.

وفي الخاتمة أورد أسماء جملة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام مع أراجيزهم، نقلاً عن كتاب (لواعج الأشجان).

RAJAZ POEMS COMPOSED ON THE DAY OF AL ـ ṬAFF;
AN ANALYSIS OF THEIR INDICATIONS AND EMPLOYMENT

Shaykh ʿAbd al ـ Razzāq al ـ Naddāwī

The writer begins the essay with lexical and terminological definitions of rajaz as a genre of Arabic poetry, stating that the first to have composed such poems in their terminological sense was al ـ Aghlab al ـ ʿUjalī.

Providing two points of evidence to endorse it, the writer discusses the notion that rajaz is not a genre of Arabic poetry.

He them moves to citing three forms of rajaz; namely, [1] educational rajaz, [2] lulling rajaz (i.e. putting a child to sleep by singing), and [3] combatting rajaz (i.e. composing rajaz verses before combatting and at war). For each form, the writer gives some models.

The writer then discusses the issue that the army of ʿUmar ibn Saʿd that battled Imam al ـ Ḥusayn and his army did not start their combats with such rajaz poetry-an issue that requires much contemplation, because no battle one of whose parties was an Arab army had ever been started without the composing of rajaz verses. He thus gives examples of the rajaz verses that were composed by the enemies who waged wars against Imam ʿAlī (ʿa) in the Battle of the Camel and the Battle of Ṣiffīn, although those enemies were not on the right.

The writer then mentions a problematic point that was raised in this regard; that it, having no knowledge about the enemies' having composed rajaz poems in the Battle of al ـ Ṭaff does not necessarily involve that such a thing did not actually take place. In other words, it is not known whether they did or did not compose such rajaz poems; therefore, it cannot be judged that they did not do so. However, the writer refutes this claim through two points, the first of which is that if the enemies had composed such rajaz poems, it would certainly have been known that they did so and history would have recorded their rajaz poems, especially when we come to know that those who reported the details of the battle were of different trends, since some of them were soldiers of the camp that waged war against Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). The

second point is that those enemies of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) composed poetic verses and some rajaz poems expressing their joy for their victory after the battle and all these poems were reported and saved by history. This obviously indicates that if they had composed such poetry before the battle, the history would most surely have recorded these poems.

Next, the writer touches on the rajaz verses that were composed and delivered by the camp of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa), highlighting the indications comprised therein, such as bravery, support, introducing themselves and the principles they defended, disdaining all lowly norms, taking pride in their leader, rejection of injustice and wrong, and determination to achieve their goals, as well as all other high moral standards and goals.

The writer then drops in on two rajaz poems that were composed and delivered by Imam al ـ Ḥusayn (ʿa), calling attentions to their indications and valuable suggestions.

In the end, the writer lists the names of some supporters of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) along with their rajaz poems, as he quoted from the book: Lawāʿij al ـ Ashjān.

أراجيز الطّف

دراسةٌ نحوية دلالية في البناء الأُسلوبي

د. هاشم جبّار الزرفي

بدأ الكاتب مقاله بمقدّمة أشار فيها إلى شياع فنّ الرجز في النهضة الحسينية؛ لما يتطلّبه القتال من أهازيج حماسية، وقد بلغت كثرته حدّاً يستدعي تمحيص دلالته، وتبيان مكنوناته، وقد وقع اختياره على دراسة الأساليب البنائية للرجز، وما يتمخّض عنها من أساليب خبرية أو إنشائية.

وقد قسّم البحث على ثلاثة مباحث، تناول الأوّل الأساليب الخبرية، وضمّ أُسلوب النفي، وأُسلوب الفصل والوصل، وضمّ المبحث الثاني أُسلوب النداء والأمر والاستفهام تحت عنوان: الأساليب الإنشائية، وتناول المبحث الثالث الأساليب التي جمعت بين الخبر والإنشاء، كالشرط والقسم.

وقد سبق الدراسة تمهيد نظري يُبيّن ماهية فنّ الرجز، وماهية الأساليب الخبرية والإنشائية، وتلك الأساليب التي جمعت بين الخبر والإنشاء.

وفيما يرتبط بماهية الأساليب التي بُني عليها الرجز، ذكر الكاتب أنّ الأُسلوب يمتاز بسمتين بارزتين، هما:

١ـ وجود أداة أو صيغة لُغوية تتصدّر الجملة غالباً، يدلّ وجودها على نوع ذلك الأُسلوب من توكيد، أو أمر...

٢ـ وجود شحنة نفسية أو انفعالية في الجملة، تتطلّبها مناسبات القول.

وعلى الرغم من احتفاظ الأُسلوب بأداته النحوية، وبقائه على صورته الأصلية، قد تنزاح الدلالة فيه إلى دلالة أُسلوب آخر، فتصبح حينئذٍ سمة دلالية خاصّة لذلك الأُسلوب، كانزياح أُسلوب الأمر إلى معنى الدعاء أو التعجّب، أو الإنكار، أو النفي، وغيرها، وقد عُني الدرس البلاغي واللُّغوي بهذا الانزياح الدلالي.

RAJAZ POEMS COMPOSED ON THE DAY OF AL ـ ṬAFF: A GRAMMATICAL ـ SEMANTIC STUDY OF THEIR STYLISTIC STRUCTURE

Dr. Hāshim Jabbār al ـ Zurfi

The writer begins the essay with an introduction in which he pointed to the commonness of the composition of rajaz verses in the reformative uprising of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa), because combatting required such enthusiastic chants. Such rajaz poems were composed so frequently that it became necessary to study their indications and explain their implicit meanings. The writer thus chose to analyze the constructive styles of rajaz poetry and the inflectional and compositional or syncretistic styles issuing therefrom.

The writer thus divides the study into three major topics. In the first topic, he discusses the reflective style, including negation and connection and disconnection. The second topic discusses the styles of calling, imperative, and interrogation under the title: Compositional Styles. The third topic deals with the other styles that are combination of reflective and compositional styles, such as conditional and oath styles.

Each discussion is preceded by a theoretical prelude about the definition of rajaz as an artistic genre as well as definitions of reflective and compositional styles and reflective ـ compositional ones.

With regard to the definition of the styles on which rajaz is based, the writer confirms that rajaz is characterized by two distinctive features, which are:

1. It comprises a linguistic tool or form that usually comes in the beginning of each rajaz verse to indicate the kind of that style, such as confirmation, imperative… etc.

2. In each verse of rajaz, there is such a mental or enthusiastic charge that is required by the occasion.

Although this style keeps its grammatical tools and its original form, the signs therein may move to take the shape of the signs of another style, thus turning into a semantical feature that is restricted to the new style. An example of this is the turning of the imperative mood into a sense of prayer, exclamation, denial, negation, or any other indication. This rhetorical and linguistic study has been concentrated on this semantical turning.

نـدوة:

شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام في أراجيزه ومضامين زياراته

دراسةٌ في ضوء نظرية السمات الشخصية

م. د. نور الساعدي

افتتحـت الكاتبـة مقالها بمقدّمـة تضمّنت آيات تُشـير إلى أهمّية قراءة الشـخصية لمعرفة سماتها ومميّزاتها، مشيرةً إلى ما يُعرف بنظرية السيما أو العلامة، وتطوّرها الذي انتهى بها حالياً إلى ما يُعرف بنظرية سمات الشخصية.

وقـد تطرّقت إلى الجانـب التطبيقي لتلك النظرية، عبر دراسـة الرموز الدينية من خلال الآثار والمواقف التي تحكي عنها.

وقـد وقع اختيارها على شـخصية أبي الفضـل العبّاس عليه السلام، محاولـةً تطبيق قواعد تلك النظرية على أراجيزه عليه السلام، وما تضمّنته زياراته، متّبعة منهج الاستقراء والوصف والتحليل.

وقـد قامـت بتقسـيم المقـال إلى ثلاثة مباحـث، تناولـت في الأوّل نظرية سـمات الشـخصية وأهمّيتها، وتعريف النظرية، ونبذة تاريخية عن نشـأتها ومراحل تطوّرها، متطرّقـةً إلى أنـواع السـمات الشـخصية التـي يحملها الفرد، فقسّـمتها إلى: أساسـية، ومحوريـة، وثانويـة، وبصـورة عامّة إلى: مشـتركة، وفريـدة، وسـطحية، ومصدرية، ومكتسبة، ووراثية، وديناميـة، وسمات قدرة.

وقد تناولت في المبحث الثاني سمات شخصية أبي الفضل عليه السلام في أراجيزه وزياراته، وقسّمتها إلى: فريدة، ومكتسبة، ووراثية، وديناميـة، وقادرة.

كما تناولت في المبحث الثالث العوامل المؤثّرة في تكوين شخصية أبي الفضل عليه السلام، مسـلّطة الضـوء على نسـبه عليه السلام إلى أمير المؤمنـين عليه السلام، مـبرّزة أهمّية العوامـل الوراثية والمكتسبة والقدوة الحسنة في تكوين الشخصية.

A SEMINAR:

ABU'L ـ FAḌL AL ـ ʿABBĀS'S CHARACTER AS REVEALED BY HIS RAJAZ VERSES AND THE MEANINGS SUGGESTED IN THE TEXTS RECITED UPON VISITING HIS TOMB;

A STUDY IN THE LIGHT OF THE TRAIT THEORY

Dr. Nūr al ـ Sāʿidī

The writer starts the essay with an introduction comprising some Qur'ānic verses denoting the significance of surveying a character for purpose of identifying its qualities and distinctive features, thus highlighting to the theory known as the Trait Theory, or dispositional Theory, which has developed so remarkably that it ended with the currently so ـ called Personality Trait Theory.

The writer touches on the applied aspect of this theory through analyzing the personalities of religious figures via the situations and attitudes thereof.

Choosing the personality of Abu'l ـ Faḍl al ـ ʿAbbās, the writer attempts to apply the rules of the theory to al ـ ʿAbbās's rajaz verses and the meanings embedded in the texts ritually recited upon vising his tomb, thus following the approaches of inductive reasoning, description, and analysis.

The writer thus divided the essay into three major parts, in the first of which she displays the Personality Trait Theory and highlights its significance, definition, and history of its origin and stages of its development. Alluding to the types of personality traits held by individuals, the writer divides these types into primary, pivotal, and secondary, showing that the say types can also be divided into common, individual, superficial, resourceful, acquired, hereditary, dynamic, and traits of capability.

In the second part, the writer focuses on the personality traits of Abu'l ـ Faḍl al ـ ʿAbbās (ʿa) as perused from his rajaz verses and the meanings involved in the texts reported to be recited upon visiting his tomb. She thus divided these traits into individual, acquired, hereditary, dynamic, and capable.

In the third part, she dedicated the discussion to the factors that contributed to the composition of Abu'l ـ Faḍl al ـ ʿAbbās's personality, thus shedding light on the relationship between Imam ʿAlī ibn Abī ـ Ṭālib (ʿa) and him and underscoring the significant role played by the genetic, acquired, and ideal factors in the composition of personality.

أراجيز المعسكر الحسيني

قراءةٌ في ضوء بلاغة الجمهور

أ. م. د. علي مجيد البديري

تناول الكاتب الأُرجوزة في ضوء بلاغة الجمهور، بمعنى تسليط الضوء على تفاعل المتلقّي مع الخطاب الموجّه إليه في ظلّ الخطاب السلطوي الذي يُمارَس ضدّه؛ مستعيناً بذكر نماذج من أراجيز المعسكر الحسيني.

أكّد الكاتب في المقدّمة ضرورة دراسة الأُرجوزة من جوانبها المختلفة، وأن لا تقتصر الدراسة على سياقها الخاصّ (ساحة المعركة ومواجهة العدو).

وبعدها بيّن أنّ الأُرجوزة ـ بوصفها استجابة لخطاب المتكلّم ـ يمكن أن تكون تجسيداً لنتاجات ما بعد الواقعة حتّى يومنا هذا، كالشعارات الحديثة، والرايات الملوّنة التي يرفعها الجمهور؛ إحياءً للشعائر.

بعد ذلك أشار إلى وجود خطابين كبيرين في النهضة الحسينية، أحدهما: الخطاب الحسيني، وذكر مميّزاته، وتأثيره في المخاطَب، وعبّر عنه بخطاب الإصلاح. وثانيهما: الخطاب الأُموي، ووصفه بخطاب الوعد والوعيد، وفرض السيطرة. ثمّ أشار إلى ما يحدثه من تأثير في ثوابت الجمهور غير المتوازن عقدياً.

كما تطرّق إلى فضاء الأُرجوزة، مبيّناً أنّه لا يقف عند حدود فضاء المعركة، بل يتّسع ليشمل فضاء الخطاب لطرفي الصراع، كالمسجد، وقصر السلطة، وسوح المعارك، وغيرها.

ثمّ بيّن أنّ الأُرجوزة ـ بوصفها المتقدّم ـ تؤكّد معنى المواجهة في أصعب الظروف وأشدّها، موضحاً هذا المعنى من خلال إيراد نماذج من أراجيز المعسكر الحسيني في ذلك.

وأكّد الكاتب ـ بكلمة أخيرة ـ أنّ الأُرجوزة لا يحدّها سياقها الخاصّ الذي تشكّلت فيه، وأنّ دلالاتها يمكن أن تمتدّ إلى المدى البعيد.

RAJAZ POEMS OF IMAM AL ـ ḤUSAYN'S CAMP:
A STUDY IN THE LIGHT OF THE RHETORICAL SITUATION

Dr. ʿAlī Majīd al ـ Budeirī

The writer of the essay discusses the rajaz poem in the light of the public rhetoric in the sense that he sheds light on the reaction of the recipients to the speeches addressed at them against the other speeches propagandized by the ruling authorities. He thus cites samples of the rajaz poems composed and delivered by the followers of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa).

In the introduction, the writer emphasizes on the necessity of studying the rajaz poetry from its various aspects, warning against restricting such studies to the special contexts of these rajaz poems (i.e. the battle-field and the confrontation of the enemy).

Then, he moves to explain that a rajaz poem, in its capacity as a response to the speeches of the addressors, can act as embodiment of the post ـ event fruits up to the present day, such as the modern slogans and the colorful flags raised by the publics within their rituals of commemorating Imam al ـ Ḥusayn's martyrdom.

The writer thus proves that there were two major kinds of addresses practiced along with the uprising of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). One kind was represented by the speeches addressed by Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) personally. He thus points out the distinctive features of these speeches and their impacts on the recipients. Hence, the writer terms this kind of speech as speeches of reform. The second kind is the speeches of the other camp; i.e. the camp of the Umayyad ruling authorities, which he describes as speeches of promises and threats and imposing of power. The writer then remarks on the influence left by the speeches of the Umayyad ruling authorities on the unchangeable principles of the publics, thus proving that these speeches were characterized by creedal instability.

Speaking of the atmosphere of rajaz poems, the writer states that rajaz

poetry is never restricted to the boundaries of the atmosphere of battle; rather, it is so expansive that it creeps into other spaces of the speeches of the two parties of the battle, such as mosques, centers of the ruling powers, battlefields, and the like.

The writer then demonstrates that rajaz poetry, also in its capacity as a response to the speech of the addressors, substantiates the core of confrontation under the hardest and most critical conditions. He thus cites some examples of the rajaz poems that were delivered by the supporters of Imam al-Ḥusayn (ʿa) under such conditions.

In brief, the writer confirms that rajaz poetry is not restricted to its particular context in which it was shaped; rather, its semantic field can extend so widely that it covers the furthest scope.

دراسةٌ دلالية تحليلية في أراجيز الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

تغريد حسون السيلاوي

افتتحت الكاتبة المقال بمقدمة تناولت فيها موضوع الرجز، وأنّه مظهر من مظاهر الشعر الحماسي النابع من صميم الحياة والبيئة العربية، وأشارت إلى أنّ الرجزَ قد تناولته كثيرٌ من الدراسات في الجامعات العربية، ولكنّها لم تتطرّق لدراسة محاور الرجز عند الإمام الحسين عليه السلام وفي واقعة الطف.

كما سعت الكاتبة إلى تتبّع أراجيز الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، محاولة جمعها من مصادر تاريخية وأدبية مختلفة.

بعد المقدمة تناولت الكاتبة الرجز لغة واصطلاحاً، مشيرة إلى أوازانه التامّة منها والمختصرة، ثمّ تعرّضت لمراحل الرجز وموضوعاته من العصر الجاهلي حتّى العصر الأُموي الذي تميّز بوجود أراجيز لأهل البيت عليهم السلام، تلا ذلك نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام تمهيداً لدراسة أراجيزه في واقعة الطف.

وقد جاءت أراجيز الإمام الحسين عليه السلام متنوّعة المعاني، بما يناسب الموقف، حيث استخدم عليه السلام في أراجيزه لغة سهلة التغلغل في النفوس، سريعة الفهم، قريبة من واقع الحياة، يريد بها إفهام الناس ما يدعو إليه، وإطلاعهم على العقاب الإلهي الذي سيلحق بهم بمحاربتهم أهل البيت عليهم السلام.

وكان رجزه عليه السلام على محورين: المحور الأوّل: الرجز من حيث المضمون، والمحور الثاني: رجز الإمام الحسين عليه السلام ضمن تفعيلة بحر الرجز. وقد دعّمت الكاتبة كلا المحورين بشواهد عديدة، ودراسات تحليلة مختصرة لمضامينها السامية.

أما الخاتمة فقد تضمّنت تلخيصاً لأهم المطالب التي تناولها المقال.

IMAM AL-ḤUSAYN'S RAJAZ VERSES ON THE DAY OF 'ĀSHŪRĀ'; A SEMANTIC-ANALYTIC STUDY

Taghrīd Ḥassūn al-Saylāwī

The writer commences the essay with an introduction dealing with Rajaz poetry as one of the facets of enthusiastic poetry that arose from the core of life and environment of the Arabs. Albeit that Rajaz poetry has been discussed and taken for a topic by innumerable studies submitted to Arab universities, no single study has ever touched on the features of the Rajaz verses delivered by Imam al-Ḥusayn (ʿa) during the Event of al-Ṭaff.

The writer thus starts with following up the Rajaz verses that Imam al-Ḥusayn (ʿa) improvised on that day of the Battle of al-Ṭaff and tries to collect all these verses from various reference books of history and literature.

After the introduction, the writer moves to giving yet briefly an idea about the lexical and terminological meanings of rajaz, without disregarding the metrics of this genre of Arabic poetry both the long and the short. Discussing the stages through which Rajaz poetry has passed, the writer reviews its major topics since the pre-Islamic era and up to the Umayyad era that was characterized by the composing of Rajaz verses by the Holy Prophet's family members and descendants. She then gives a concise precis about the lifetime of Imam al-Ḥusayn (ʿa) as a prelude to studying the Rajaz verses he improvised in the Battle of al-Ṭaff. The writer thus proves that Imam al-Ḥusayn's Rajaz verses held diverse meanings that suited the situations in which they were improvised. In this regard, Imam al-Ḥusayn (ʿa), in his Rajaz verses, used such an easygoing language that straightforwardly penetrated into the depths of mentalities. They were also characterized by easy understandability and close to the real state of affairs, since Imam al-Ḥusayn (ʿa), through these Rajaz verses, had intended to make all people realize the goals of the reformative movement to which he called them and to make them

have an idea about the Divine punishment that would await and befall them for they waged war against the Holy Prophet's family members.

Generally, the writer proves that Imam al-Ḥusayn's Rajaz verses can be perused from two pivotal aspects, the first of which is the purport-centered aspect, while the second is alliteration-focused, since some Rajaz verses that were improvised by Imam al-Ḥusayn (ʿa) were composed in the poetic rhythm known as the Rajaz Alliteration that employs a certain pattern of beats.

The writer then gives many examples to prove the accuracy of her classification of the Imam's Rajaz verses and then provides many analytic, yet brief, studies to highlight the sublime purports emphasized by Imam al-Ḥusayn (ʿa) through the Rajaz verses he improvised.

In the end, the writer notes down a summary of the most important points mentioned in the essay.

أسباب ارتجاز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطّف وعدم ارتجاز الأعداء

الشيخ إسماعيل الشويلي

مقال تحليلي، تناول فيه الكاتب أسباب ارتجاز المعسكر الحسيني ودلالاته، وفي المقابل أسباب عدم ارتجاز معسكر الأعداء.

بعد أن تطرّق الكاتب في مقدّمة المقال إلى تعريف الرجز، وأهمّيته، والأهداف المتوخّاة منه، ذكر احتمالين لعدم ارتجاز معسكر عمر بن سعد، الأوّل: عدم ذكر التاريخ لأراجيزهم، والثاني: عدم ارتجازهم. ثمّ استبعد الاحتمال الأوّل؛ معلّلاً ذلك باهتمام الكتب التاريخية بأحداث كربلاء، ونقل سيرة الأشخاص الذين شاركوا في قتال الحسين عليه السلام، فلو كانت لهم أراجيز لذكرت. ثمّ اعتبر أنّ الاحتمال الثاني هو الأقرب إلى الواقع، وذكر لذلك جملة من الأسباب، وهي كالتالي:

١ـ إنّ مَن كان على الباطل لا يرتجز.

٢ـ عدم معرفتهم بنظم الرجز.

٣ـ الأُرجوزة إمّا تعبير عمّا يمتاز به الشخص من الفضائل، وهي غير موجودة فيهم، أو ذكر لمثالب الطرف الآخر، وهي غير موجودة في معسكر الحسين عليه السلام.

٤ـ نهي الأمراء لهم عن أن يرتجزوا.

بعد ذلك تطرّق إلى بيان دلالات أراجيز المعسكر الحسيني، منها: الذود عن الولاية والإمامة، الإيمان الكامل بالله، الدفاع عن الحسين وأهل بيته عليهم السلام، معرفة الحقّ، الانتساب إلى بيت النبوّة، ذكر الصفات الحميدة للراجز، وبيان مثالب وكفر أهل البغي والضلالة.

وختم الكاتب المقال بذكر أهمّ النتائج التي توصّل إليها في دراسته.

THE REASONS FOR IMAM AL ـ ḤUSAYN'S COMPANIONS HAVING COMPOSED AND DELIVERED RAJAZ POEMS IN THE BATTLE OF AL-ṬAFF, UNLIKE THEIR ENEMIES

Shaykh Ismāʿīl al ـ Shuwīlī

In this analytical essay, the writer goes into the reasons for that the camps and followers of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) in the Battle of al ـ Ṭaff composed and delivered rajaz verses while, on the other hand, their enemies in the opposite camp did not. He also refers to the indications and connotations of the rajaz verses Imam al ـ Ḥusayn's followers delivered in the battlefield.

In the introduction to the essay, the writer begins with defining the rajaz poetry, highlighting its significance and the goals sought therefrom.

About the reason for the enemies' having failed to deliver such rajaz verses, although this is a habit usually used by Arab warriors before combatting, the writer states that there are two probabilities. One probability is that the history did not record the rajaz poems that were delivered by the camp of ʿUmar ibn Saʿd, while the other probability is that those people did not say such rajaz poetry during that battle at all.

He thus deems very improbable the first probability, because books of history paid very much attentions to all of the particles and details of the Battle of al ـ Ṭaff and recorded not only the names but also the biographies of all those who participated in fighting Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). Therefore, if those people had composed any rajaz verse, history would certainly have recorded it.

In conclusion, the second probability is the more acceptable and the nearer to the truth, for a number of reasons, some of which are as follows:

1. The camp and warriors who know for sure that they were on the wrong would not deliver rajaz poems.

2. Those enemies did not master composing rajaz poetry.

3. A rajaz poem usually expresses the virtues by which its composer

is characterized, while those who lined up to fight Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) did not enjoy any virtue, or a rajaz poem expresses the vices of the other party, while Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) and his companions did not have any vice to criticize for.

4. The commanders of the enemy's army warned their soldiers against delivering rajaz poems.

Then, the writer moves to alluding to the indications and hints understood from the rajaz poems that were delivered by the followers of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). Amongst these indications are their absolute belief in God, their defense of their loyalty to Imam al ـ Ḥusayn in his capacity as the Imam and leader whose leadership was decreed by God the Almighty, their readiness to sacrifice their souls for Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) and his family members, their recognition of the truth, their commitment to loyalty to the Holy Prophet's Household, declaring their praiseworthy qualities, and exposing the vices and immoralities of their enemies who transgressed against them and strayed off the path to rightness.

In the end, the writer lists the most important results which he has concluded from the contents of the essay.

الركب الحسيني في (ملحمة الغدير) لـ(بولس سلامة)

السيّد عبد الهادي الشريفي

تناول الكاتب بعض المقاطع الشعرية في (ملحمة الغدير)، مسلّطاً الضوء على ما يرتبط منها بالنهضة الحسينية.

بعد أن شرع الكاتب بتعريف الملحمة وأهميّتها في الأدب، واستعراض بعض ملاحم الشعوب، تطرّق إلى ترجمة المؤلّف، وثقافته، وتراثه الشعري، ورؤيته الخاصّة في فنّ الملحمة.

ثمّ انتقل إلى الحديث عن ملحمة الغدير، مبيّناً أهمّيتها، وسبب تأليفها، والمحطّات التاريخية التي تناولتها، وهي ستّ محطات: الجاهلية، البعثة الشريفة، موقع الإمام علي عليه السلام في البعثة وبطولاته، عيد الغدير، علي عليه السلام والخلفاء، والإمام الحسين عليه السلام والهجرة إلى الشهادة.

وتناول في المحطّة السادسة العناوين التالية: هجرة الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة، مكّة المكرّمة، رحلة سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة، وقفة الحسين عليه السلام بكربلاء، عقيلة الهاشميين عليها السلام. ثمّ ذكر ـ تحت كلّ محطّة ـ مقاطع شعرية، تضمّنت صوراً بطولية للحسين عليه السلام، وسفيره مسلم بن عقيل عليه السلام، وأُخته العقيلة عليها السلام، وصوراً أُخرى مأساوية، وصفت ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وسفيره وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.

IMAM AL ـ ḤUSAYN'S PROCESSION IN BOLES SALAMA'S EPIC POEM: AL-GHADĪR FEAST; AN ISLAMIC EPIC

Sayyid ʿAbd al ـ Hādī al ـ Sharīfī

The writer of the essay reviews a number of poetic sections selected from Boles Salama's epic poem: al ـ Ghadīr Feast; an Islamic Epic, shedding light on the parts of the poem that are related to Imam al ـ Ḥusayn's uprising.

He thus begins with defining the epic poems generally and highlighting their significance amongst the other poetic genres and then moves to reviewing some famous epics of the peoples. He then touches on the poet's biography, scope of culture, poetic heritage, and personal view with regard to the art of writing epic poetry.

The writer then moves to discussing the poet's epic poem that he entitled: "Al ـ Ghadīr Feast; an Islamic Epic," explaining its importance, the reason for composing it, and the historical stations at which the poet stopped. These are namely six historical stations that the poet mentioned and explained elaborately in his epic poem. They are namely: [1] the pre ـ Islamic era, [2] the earliest stages of the Holy Prophet's Divine mission, [3] Imam ʿAlī's situations, attitudes, and heroisms during the stage of the beginning of the Divine mission, [4] the event of al ـ Ghadīr (i.e. the occasion of the Holy Prophet's appointing Imam ʿAlī to the political and religious leadership), [5] Imam ʿAlī with the Caliphs, and [6] Imam al ـ Ḥusayn and his procession towards martyrdom.

In the last station, the writer discusses such secondary topics as: Imam al ـ Ḥusayn's emigration from al ـ Madīnah to Makkah, Imam al ـ Ḥusayn's activities in the holy city of Makkah, the journey of Imam al ـ Ḥusayn's envoy towards al ـ Kūfah, Imam al ـ Ḥusayn's halt at Karbalā', and Lady Zaynab; the prime lady of the Hāshimites.

Under each topic, the writer cites some poetic pieces that comprised

depictions of Imam al ـ Ḥusayn's heroism, other images of Imam al ـ Ḥusayn's envoy Muslim ibn ʿAqīl, and other images of the heroism of Imam al ـ Ḥusayn's sister, Lady Zaynab. In addition, the writer hits on other tragic depictions related to Imam al ـ Ḥusayn's martyrdom and describing the misfortunate persecutions to which Imam al ـ Ḥusayn, his envoy, his family members and relatives, and his companions were exposed.

الدور التبليغي لأهل بيت الحسين عليه السلام في نهضة عاشوراء

علي رضا أنصاري

ترجمة: رعد الحجّاج

يتناول المقال الدور التبليغي لأُسرة الإمام الحسين عليه السلام، وأساليبه ووسائله وأهدافه، وأهمّيته في حفظ النهضة الحسينية من دعايات الإعلام الأُموي المغرض، وذلك ضمن أربعة محاور:

تناول الباحث في المحور الأوّل أساليب الأعداء الدعائية ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، مبيّناً أنّ هناك أساليب عقدية، كتبرير خلافة يزيد وأنّها كانت بقضاء الله وقدره، وأساليب سياسية واجتماعية، كتضليل الرأي العام بدعوى أنّ خروج الحسين عليه السلام على يزيد يمثّل تفريقاً لشمل الأُمّة، وإثارةً للفتن.

كما أشار إلى عوامل أُخرى أدّت إلى عدم اكتراث الأمّة بمقتل الحسين عليه السلام، منها: حبّ الدنيا، وغياب القيم الدينية، وابتعاد الناس عن المعنويات.

وفي المحور الثاني تطرّق الكاتب إلى بيان الأساليب والوسائل التبليغية التي اعتمدتها الأُسرة الحسينية لتحقيق مجموعة من الأهداف، منها: التصدّي لدعايات الأعداء، والتعريف بأهداف النهضة الحسينية وصاحبها، وإظهار حقيقة حكومة يزيد والكشف عن جرائمها.

بعد ذلك انتقل إلى المحور الثالث، واستعرض نماذج من الخُطب التي أُلقيت في المدينة والشام والكوفة، مشيراً إلى خصائص كلّ خطبة، وما تمتاز به عن غيرها؛ وذلك بحسب اختلاف الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية للمدينة التي أُلقيت فيها.

وفي المحور الرابع تحدّث عن آثار الدعوة ونتائجها، مؤكّداً نجاح الأُسرة الحسينية في حمل أعباء الرسالة، ودحض دعايات الأعداء، والتصدّي لإعلامهم المغرض.

THE PROMULGATING ROLE OF IMAM AL ـ ḤUSAYN'S RELATIVES AND FAMILY MEMBERS IN THE UPRISING OF 'ĀSHŪRĀ'

'Alī Riḍā al ـ Anṣārī

Translated into Arabic by: Ra'd al ـ Ḥijjāj

The essay is concerned with the role played by the family of Imam al ـ Ḥusayn ('a) in promulgating for his everlasting uprising, shedding light on the methods, tools, and goals of that role along with its significance in maintaining and protecting Imam al ـ Ḥusayn's uprising against the malicious false propaganda of the Umayyad ruling authorities.

The essay is thus composed of four major sections, as follows:

In the first section, the writer discusses the enemy's propaganda activities that were launched against Imam al ـ Ḥusayn ('a), showing that the enemies employed creedal affairs in their propaganda, such as their attempts to justify Yazīd's coming to power to have been one of God's acts that must not be challenged. They also employed such political and social schemes like misleading the public opinion by spreading the false claim that Imam al ـ Ḥusayn's revolution against Yazīd was a sort of disuniting the Muslim community and arousing seditious affairs.

The writer also cites more factors that led to the Muslim community's having closed their eyes to the martyring of Imam al ـ Ḥusayn ('a), such as love for and fondness of worldly pleasures, absence of religious values, and people's alienation from spiritual morals and mentalities.

In the second section of the essay, the writer touches on an explanation of the promulgating methods and tools used by Imam al ـ Ḥusayn's family for achieving a number of goals. Amongst these methods were their confrontation of the conspiratorial propaganda of the enemies, introducing Imam al ـ Ḥusayn ('a) and outlining the goals of his uprising, and exposing the reality of Yazīd's government and revealing the crimes committed thereby.

Moving to the third section, the writer reviews samples and examples of the sermons and speeches that were delivered in the cities of al ـ Madīnah, Damascus, and al ـ Kūfah, highlighting the properties and distinctive features of each sermon that were imposed as a result of the different political, social, and cultural of the city wherein that sermon was delivered.

In the fourth section of the essay, the writer appraises the consequences and results of the promulgations for Imam al ـ Ḥusayn and his reformative uprising by his family members, confirming that the Imam's family did succeed in holding the burdens of the mission, refuting the false propaganda of the enemies, and confronting the tyrannical ruling authorities' misinformation.

الملامح القيادية للحوراء زينب عليها السلام في واقعة كربلاء

د. الشيخ عصري الباني

يستعرض المقال الأدوار البطولية والرائدة التي قامت بها العقيلة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء، والتي أسهمت بشكلٍ كبير في بيان حقيقة النهضة الحسينية الخالدة، وقد تناول الكاتب تلك الأدوار من خلال استعراض مواقف سبعة:

الأوّل: موقفها عليها السلام الداعم للإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر؛ من خلال تعهّدها له بالصبر والرضى بقضاء الله وقدره، وسؤالها إيّاه عن نيّات أصحابه ومواقفهم.

الثاني: الوقوف إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام ومواساته؛ للتخفيف من آلامه وحزنه على فقد أهل بيته وأصحابه.

الثالث: مواجهة قيادات جيش العدو وتقريعهم وتأنيبهم وإيقاظ ضمائرهم؛ وذلك للحدّ من حجم المجازر التي ارتكبوها بحقّ الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

الرابع: المحافظة على النساء والأطفال، ومن ذلك موقفها البطولي مع يزيد ومنعه من أن يهب فاطمة بنت الحسين عليه السلام للرجل الشامي.

الخامس: حماية حجّة الله في أرضه، وذلك عندما همّ ابن زياد بقتل الإمام زين العابدين عليه السلام لولا موقف عمّته الحوراء زينب عليها السلام.

السادس: المحافظة على القيم والأخلاق، حيث أشارت إلى ذلك في جملة من خطبها عليها السلام، ومنها خطبتها في الكوفة.

السابع: الدور الإعلامي في واقعة عاشوراء؛ فقد أكّدت عليها السلام في خطبها جملةً من الأُمور المهمّة والأساسية، كانتسابهم إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وبيان مظلوميّتهم، وتوضيح الأهداف الأساسية للنهضة الحسينية، وبيان أنّ النصر سيكون حليفهم في المستقبل.

LEADERSHIP FEATURES OF LADY ZAYNAB IN THE EVENT OF KARBALA

Dr. Shaykh ʿAṣrī al ـ Bānī

The essay reviews the heroic and pioneering roles that were played by Lady Zaynab in the Event of Karbalā', since her roles contributed greatly to revealing the truth about Imam al ـ Ḥusayn's everlasting uprising.

The writer of the essay discusses these roles through reviewing seven roles, which are namely:

1. She expressed her full support to her brother Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) at the night before the battle, when she promised him to act steadfastly and to satisfy herself with God's act whatever it would be. She also asked him about the true intentions and situations of his relatives and companions.

2. She stood by her brother Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) firmly and tried to soothe his passions and sorrows after he had lost his relatives and companions.

3. She confronted the commanders of the enemies' army, reproached, rebuked, and blamed them as an attempt to revive their dead consciences and to reduce the scope of massacres they had committed against Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) and his family members, relatives, and companions.

4. She guarded and protected the women and children after the martyrdom of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). One of the features of that protection was her heroic attitude to Yazīd when she prevented him from giving Fāṭimah the daughter of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) as a servant to a man from Damascus according to his request.

5. She defended Imam al ـ Sajjād who became the argument of God against His creatures after the martyrdom of his father Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). The criminal Ibn Ziyād would have determinedly slain Imam al ـ Sajjād had it not been for the defense and challenging attitude of Lady Zaynab.

6. She maintained the human values and moral principles to which she referred in the sermons she delivered, especially the one she delivered in the city of al ـ Kūfah.

7. She played a significant informative role in the Event of ʿĀshūrā'. In the sermons she delivered, she highlighted a good number of essential and important issues, such as her and her family's close relation to the Holy Prophet (ṣ). She also declared the suppression and injustice that were practiced against them, affirmed the key goals that led to the uprising of her brother Imam al ـ Ḥusayn (ʿa), and confirmed that victory should most certainly be theirs in the future.

الرّباب رمز الوفاء

زهراء السالم

أشارت الكاتبة في التمهيد إلى دور النساء العظيم في نصر ثورات الحقّ وترشيدها على مرّ العصور، ومن تلك الثورات العظيمة التي كان للمرأة دور بارز ومصيري فيها هي ثورة كربلاء، التي أجّج شعلتها الإمام الحسين عليه السلام، لتبقى مناراً لكلّ البشرية على مرّ الزمن.

ومن بين العناصر النسوية التي كان لها دور عظيم في كربلاء هي زوجة قائد تلك الثورة، السيّدة الرباب بنت امرئ القيس الكلبية، المرأة التي جسّدت بحضورها في كربلاء الكثير من القيم الإنسانية، كالصبر والتضحية والفداء، لكنّ أكثر ما تجلّى في تلك الشخصية هو مبدأ الوفاء.

تحت عنوان (اختاروا لنطفكم) تحدّثت الكاتبة عن أهمّية النسب والعوامل الوراثية في اختيار الزوجة الصالحة، الأمر الذي جسّده الإمام علي عليه السلام عندما تقدّم إلى والد الرباب بعد إسلامه قائلاً له: «**قد رغبنا في صهرك فأنكحنا**».

وقد امتاز المقال بطابع أدبي شيّق، حافل بالصور والاستعارات وأنواع الأساليب البيانية، مع سلاسة في التعبير وعذوبة في التصوير، وقد جاء ذلك متناغماً مع شخصية الرباب الأدبية التي تجلّت في أشعارها التي أنشدتها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وليس بعجيب أن تكون الرباب شاعرة، وقد انحدرت من عائلة عريقة، عُرفت بالشعر والبلاغة العربية.

وأخيراً، تناولت الكاتبة صفة الوفاء التي تحلّت بها الرباب، مشيرة إلى معناها لغة واصطلاحاً، لتنتهي إلى خمس صور للوفاء تجسّدت في كلمات ومواقف الرباب منذ انطلاقها مع الركب الحسيني إلى حين وفاتها.

AL ـ RABĀB; A ROLE ـ MODEL OF LOYALTY

Zahrā' al ـ Sālim

In the prelude to the essay, the writer brings to light the great role played by women throughout ages in supporting the true uprisings and revolutions and in directing these revolutions towards rightness. One of these great revolutions wherein women played such a significant and critically decisive roles was the revolution of Karbalā' whose torch was kindled by Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) to remain throughout history and everlastingly as a lantern for all humanity.

Amongst the female figures that played a great role in that revolution was the wife of the leader, Lady al ـ Rabāb the daughter of Imru' al ـ Qays from the Kalb tribe. Through her presence in Karbalā', this great lady embodied many of such human values as steadfastness and self ـ sacrifice although the most manifest features of her personality was here commitment to the principle of loyalty.

Under the title: "Choose chaste wombs for your sperms," the writer speaks of the significance of lineage and genetics in the process of choosing righteous wives. This issue was best practiced by Imam ʿAlī ibn Abī ـ Ṭālib (ʿa) who went to the father of al ـ Rabāb, after the latter's having embraced Islam, and said to him, "I have the desire to be related to you through marriage; so, you may kindly accept to give us your daughter as wife of my son."

The essay is characterized by its brilliant artistic style that is full of images, metaphors, and all other rhetoric styles along with easygoing composition and sweet depiction. This style is fully harmonious with the artistic personality of al ـ Rabāb as is obvious in her poetry that she composed in elegy for Imam al ـ Ḥusayn (ʿa). It is in fact never out of the ordinary that al ـ Rabāb was a poet, since she belonged to a highborn family whose members were known for their poetry and Arabic expressive rhetoric.

In the end, the writer dedicates the discussion to the quality of loyalty

and faithfulness by which al ـ Rabāb was distinctively characterized, thus starting with displaying the lexical and terminological meanings of loyalty and faithfulness to end with displaying five representations of true loyalty and pure faithfulness expressed by al ـ Rabāb's words and attitudes since her joining the caravan of Imam al ـ Ḥusayn (ʿa) towards Karbalā' and up to her passing away.

إنّما خرجتُ لطلبِ الإصلاحِ في أمّةِ جدّي

الإصلاح الحسيني

مجلّة فصليّة علميّة تُعنى بالنهضة الحسينيّة وآفاقها الفكريّة